السيد البدوى

بحث صريح فى تاريخ السيد البدوى وما يقترف باسمه من وثنيات ، وما يجرى حول قبره من بدع وخرافات ، وبيان فساد ذلك كله وبطلانه

ثم الكلام عن عقيدة التوحيد وما لابسها من الشرك وعن أصول دين الله على ألسنة جميع الرسل ، وما طرأ عليه مما ليس منه ، وتعريف بالصوفية الحادثة فى الملة وبالولاية والأولياء ، وغير ذلك من كل ما يهم المسلمين خاصة والباحثين فى الدين الاسلامى عامة من أصول الدين .

بقلم

محمود أبو رية

مطبعة الإسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، الذى أعطى كل شىء خلقه الذى ظهر به فى عالم الوجود ، ثم هداه ، بما أودعه من صفات ومواهب إلى ما يحفظ به كيانه فى عمره المحدود ، وأوجب سبحانه على عباده — وقد حباهم بنعم لا تحصى ، وكرمهم بمزايا لا تستقصى أن يعبدوه مخلصين ، وصلاته وسلامه على عباده الذين اصطفى لإبلاغ رسالاته إلى الناس أجمعين ، فتنادوا جميعاً إلى كلمة سواء بينهم فى (أمر الدين) أن لا يعبدوا إلا الله ، ولا يشركوا به شيئاً ولا يتخذ بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله وهذا هو حقه سبحانه وتعالى .

أما أمر (الدنيا) فقد جعله الله للناس ، بعد أن ميزهم فى الخلق والتكوين ، وخصهم بالعقل والتفكير ، وسخر لهم ما فى السموات والأرض ، وخلق لهم ما فى الأرض جميعاً ليعملوا فيها بعقولهم وتفكيرهم ، وإدراكهم وكسبهم ، ويعمروها بوسائل العلم وأسباب العمران التى تسود بها الأمم وترتقى ، ويتعاونوا بعضهم مع بعض ، بما فى استطاعتهم على ما يقضى به الاجتماع البشرى من الأسباب العامة المشتركة بينهم ، على أن يكون ذلك كله فى نطاق من العدل والرحمة والصدق والأمانة والسلام والحرية والمساواة وما إليها مما يحفظ النظام العام بينهم ، ويربطه برباط محكم لا يعتريه وهن ، ولا يصيبه ضعف .

أما ماوراء ذلك مما لا تبلغه قوى البشر ، ولا تناله يد الأسباب الممكنة ، فهذا يترك أمره إلى مدبر الأكوان وفاطر السموات والأرض ، إذ أنه سبحانه لا يبدل سنته فى الخلق لأحد ! ولا يغير نظام الكون لإنسان ! إلا إذا شاءت حكمته لإظهار معجزة على يدى أحد من رسله لتدل على عظيم قدرته .

ولقد انقضى عهد المعجزات الدينية ، وولى زمن الخوارق الكونية وأصبح الأمر اليوم للمعجزات العلمية والاستكشافات البشريه ، وما لم يصل الناس بعد إلى سره ، فينتظر به إلى أن يتمكن العلم من كشف ستره .

هذا هو الدين القويم الذى بينه محمد فى رسالته بياناً صريحاً بحديث صحيح أرشد به الناس أجمعين ليسيروا على منهاجه فى كل زمان ومكان فقال صلوات الله وسلامه عليه «أنتم أعلم بأمر دنيا كم» رواه مسلم ، ومن ينحرف عن هذا الصراط المستقيم فانه ولا ريب يضل ضلالا بعيداً .

وبعد فانى لما أجمعت النية على كتابة رسالة فى تاريخ السيد البدوى[1] خيل إلى أنى تلقاء عمل ضخم له نواح متعددة ، ودروب

(١) رأينا أن نجارى العرف فى إيراد إسمه المشهور أما هو فليس بسيد ، وليس فى الاسلام سيادة دينية لأحد ولا لمحمد صلوات الله عليه وإنما ظهرت هذه السيادة فى العصور المتأخرة وهى العصور التى تضرب العلل فى مفاصلها .

متشعبة ، مما يقتضى جهداً ثقيلا ، ويتطلب بحثاً طويلا ! ذلك بأن كل من يقرع سمعه هـذا الإسم ، يجد له دوياً هائلا بين العامة بل والخاصة ، إلا من رحم ربك ، وأنه قد نال من العظمة والسلطان ما لم ينله غيره من رجالات الإسلام على مد التاريخ كله ، وظفر من الاعتقاد بولايته والتوسل به ، والاستشفاع بجاهه ، بما لم يظفر أحد غيره بمثله حتى من الأنبياء والمرسلين .

وما ظنك بانسان بلغ من الاعتقاد فى قدرته (أنه المتصرف فى الـكون) وهذا التصرف قد صدقه حديث قدسى عن الله ؟ ! لا جرم أن هـذه المنزلة لم يبلغها إنسان فى أى عصر من العصور .

ومن أجل ذلك سيب الناس له من السوائب ، ووقفوا عليه من الضياع والعقار ما لم يسيب أو يوقف مثله أو بعضه على غـــيره ، وألقوا فى صندوق نذورة ما لم يلقَ عُشره فى أى صندوق آخر من صناديق النذور المنبثة فى أرجاء الجمهورية !

وقد بلغ من اعتقاد الناس فيه أن من زار قبره سبع مرات ، كتبت له حجة ! وبلغ من شأنه أن يقام له ثلاثة موالد فى كل عام وأنه بعد انقضاء كل مولد يغسل ضريحه — كما تغسل الـكعبة — ويوزع ماء غسله على الناس للتبرك به ، وكذلك تقتسم عمامته التى تجدد كل عام ، كما تقتسم كسوة الـكعبة ! كل ذلك يعمل له — على حين أن قبر محمداً ﷺ نفسه لو زاره مسلم ألف مرة لا تـكتب له حجة ، ولا يقام له إلا مولد فى كل عام — ثم يقف الأمر عند ذلك .

ولو أنت شهدت من يطوفون حول قبره، ويتزاحمون على تقبيل أعتابه[1] من ملايين البشر وبخاصة في موالده مما لا يشهد البيت الحرام عشرهم في أزمان الحج لهالك ما ترى ولعرفت إلى أي مدى بلغ نفوذ هذا الدرويش ولحزنت حقا — إن كنت مسلما — على تغلغل الوثنيات والخرافات في هـذه الأمة ، ولقلت في أسى وألم — لقد عاد الاسلام غريبا كما بدا ! !

بهذا الشعور أقدمت على وضع هذه الرسالة ، فأمعنت في مطارح البحث وأجهدت النجعة في مجاهل الدرس ، وقرأت كل ما كتب في تاريخ هـــذا الدرويش الكبير ما يصح منه وما لا يصح وما يمكن الأخذ به والاعتماد عليه ، وما هو موضوع لا يصح أن يُعنى به أو يلتفت إليه ، وعلى كثرة ما بحثت وطول ما درست لم أجد في سيرته شيئا ذا بال مما يوحي بعظمة ، أو يكشف عن بطولة ، ففي حياته الأولى ، قبل مجيئه إلى مصر لم يكن له شأن يذكر ولا عمل يؤثر لا في المغرب ولا في الحجاز ولا في العراق .

ولما انقلب إلى طنطا - - ليقضي حياته الأخيرة لزم سطح بيته وقضى ما قضى من عمره لا عمل له إلا أن يحدق ببصره كل يوم في عين الشمس حتى تحمر عيناه ويصيبها الرمد ، وقد ظل على سطح بيته لا يكلم من يصعد اليه الا رمزاً ! الى أن قضى نحبه بلا عمل

---

(١) من قواعد الصوفية المشهورة : من قبل الأعتاب ما خاب »

صالح قام به ولا علم نافع ألقاه على دراويشه ، وبموته انقطع عمله من الدنيا [1] فلم يترك بعده أثراً علمياً ينتفع به ولا عملا سياسياً يذكره التاريخ له ، إذا صح ما يقوله بعض المؤرخين من أنه كان داعية للعلويين فى مصر .

ولو أفصح لســـان التاريخ لقال عنه فى صراحة « إنه كان من الناحية الدينية درويشاً جاهلا ، ومن الوجهة السياسية داعية خائباً ، وأنه قد أفضى بما عمل إلى ربه ، إن شاء رحمه وإن شاء عذبه »

وإنسان هذا شأنه وتلك صفاته وسيرته لا يقبل التاريخ أن يضعه فى صفوف عظمائه ولا يرضى أن يسلكه بين علمائه بل يسقطه من حسابه ولا يقيم له وزناً ، ذلك بأن العظمة الأصيـلة لا تقوم فى أى عصر من العصور على قوائم الشعوذة ولا تستند إلى دعائم الدجل ! وإنما تقوم على أصول ثابتة من الأعمال الجليلة ، والعلوم النافعة التى تصـدر عن أفذاذ الرجال ، ويحملها التاريخ معطرة إلى من يأتى بعدهم من الأجيال .

ولو أن هذا الرجل قد انقلب إلى ربه ، كما ينقلب كل من هم على

---

(١) من حديث رسول الله : إذا مات ابن آدم — وفى رواية الانسان — انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له .

شاكلته ، وغطى ترابُ النسيان على إسمه ، كما غطى على جثمانه ، لما عرضنا له ، ولا عنينا به ، ولكان تأريخنا له عبثاً وضلالا ومشغلة للناس بمالا ينفعهم ! ولكن ترك وراءه آثاراً جلبت على الناس أضراراً ! وظلت هذه الأضرار تعمل عملها فى عقائد الناس وعقولهم وأموالهم وأعراضهم ، ومايزال الناس يصطلون بنارها ويعانون من بلائها ويشربون من صابها ، وقد كبلت هذه العقائد عقول الناس وأفكارهم ، فلم يستطيعوا أن يسايروا الأمم فى رقيهـا ولا أن يزاحموها فى علومها وصناعاتها واختراعاتها ، حتى أصبحنا فى ساقة الأمم ضعفاً وذلة ! وكان كل عملنا أن نردد صباح مساء مثل هذه العبارات المخزية .

دع الخلق للخالق! مراد الخالق من الخلق ماهم عليه ! من اعترض انطرد ! لو اعتقد أحدكم فى حجر لنفعه ! يا آل طه عليكم حملتى حسبت أن الضعيف على الأجواد محول[1] ! يابنى الزهراء من كنتم له لم يخف من سطوة الدهر عليه ، مكتوب على باب أم هاشم : ملعون ابن ملعون من يكون فى ضيقه ولا يقول يا سيده ! ارم الحمول على شيخ العرب ! مدد يا سيد ! — لهم — أى غير المسلمين — الدنيا ، ولنا الآخرة ! ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلهيهم الأمل! الدنيا

---

(١) ممـا يحز على القلب أن هذه العبارات ترددها كل ليلة الإذاعة المصرية التى تتولى أمورها وزارة الإرشاد !

جيفة وطلابها كلاب ! وغيرذلك من المخدرات الاجتماعية التى تصيب هزائم الناس بالشلل ،وتقعد بهمعن السير فى طريق العمل .

ومن العجيب أن يمتد هذا البلاء — بل الوباء — سبعة قرون كاملة من يوم أن ووريت عظام هـذا الطاغوت (١) ولم تخلص أمم الاسلام منها ولا وجدت من شيوخ الدين من يقاومها أو من رجال الفكر من يكافحها،بل نرى أمرها يتفاقم يوماً بعـد يوم وشرها يستفيض عصراً بعد عصر .

لقد تصدينا لتاريخ هذا الدرويش الكبير الذى ملأ ـ كما قلنا ـ طباق الأرض طنيناً وكان حتماعلينا أن ندرس أعماله التى قام بها فى حياته وما تركه للناس من آثار بعد مماته ، حتى يبدو للناس على حقيقته ، ويأخذ بين رجال التاريخ المكان الذى يستحقه ، وعلى أننا قد تجشمنا فى نواحى التنقيب ماتجشمنا ، فانا لم نعثر — كما بينا على شىء يستأهل التاريخ ، أو يستحق الدرس ، وبدت لنا شخصية هزيلة عجفاء ، كالشجرة الجرداء التى لا ثمر لها ، ولا ظل تحتها ، ولا ورق يستر عظامها ، ومن الأولى بها أن تجتث من أصولها وتتحطم لتكون طعاماً تأكله النار .

---

(١) الطاغوت كما بينه الأستاذ الإمام محمد عبـده هو كل ما تكون عبادته والإيمان به سببا للطغيان والخروج عن الحق من مخلوق يعبد ، ورئيس يقلد وهوى يتبع .

ولقد اعترضتنا — أثناء بحثنا — أنقاض كثيرة ألقاها الجهلاء وفقراء العقول فى طريق سيرته — مما يسمونه كرامات — وهى فى الحقيقة شعوذات وترهات ، وأباطيل وخرافات ، ولكننا أهملناها ولم نعرج عليها لأن العلم الحديث ينفر منها وينبذها ، والعقل السليم المستنير يزور عنها ويمقتها ، بل ويرمى بالخبل والسفه من يذكرها أو يصدقها .

وإذ بلغ بنا السعى إلى هذه الصحراء المقفرة التى لازرع فيها ولا ماء — رأينا ونحن بسبيل الكلام فى تاريخ هـــذا الدرويش أن نتجه إلى ناحية أخرى تتصل به ولا تخرج عن دائرة تاريخه ، لما لها من أثر بعيد فى حياتنا ، وكانت من أكبر علل الاجتماع فى بلادنا وغير بلادنا .

ذلك أنه رغم ضآلة شخصيته ، وأنه ليس هناك فى شىء فقد تبوأ — كما ذكرنا — مكانة عظمى بين المسلمين سمت به إلى ما فوق البشرية ، وجعلت منه معبوداً يفزع إليه فى النوائب ، ويستعان به فى قضاء الحوائج مما عرضنا له من قبل بشىء من الإجمال .

ومثل هـــذه العقائد التى نفذت جذورها إلى مكان اليقين من قلوب العامة وغيرهم ، وفتكت بعقولهم وأموالهم — وبلغت مبلغها الخبيث إلى أعراضهم ، لما يوجب علينا أن نعرض لتفصيلها وإظهار مفاسدها ، ثم نكر عليها بمعاول الأدلة القاطعة التى تثبت بطلانها وتجتث جذورها حتى تبرأ البلاد من وبائها ، وتتطهر عقيدة التوحيد

مما يشوبها ، وتبدو الحنيفية السمحة فى أبهى ضيائها .

ولم يقف عملنا عندما يتصل بالسيد البدوى خاصة ، بل امتد إلى بيان معتقدات العامة ومشايخ الدين فى المقبورين عامة ، وكشفنا عما فى الكتب الأزهرية من العقائد الدينية — وما قاله الأستاذ الإمام محمد عبده فيها ، ثم خلصنا بعد ذلك إلى الكلام عن العقيدة الاسلامية الصحيحة والتوحيد الخالص ، والشرك الأكبر والأصغر وأتينا بنداء الله العام لعباده أجمعين ، بأن يعبدوه مخلصين له الدين وما هى العبادة الصحيحة التى يرضاها الله منهم ، وأن مصير العباد جميعاً وعاقبتهم فالى الغيب الذى لا يعلمه إلا الله .

وأبنا أن دين الله قد جاء كاملا لا يصح الزيادة فيه ولا النقص منه وعرضنا لما طرأ عليه من البدع والخرافات التى شوهت جماله ، وأخرت أهله ، ثم استطردنا من ذلك إلى دعوة محمد صلوات الله عليه للكفار والمشركين عامة ولأهل الكتاب خاصة ، وأن هذه الدعوة العامة للناس جميعاً إنما تقوم على أصلين :

(١) أن لا يعبد إلا الله .

(٢) ولا يعبد إلا بما أمر .

وهذا هو الصراط المستقيم الذى يجب على كل مسلم أن يتبعه ويسير عليه .

وتناولنا بالبحث أمر التصوف الذى طرأ على الاسلام بعد خير القرون ، وما جره الجاهلون من أهله على الدين ، واتخاذ المستعمرين

شيوخه مطايا لتنفيذ أغراضهم فى بلاد المسلمين ، وامتد الكلام إلى الولاية وحقيقتها ، ومن هم أولياء الله الذين جاء الكتاب العزيز بتعريفهم.

ولا نستقصى كل ما عالجناه من بحوث لتبصير المسلمين بالدين الحق حتى يكونوا على بينة مما هو من أصوله ، وما طرأ عليه مما ليس منه .

هذا ما اتجهنا إليه فى بحثنا لكى نصل إلى غرضنا .

ولا ريب فى أنه ـ إذا أعان الله ـ ومزقنا هذا الحجاب الصفيق الذى يحجب شخصية السيد البدوى عن عين الحقيقة ، ونزعنا عنه (ثوب الرواية) الذى ألبسه إياه الجهل والهوى ، وأظهره على مسرح الحياة فى غير صورته ، حتى يبدو بعد ذلك على حقيقته عارياً كما خلقه الله ، فانا نكون قد أتينا على بناء الوثنيات من القواعد ، وحطمنا أقوى حصن فى بلاد الشرق للبدع والخرافات تحطماً ، ذلك بأن قبر السيد البدوى يعد أكبر وثن فى مصر وفى غير مصر فهو بين الأوثان المصرية كهُبل[1] بين أوثان الجاهلية ، فاذا ماتحطم هذا

---

(١) قال الكلبى فى كتاب الأصنام « هُبَل » . كانت لقريش أصنام فى جوف الكعبة وحولها وكان أعظمها هبل ، وكان فيما بلغنى من عقيق أحمر على صورة الانسان مكسور اليد اليمنى أدركته قريش كذلك فجعلوا له يداً من ذهب ، وكان أول من نصبه خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر وكان يقال له هبل خزيمة .

الوثن الأكبر انهارت ولا ريب على أثره سائر الاوثان التي تنجس جوانب أرض المسلمين ويستريح الناس من بلائها وضررها ويسيرون في طريقهم طلقاء أحراراً لا يكبلهم قيد من عقيدة فاسدة، ولا يقف في سبيلهم عقبة من خرافة باطلة — وهذا ولا ريب هو مادعانا لأن نكسر هذا الكتاب على تاريخ السيد البدوى، وإذا كان هـــذا العمل هو أهم ما يجب القيام به، بعد أن بزغت شمس الإصلاح في بلادنا فانا إنما نواصل به السير في سبيلنا الذى اتخذناه لناطوال عمرنا لا نمل في ذلك ولا نميل ولا نلين، لأننا على يقين بأنه لا يقوم إصلاح اجتماعي صحيح في أمة إلا بتطهير عقائدها وتحرير أفكارها.

وإنا لعلى يقين من أننا إن شاء الله سنصل بجهادنا إلى ما نرجوه في هذا العهد المبارك، وأن حكومة الثورة ستعمل بحزمها وعزمها على تطهير البلاد مما يدنسها من وثنيات وبدع وخرافات، وليس ذلك بعزيز عليها، وبخاصة بعد أن حطمت الصخرة العاتية التي كانت تحميها وتستند إليها في تأييد سلطانها وموارة طغيانها، وبذلك تتم نعمتها على البلاد ويكمل فضلها على العباد.

هذه هي سبيلي التي أدعو إليها على بصيرة، إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

والسلام على من اتبع الهدى، ونأى عن سبيل الهوى.

محمود ابو رية

السـيد البدوى

هو أحمد بن على أكبر أولياء مصر ـ كما هو معروف انحدر من أسرة مغربية نزحت قديماً إلى مدينة فاس[1] ولقب بالبدوى لأنه كان يلبس اللثام على عادة بدو أفريقيـة ـ أما أبوه وأسرته فلم تذكر الروايات عنهم شيئاً .

ولادته :

ولد بفاس ويحتمل أن يكون ذلك فى ختام سنة ٥٩٦ هـ (١١٩٩ـ١٢٠٠م) ونشأ بها وحفظ القرآن وقرأ شيئاً قليلا من فقه الشافعى.

رحيله مع أسرته من المغرب الى الحجاز :

ارتحل مع أسرته الى الحجاز وهو طفل واستغرقت هذه الرحلة أربعة أعوام بين عام ٦٠٣ و ٦٠٧هـ (١٢٠٦ـ١٢١٠م) وتوفى أبوه بمكة وقال الشعرانى انهم كانوا يسمونه بمكة العطاب[2]

وتذهب بعض الروايات الى انه عرج بمصر هو وأسرته فى هذه الرحلة ـ وان هذه الأسرة قد اتصلت وهى بمكة بالأسرات العلوية التى كانت حينئذ تسعى لاستعادة نفوذ العلويين .

(١) قيل ان ذلك كان فى سنة ٥٧٣هـ عند ما اضطربت الجزيرة العربية

(٢) لفظ مغربى معناه الفارس وقيل انه سمى بالعطاب لكثرة ما يصيب أعداءه من الضرر والعطب

رحيله هو وأخوه الى العراق :

ثم رحل هو وأخوه الى العراق فى شوال سنة ٦٣٣هـ يونيه سنة ١٢٣٦م وهناك زارا قبر الرفاعى المتوفى سنة ٥٧٨هـ والجيلانى المتوفى سنة ٥٦١هـ ووجدا ما عليه الناس من تقديسهما وانهما أعظم أولياء الله فتركت هذه الزيارة فى نفسيهما أثراً بالغاً وما لبث أحمد البدوى ان اتجه الى التصوف والأخذ عن شيوخه آداب الطريق — وكان العراق يومئذ مباءة الصوفية ويسيطر عليه تلاميذ الرفاعى ومريدوه ، ويقول بعض من أرخوا للسيد كالشعرانى والصاوى وغيرهم ان الرفاعى والجيلانى[1] تلقيا أحمد البدوى وقالا له يا أحمد مفاتيح العراق والهند واليمن والمشرق والمغرب — وزاد الشعرانى والروم ! — بأيدينا ! فاختر أيها شئت ! فقال لهما : لا آخذ المفتاح الا من الفتاح !! وتذهب رواية دائرة المعارف الاسلامية الى أنه أعرض عنهما .

ولسنا ندرى كيف قابلاه وهو لم يذهب الى العراق الا فى سنة ٦٣٣هـ أى بعد وفاة الجيلانى باثنتين وسبعين سنة ! وبعد وفاة الرفاعى بخمس وخمسين سنة ! ولكن لا اعتراض ! لأن من اعترض انطرد كما يقول رجال الصوفية .

---

(١) راجع صفحة ١٣٢ من حاشية الصاوى على شرح الدردير على الخريدة وص ١٨٢ من الطبقات الكبرى للشعرانى

رحيله الى طنطا :

وبعد عام سنة ٦٣٤هـ سنة ١٢٣٧م سافر الى طنطا ونزل بدار ابن شحيط وهنا تلونت حياته بآخر ألوانها وأقام على سطح هذه الدار ليلا ونهاراً ولذلك سمى هو وتلاميذه (بالسطوحيه) أو أصحاب السطح واعتزل الناس وعاش فى صمت لا يكلم الناس الا رمزاً وأصبح فى حالة (وَله) وأجمع الذين أرخوا له أنه كان يحدق بعينه فى الشمس ويظل على ذلك حتى تصبح كل واحدة منهما كالجمرة المشتعلة ولم يتزوج لأنه — كما يقولون — لا يطيق الزواج الامن الحور العين

وكان يلبس (بشتاً) من الصوف الاحمر وعمامة حمراء لا تفارق رأسه حتى تبلى وبقيت هذه العمامة شارة أصحابه من بعده(١).

وقيل إنه كان يمكث أربعين يوماً لا يأكل ولا يشرب ولا ينام وتتحدث بعض الروايات أنه استطاع أن يجمع حوله أربعين درويشاً وكان يسمح لهم بالصعود إليه ليجلسوا معه وأن هؤلاء الدراويش انتشروا فى أرجاء البلاد لينشروا طريقته ، وكان أكبر هؤلاء الدراويش عبد العال الفيشاوى وله ضريح بجوار ضريح أحمد البدوى ، وبعد أن عاش على هذه الحال بطنطا إحدى وأربعين سنه توفى فى ربيع الأول سنة ٦٧٥ هـ . ومن أتباعه الشناوية والبيومية وأولاد نوح والشيبية .

---

(١) لم يلبس محمد (ص) عمامة حمراء ولا خضراء

أحمد البدوى : درويش ضئيل الشخصية :ـــ

ويؤخذ من سلوكه ـــ كما ذكرت دائرة المعارف الاسلامية ـــ أنه كان من طبقة الدراويش الدنيا الذين هم أشبه شيء بطائفة (اليوجا) فى الهنـــد كما كانت شخصيته ضئيلة من الوجهة العقلية والأدبية .

هل كان البدوى داعية للعلويين :

تتحدث بعض الروايات أن العلويين كانوا يستغلون التصوف فى طلب الحكم وأن على ذلك قامت دولة المرابطين والموحدين والأدارسة فى المغرب ، ثم الدولة الفاطمية ـــ وقالوا أن ممن مهد الطريق لدعوتهم بمصر تحت ستار التصوف أبو الفتح الواسطى الذى وفد على الاسكندرية من واسط سنة ٦٢٠ هـ ليدعو على الطريقة الرفاعية ولما مات « ندب العلويون أحمد البدوى ليدعو لهم بمصر وكان له بها معرفة إذ أقام فيها مدة عنـدما رحل من المغرب إلى مكة مع أسرته ، ثم ذكروا أن الظروف لم تواته، والأحوال لم تساعده فأخفق وخاب

ألقابه :

كان لأحمد البدوى ألقاب كثيرة منها العطاب وقدمر ذكر هذا اللقب ـــ والغضبان وأبو العباس وأبو فراج[1] وهذا اللقب دعى

(١) أى أنه يفرج كرب المكروبين .

به فى عصر متأخر — وينادونه (ياعيسوى المقام [١] ويا باب النبى يا شيخ العرب — ويا منجى العيان — ياندهة المنضام .

كراماته ومعجزاته :--

ذكروا من كراماته ومعجزاته شيئاً كثيراً يملأ مجلداً برأسه وبحسبك أن تعرف أنه قد جاء فى حديث قدسى يقول « الملك ملكى وصرفت فيه أحمد » . وهذا الحديث مشهور وسمعت من أحد دراويشه[٢] هذا الحديث القدسى وهو :

« إنى اخترت من الأنبياء أحمد ومن الأولياء أحمد ، فأما أحمد الذى اخترته من الأنبياء فهو محمد نبيى ورسولى ، وأما أحمد الذى اخترته من الأولياء فهو أحمد البدوى ! !

سألنى ثلاث مسائل فأعطيته اثنتين ولم أعطه الثالثة — سألنى أن يكون التصريف فى ملكى على يديه فأعطيته ! وسألنى فيمن زار قبره أن أغفر له فى اليوم الموعود فأعطيته ! وسألنى أن يدخل

---

(١) أى أنه بلغ درجة عيسى عليه السلام فى أنه يحيى الموتى .

(٢) الذى ذكر هذا الحديث القدسى رجل اسمه (الشيخ مصطفى الهلالى من بلدة أبو صيربنا من أعمال مركز سمنود باقليم الغربية وقال إنه تلقاه عن شيخه « الشيخ محمد عبد الرحيم الشاذلى » الذى له ضريح يزار ببلدة سيجر بجوار طنطاء وكان أحـد مدرسى المعهد الأحمدى .

النار فلم أعطه ، لأنه لو دخلها لتمرغ فيها فتصير حشيشاً أخضر — وحقاً عليّ أن أعذب بها الكفار .

ولو أننا حاولنا أن نورد هنا ما نسبوه من كرامات لهذا الدرويش الكبير لطال بنا نفس القول ولخرجنا بذلك عن نطاق بحثنا ، ولفتحنا للقراء باباً واسعاً هم فى غنى عنه ولا يفيدهم، بل يسىء إلى عقولهم وأفكارهم ، وعصرنا هذا لا يحتمل التحدث عن الخرافات والشعوذات .

السوائب والنذور لاحمد البدوى

لا يكاد يخلو بيت من بيوت القرى المصرية من سائبة تنذر للبدوى حتى أصبح شريكا لأصحاب هذه البيوت فى ماشيتهم وأغنامهم وزروعهم، بل وفى أولادهم وإنى لأعرف قروياً [١] شارك أحمد البدوى فى ابنة له وجعل له نصفها ولما زوجت ألقى بنصف مهرها فى صندوق نذور أحمد البدوى — ولا يوجد ولى آخر بين عريض الجمهورية ينال ما يناله هذا الدرويش من النذور .

ويعتبر صندوق النذور الذى يجثم أمام ضريح هذا الدرويش أكبر صناديق للنذور فى البلاد وكل عام يتدفق فيه عشرات الألوف من الجنيهات — بلْه الأوقاف الكبيرة من الضياع الزراعية التى تبلغ آلاف الفدادين والعقارات من البيوت التى تعد بالمئات .

(١) نشرنا أمر هذا القروى فى مقالات حياة القرى وسيقا بلك هذا النبأ

وقد هالت هذه الحال شاعر مصر الكبير حافظ إبراهيم فصاح هذه الصيحة الأليمة التي قال فيها :—

أحياؤنا لا يرزقون بدرهم	وبألف درهم ترزق الأموات
للسيد البـــدوى ملك دخله	خمسون[١] ألفاً والحظوظ هبات[٢]
وأنا المعذب في الوجود وليس لى	يا أم دفر[٣] ما به أقتات
من لى بحظ النائمين بحفرة	قامت على أرجائها الصلوات
يسعى الإمام لها ويجرى حولها	بحر النـــذور وتقرأ الآيات
ويقال هذا القطب باب المصطفى	ووسيلة تقضى بها الحاجات

وقد روت جريدة المقطم فى عدد أول يناير سنة ١٩٣٨ مايلى :

٣٠٠٠ جنيه — فى صندوق البدوى .

بالرغم من الأزمة المستحكمة حلقاتها فى البلاد وجد فى صندوق نذور ولى الله السيد أحمد البدوى بعد فتحه كالمعتاد عقب المولد الأحمدى الكبير نحو ثلاثة آلاف جنيه مصرى وكسر ولم يوجد فى ذلك الصندوق مصوغات[٤] ولا كمبيالات كما كان الحال فى السنين

---

(١) قد بلغ الدخل اليوم مئة ألف وأكثر

(٢) هذا البيت الثانى والذى يليه لم ينشرا بديوان حافظ خوفاً من العامة .

(٣) أم دفر كنية الدنيا .

(٤) مما ينذر للسيد مصوغات الذهب ومما يوضع فى الصندوق كمبيالات بمبالغ مختلفة .

المـــاضية ، وقد وزع ذلك المبلغ على المستحقين فيه حسب لائحة النذور التى وضعت فى عهد سعادة الاستاذ محمد نجيب الغرابلى وزير الاوقاف الاسبق .

***

ونشرت جريدة البلاغ فى عددها الصادر فى ٢٩ - ٦ - ١٩٣٥ أن الاموال المتجمدة فى صندوق النذور للسيد البدوى عن سنة ٣٤ و ٣٥ بلغت ٤١٢٥ أخذ العلماء نصفها وطلبة العلم ثلثها ، وبلغت نذور صندوق ابراهيم الدسوقى ٧٦٠ جنيها أخذ العلماء وطلبة العلم نصفها .

ونشرت جريدة الاخبار الصادرة فى ٢٢- ١٠ - ٩٥٣ هذا البيان

أموال صناديق النـذور

بلغ ما تجمع منها خلال السنة المالية الماضية :

٥٧٩٤٤ جنيه خصّ الوزارة ٢٠٧٥٣ جنيه ووزع الباقى على مستخدمى المساجد والطلبة وعلماء المعاهد .

بيـــانها

٢٢٤٩٩ جنيه من صندوق المسجد الاحمدى

١٥٥٩٠ « « « « الزينبى

٠٦٤٤٣ « « « « الحسينى

٠٣٧٩٣ « « « « الدسوقى

٢٦٦٠ من صندوق مسجد الصديق أبي بكر[1]
والباقى من سائر الصناديق
وإليك كلمة طيبة نشرتها جريدة المصرى فى ٢٠ - ١٠ - ١٩٤٩
تحت هذا العنوان :

صندوق السيد البـــدوى

إيراده فى شهر المولد ٨٠٠٠ جنية

صندوق السيد البدوى . كلمة مكونة من ثلاثة ألفاظ ولكنها لا تذكر حتى ترهف لها الآذان وتطأطىء لها الهامات .

فهذا الصندوق مصدر الرزق والدخل لأسر كبيرة وصغيرة وجمع غفير من طلاب المعهد الاحمدى بطنطا

هذا الصندوق يجده الداخل إلى ضريح السيد البدوى من باب القبة الكبير فى مواجهته بجوار المقصورة النحاسية الزاهية التى يعلوها إطارات كتبت فى داخلها آيات قرآنية ووضعت بين ثنايا المقصورة حول هذه الاطارات باقات من الزهر والورد فى شكل جذاب.

---

(١) وثن جديد جعلوه باسم محمد بن أبى بكر الصديق ببلدة ميت دمسيس من أعمال مديرية الدقهلية فى حين أن محمد بن أبى بكر هذا مات حرقاً فى بطن حمار ودفن بالقاهرة ويوجد ضريح باسمه بحارة البنداقة رقم ١٠ بالموسكى ، ولا ندرى لعل لهذا الاسم قبورا أخرى فى أنحاء البلاد وسبحان الرزاق .

وصندوق السيد يرجع تاريخه إلى عهد بعيد — وتدل القرائن على أنه وضع بعد بناء مسجد السيد فى عهد على بك الكبير[١] وقصد بوضعه تنظيم نذور السيد البدوى وجعلها فى مكان واحد .

وقد كان خلفاء السيد البدوى والمشرفون على المسجد وخدمته يعيشون على ما يغله هذا الصندوق قبل أن تكون هناك وزارة للأوقاف تشرف على أوقاف السيد البدوى وتحدد مرتبات شهرية لموظفى المسجد وخدمه .

وإيراد الصندوق اليوم برغم وفرته أقل مما مضى بكثير ويدهشك أن موظفى المسجد وخدمه كانت تتفاوت حصصهم فى الشهر بين مئة جنيه وعشرين جنيها قبل أن تربط لهم المرتبات المحدودة .

وقد ظلوا بعد أن عينت لهم المرتبات يتقاضون حصصاً فى الصندوق أقل من حصصهم السابقة إلى جوار مرتباتهم .

نصيب الخلفـــاء

كان الخليفتان الرسميان حتى سنة ١٩٢٤ يتقاضى كل منهما ٩ فى المائة من دخل الصندوق وكان لبقية أفراد عائلة الخليفتين دخل بنسب أقل —من الصندوق— وظل هذا الوضع معمولا به حتى سنة ١٩٢٩ إذ وضع المرحوم محمد نجيب الغرابلى باشا حينما كان وزيراً للأوقاف

---

(١) ذكر الجبرتى أن من مآثر على بك الكبير أنه شيد الجامع الأحمدى والقبة التى على ضريح السيد البدوى والمئذنتين العظيمتين.

لائحة لتوزيع نذور السيد البدوى كان من جرائها بقاء الأنصبة لأصحابها مدة حياتهم ، أما الذين يعينون بعدهم فلا يتقاضون شيئاً من الصندوق ، وأن الخلفاء الذين عينوا بعد الخلفاء الذين عاصروا هذه اللائحة حرموا حقهم فى الصندوق .

ولم يسكت أصحاب الحقوق على هذا الاجراء فجددوا المسعى لدى الوزارة ، ورفع بعضهم دعوى عليها يطالبها باعادة نصيبهم إلى ما كان عليه ، ولكن المحكمة حكمت بعدم الاختصاص . ورأت وزارة الاوقاف — إنهاءاً لهذه الحالة صرف مرتبات للخلفاء بدل نصيبهم الذى حرموه .

وفى عهد وزارة الوفد جدد الخلفاء مسعاهم لدى المغفور له عبد الهادى الجندى باشا وزير الأوقاف إذ ذاك فجعل لهم ٣ فى المماية لكل خليفة من الدخل .

ولما تولى عبد الحميد عبد الحق باشا وزارة الأوقاف جددوا المسعى لديه فابدى روحاً طيبة وكان يود إرجاع حصصهم إلى ما كانت عليه فى سنة ١٩٢٤ إلا أن بعض كبار وزارة الأوقاف عارضوا فى ذلك وانتهى الأمر بأن جعل حصة الخلفاء فى الصندوق أربعة ونصف فى الماية واستمر الامر على هذا الوضع إلى اليوم .

أما أفراد أسرة الخليفتين فقد حرم كثير منهم حقهم وقد أعطى على عبد الرازق باشا فى عهده بعضهم وحرم البعض الآخر .

ولايزال هؤلاء يطالبون بحقوقهم .

توزيع الصندوق

ويوزع الصندوق الآن على النحو الآتى ٣٥ وثلث فى المماية لإدارة المعاهد الدينية فتصرف منه بدل الخبز لعلماء وطلبة المعهد الأحمدى وهذا الحق ثابت للعلماء والطلاب من قديم الزمان .

ويأخذ الخليفتان تسعة فى المماية يقتسمانها كما قلنا وأربعة ونصف فى المماية لحامل مفتاح المقصورة ، أما خدم المسجد وموظفوه فقد خصص لهم ٧ ونصف فى المماية وهناك بعض أنصباء أخرى لبعض أسرة الخليفتين — وما عدا ذلك تستولى عليه الوزارة وهى حصة لا تقل فى أى شهر عن ٣٠٠ جنيه .

فتح الصنـــدوق

ويفتح الصنـدوق فى الشهر مرتين وتشرف لجنة على فتحه وحصر ما فيه وعمل محضر رسمى بذلك وهذه اللجنة مكونة من مفتش مالى من وزارة الأوقاف ووكيل المعهد الدينى وأحد العلماء ينتدبه شيخ المعهد وخليفتى المقام الأحمدى وشيخ المسجد وصراف التفتيش . وتبدأ اللجنة عملها بفتح الصندوق ونقل ما فيه على سجادة كبيرة أمامهم ، وبعد أن يفتشوا فى جوانبه عما يكون عالقاً به من الاوراق المالية ، ثم يعيدون إقفاله ويعيدونه إلى مكانه وحجمه لايقل عن متر طولا و٦٠ سنتى عرضاً ثم يأخذون فى فرز فيات الاوراق والفضيات والقروش ويضعون كل نوع منها على حده .
وأحياناً يجدون فى الصندوق قطعاً من حلى الذهب أو الفضـة

فيعملون محضراً بها ثم تباع بالمزاد ويضاف ثمنها إلى إيراد الصندوق

وقبل انتشار العملة الورق كان إيراد الصندوق كله ذهباً وفضة وكان الميزان ينوب عن الأيدى فى عد النقود فكنت ترى أكوام الذهب والفضة تضوى أمام لجنة فرز الصندوق وحصره وكان (الجاروف) ينقل هذه الأكوام إلى الميزان وبعد الميزان توضع فى (مقاطف) ثم يحملها خدم المسجد فى طابور أمام اللجنة وخلفهم وأمامهم رجال البوليس بأسلحتهم المرفوعة .

يسير هذا الموكب المالى إلى تفتيش وزارة الاوقاف . وكان المفلسون يترقبون هذا الموكب ليمتعوا أنظارهم بالذهب البراق والفضة اللامعة ويكتفون بهذه (البحلقة) التى تكون أجمل وقعاً فى نفوسهم من امتلاك هذا المال نفسه .

إيراد الصندوق فى المواسم والموالد

ويزيد إيراد الصندوق فى المواسم والأعياد والموالد عن الأيام العادية وزيادته تكون ملموسة ، فقد يأتى فى هذه المواسم بثلاثة أو أربعة أضعاف دخله مما يجعل المسئولين يبادرون بفتحه قبل الموعد القانونى له خوفاً من سرقة النقود ، ويفتح الصندوق عادة بعد أسبوع المولد مباشرة وإن لم تمض على فتحه السابق المدة القانونية خوفاً من تضخمه .

ألف جنيه فى الاشهر العادية

هذا ولا يقل دخل الصندوق فى الأشهر العادية الأخرى عن ألف جنيه فى الشهر وإن كان الغالب أن يزيد الإيراد عنها كثيراً دائماً هى كحد أدنى لا يقل إيراد الصندوق عنه .

ننشر هـــذه الكلمة ولا تعليق عليها لأن كل سطر فيها يثير الالم ويدعو إلى الاسف وحسبنا الله .

نذور الاولياء[1] هل يحل أكلها للعلماء ؟

قرأت فى جريدة المقطم منذ أيام نبأ أورده مراسلها الخاص فى طنطا خلاصته أن خلفاء (المقام الاحمدى قد رفعوا إلى رياسة مجلس الوزراء تقريراً عن وظيفة (الخلافة) بالمقام الاحمدى وحقوقها ! وما لحق بهم بسبب (لائحة النذور) التى صدرت فى سنة ١٩٢٨ وذكروا أنهم هم المتصرفون فى الجامع الاحمدى ، وأن لهم مرتبات وعقارات وأطياناً مرصودة بموجب فرمانات سلطانية وخديوية (وشرعية) وأن وظيفتهم هذه معترف بها منذ إنشائها فى الديوان العالى (والمحاكم الشرعية وقضاة الإسلام وشيوخ المذاهب الاربعة) وأن اللائحة القديمة كانت تقضى بأن النذور تقسم إلى (ثلاث أثلاث) الثلث للخلفاء وحامل (مفتاح المقصورة) والثلثان للعلماء والمجاورين

(١) نشرنا هذه الكلمة بالعدد ٥٤٤ (العام الحادى عشر من مجلة الفتح الصادرة فى يوم ٢٦ المحرم سنة ١٣٥٦ (٤ ابريل ١٩٣٧) .

وأرباب الوظائف بالجامع الاحمدى الخ .

هـذه خلاصة ما جاء فى تقرير خلفاء (المقام الاحمدى) كما روى مراسل المقطم ! ولقد عجبت والله حينما قرأت هذا النبأ لانى ما كنت أظن أن ينبعث صوت فى هذا الزمن ليتحدث بمثل هذه الأمور التى تنافى الدين القويم ، وبخاصة مسألة النذور ، تلك التى ترجع بنا ولا ريب إلى الجاهلية الاولى وتعيد إلينا عهد الوثنية بعد أن أصبحنا مسلمين موحدين .

ليس عجيباً من هؤلاء الخلفاء أن يسعوا إلى طلب المال من أية طريق ولو كانت غير شرعية ولـكن العجيب أن يكون ما يسعون إليه مما حرمه الله ثم لا يجدون من علماء الدين من يصدهم عما يطلبون[1]

---

(١) « الفتح » إن العلامة الـكبير مفتى الديار المصرية السابق مولانا الاستاذ الشيخ عبد الرحمن قراعة قد خلص نفسه من إثم السكوت على مسألة النذور فأصدر فيها رسالة نفيسة يوزعها مجانا تقرباً لوجه الله الكريم ، وقد ذهب فيها حفظه الله إلى أن هذه النذور داخلة فى حكم قوله تعالى «قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم» وقال « إن النذر لغير الله باطل يخشى منه ، وإن ما يصنعه بعض الجهال فى زماننا من تخصيص بعض أغنامهم وأبقارهم وغلاتهم للأولياء فهو باطل ونظير لما كان يصنع المشركون فى الجاهلية وأنه تحريم لما أحل الله بغير إذن شرعى » اهـ من تعليق مجلة الفتح

إن هذه النذور كما هو معلوم لكل ذى بصر بأحكام الدين من الوثنية الجاهلية لأن القرب التى يقدمها الإنسان لأحد من عباده سواء أكان حياً أم ميتاً ليجعلها وسيلة له ينال بها ما يرجوه عند الله إنما هى الوثنية بعينها ، وما جاء الإسلام إلا ليجتث هذه الوثنية من قلوب الناس لتتصل بالله وحده وهى طاهرة خالصة فلا يكون بين المرء وبين ربه وسيط أو وكيل .

هذا هو أصل الدين وهذه هى عقيدة التوحيد التى جاء بها رسول الله ﷺ وأخذ بها أصحابه ومن تبعهم وجميع السلف الصالح لا خلاف فى ذلك بين أحد منهم وكل من حاد عنها قيد شعرة وقع فى الوثنية ، ورجع إلى مثل ما كان فى أهل الجاهلية .

وإذا كان قد جاءت بعد ذلك عصور لم يأخذ أهلها بالعقائد الصحيحة — كما هى سنة الله فى خلقه عندما يتراخى بالناس الزمن ويبعد عهد النبيين أو المجددين أو المصلحين مصداقاً لحديث الرسول ﷺ « لتتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر ، وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه » فان حماة الدين الذين يبعثهم الله بين فترات الزمن ليجددوا دينه ، قد بينوا للناس ما ابتدعوه فى الدين وما حادوا فيه عن الصراط المستقيم ليرجعوا إلى دينهم موحدين مخلصين .

إن النذور التى تلقى فى الصناديق الموضوعة فى القباب المرفوعة (ولا أقول النذور التى تقدم للأولياء فان هؤلاء الأولياء — إن

كانوا — قد لقوا الله واصبحوا لا علاقة لهم بهذه الحياة الدنيا)، فيها أضرار ثلاثة يجب على العلماء وأولى الأمر أن يعملوا على صيانة الاسلام والمسلمين منها :

أولا — الضرر الدينى ، لأن ترك المسلمين فى عملهم هذا مما يؤدى بهم إلى طريق الوثنية التى تخرجهم عن دين الاسلام إلى ساحات الشرك

ثانياً — لأن أموالا كثيرة تبلغ عشرات الآلاف من الجنيهات(١) إنما تذهب عبثاً كل عام فى هذه الصناديق(٢) وبحسبك أن تعلم أن صندوق قبة السيد البدوى يدر كل عام حوالى خمسة آلاف(٣) من الجنيهات غير المصوغات والحلى وغيرها .

ثالثاً — الضرر الاجتماعى ، ذلك بأنه مما لا ريب فيه أن الناذر بعمله هذا يجانب سنن الله فى اتخاذ الاسباب والمسببات التى جعلها الله من كسبه وعمله إلى أسباب باطلة تدعو إلى الكسل والاستنامة .

---

(١) ذكرنا قبل صفحات أن أموال صناديق النذور خلال سنة ١٩٥٣ حوالى ستين ألف جنيه

(٢) تبلغ صناديق النذور التى حصرت حوالى تسعين صندوقاً

(٣) هذا فى الايام العادية ولكن فى الموالد تزيد النذور ، وقد علمت مما نشرته جريدة المصرى ونقلناه عنها قبل صفحات أن النذور التى وجدت بصندوق السيد فى مولده الكبير بلغت ثمانية آلاف جنيه . وبلغت فى بعض السنين مئة وخمسين ألفاً من الجنيهات كما ستراه فى هذا الكتاب

ولم يضع الناذر نذره فى صندوق الولى إلا وهو يعتقد أن هذا الولى سينهض له بهذا العمل ويضع عنه تكاليفه وأثقاله وينام على مهاد الدعة ويترك حبل العمل على الغارب ، وهذه الصفات لاشك تضرب فى جسم الأمة بحيث يصبح هذا الجسم مشلولا لا يستطيع النهوض بأى عمل . هذه هى أضرار النذور وكل ضرر منها يحتاج إلى عناية أولى الأمر فى علاجه .

* * *

بقى هناك أمر أريد أن أسأل فيه حضرات علماء الدين الأجلاء الذين هم بيننا ورثة الانبياء ولعلى أظفر منهم بجواب يكون لى وللمسلمين جميعاً نبراساً نهتدى به فى دياجى الشبهات .

تنص لائحة النذور الجديدة التى يشكو منها خلفاء (المقام الأحمدى) أن ثلث هذه النذور يناله طلبة الجامع الاحمدى ...! وخمسها يوزع على حضرات العلماء ! فبأى حق يتناول حضرات علماء الدين هذه الاموال ؟ وبأى نص من كتاب الله أو من سنة رسوله يستبيحون أكل هذا المال الباطل ؟ وما قولهم دام فضلهم فيمن يعين الناس على أداء هذه النذور ؟ ألا يكون شريكا لهم فى اعتقادهم وفى عملهم

اننا ونحن فى انتظار جواب حضرات علمائنا نفزع إلى شيخ الازهر ورجاؤنا أن يعمل على القضاء على ذرائع الوثنية من هذه البلايا ، وأن يسارع إلى السعى فى تحطيم صناديق النذور من جميع

القباب ، ويصدر فتوى بحرقها ثم يأمر الوعاظ أن يكثروا من القول فيها والنهى عنها إلى أن يرجع الدين إلى بهائه وسنائه والله قوى عزيز

المنصورة محمود أبو ريه

انقضى على هذه الصرخة عشرون عاماً كاملة ولم نظفر بجواب عنها ؟؟ ولعل شيوخ الدين قد نكصوا عن الجواب لأنهم وجدوا أن أئمة الفقه قد قضوا بأن النذور التى توضع بالصناديق **لا** تخرج عن ملك واضعيها — وعرفوا كذلك أن قاعدة الفقهاء فى الأحوال التى لا يعرف لها ملك — أن ترصد لصالح المسلمين العامة ، فهم فى كلتا الحالتين لا يستحقونها ولا حق لهم فيها وأنهم يأكلونها بالباطل

جمع النذور ممنوع بحكم القانون

أصدر مجلس الدولة أخيراً فتوى تقرر صراحة أن التبرع للمساجد والكنائس وما يسمى بالنذور ممنوع بحكم القانون .

وكأن هذا المجلس قد نهض بأداء هذا الواجب لما رأى سكوت علماء الدين الإسلامى عن بيان حكم الله فى النذور .

وقد سأل مندوب مجلة البوليس (١) الشيخ يحيى شبل شيخ مسجد السيدة زينب عما أفتى به مجلس الدولة فأجاب عفى الله عنه :

لرجال القانون أن يفتوا بما يرون وليس لمثلى حق الاعتراض عليهم ، أما من الناحية الشرعية فليس فى الدين ما يحرم جمع النذور

---

(١) عن العدد ٥٧ من مجلة البوليس الصادرة فى ٥ مايو سنة ١٩٥٧

فى صناديقها الخاصة ما دامت الطرق المتبعة فى الجمع كفيلة بحفظ التبرعات أو النذور وصرفها فى وجوهها المخصصة لها .

ولو كان هذا الأمر مخالفاً للشرع الإسـلامى ما بقى فى المساجد الإسلامية إلى يومنا هذا على مرأى ومسمع من العلماء العاملين الورعين !

وفى مسجد السيدة زينب صندوق للنذور يفتح فى منتصف كل شهر باشراف رجال وزارة الاوقاف ويقسم مافيه ٧٥ قسما تنال خزانة الوزارة منها ٤١ والاربعة والثلاثون الباقية توزع على موظفى المسجد ومستخدميه القدماء .

واستناد الفتوى القانونية إلى أن المساجد قامت للعبادة فحسب استناد واه لا يؤيده المنطق ، فليست العبادة صوماً وصلاة فقط ، ولكن تشمل الزكاة وأقرب ما يتقرب به العبد إلى الله الصدقات ، فخير لنا أن نزيد فيما يشجع الناس على التبرع بالنذور لوجوه الخير الخاصة

ونحن لا يسعنا إلا أن نضع هذا الكلام تحت نظر حضرات شيخ الازهر ومفتى الديار وجماعة كبار العلماء ولعلهم يبينون وجه الحق فيه بعد أن نشر على الناس جميعاً .

نذور السيد البدوى بديوان الموظفين

نرى بعد أن أتينا على فتوى مجلس الدولة بأن النذور ممنوعة بحكم القانون أن نردف هذه الفتوى بما وجهه ديوان الموظفين إلى وزارة الاوقاف من المؤاخذات فى تقريره الذى قدمه إلى البرلمان لاتصال هذا الامر بنذور السيد البدوى .

قالت جريدة (أخبار اليوم) الصادرة فى ١٨ يونية سنة ١٩٤٩ بالعدد ٢٤١ تحت هذا العنوان :

العلماء والائمة وخلفاء السيد البدوى
يستأثرون بالنصيب الاكبر من أموال النذور

من أهم ماوجهه ديوان المحاسبة إلى وزارة الاوقاف من المؤاخذات فى تقريره الذى قدم فى نهاية الاسبوع الماضى إلى البرلمان مالاحظه من استئثار بعض أئمة المســـاجد بالنصيب الاكبر من أموال صناديق النذور وحرمان الطبقات الفقيرة أصلا منها. وإليك التفصيل:

يبلغ عدد صناديق النذور فى المساجد التى تشرف عليها وزارة الاوقاف ٨٤ صندوقاً تقدر إيراداتها السنوية بمبلغ ٤٠ ألف جنيه ومنذ صدرت لائحة النذور ،وعلى الرغم مما أدخل من تعديلات عليها فان سيل الشكاوى لم ينقطع ، بسبب تمييز العلماء والخدم القدامى عن الجدد من ناحية التوزيع ، واستئثار بعض علماء المساجد وكذا خلفاء السيد البدوى وحامل مفتاح المقصورة فى الجامع الاحمدى بالنصيب الاكبر من هذه النذور، وحرمان الخدم والطبقات الفقيرة منها ، وكذلك بسبب التفرقة فى المعاملة بين طوائف القراء والخدم بالمساجد .

زحام وتنافس !

ويلاحظ الديوان أن تفاوت المبالغ التى تجمع من صناديق النذور قد أفضى إلى تهافت العلماء والخدم على الانتقال إلى المســـاجد

الكبرى التى يكثر بها إيراد هذه الصناديق ! وهو يرى « أن الأمر قد أصبح يقتضى إعادة النظر فى ملاءمة استمرار العمل بالنظام الحالى ، وفيما إذا كان من المناسب الاستمرار فى إعطاء نصيب من تلك النذور إلى الأئمة والخطباء والمدرسين والموظفين بعد التحسين الذى أصابهم » .

ثم يقول : وقد يكون من الخير زيادة نسبة مايضاف إلى إيرادات وزارة الاوقاف من تلك المبالغ لزيادة اعتماد الخيرات، أو أن ينظر فى إضافة إيراد هذه الصناديق جملة إلى ميزانية الوزارة ، وذلك نظراً إلى تضخم ميزانية المساجد وخروج كثير من الاوقاف التى كان يصرف ريعها على تلك المساجد ، من نظر الوزارة .

هل كان أحمد البدوى من نسل على ؟؟

نعود بعد ذلك إلى استيفاء الكلام فى تاريخ أحمد البدوى فنقول :

هناك أمر لابد من ذكره حتى يتم القول فى تاريخه ، ذلك أن بعضهم يقول : إن أحمد البدوى شريف علوى ولذلك يسمونه (السيد البدوى) ويذكرون أن سبب هجرة أجداده إلى الغرب فى القرن الأول الهجرى — أن جده محمد الجواد بن حسن العسكرى هاجر خوفاً من الحجاج ! حين نكل بالأشراف! والتاريخ الصحيح يدحض هذه الرواية ويقطع بكذبها من وجوه كثيرة :

منها أن محمد الجواد الذى يقولون إنه جد أحمد البدوى هو ابن على الرضا ، وولد على الهادى العسكرى — وعلى الهادى العسكرى

هو والد الحسن العسكرى وليس محمد الجواد ابناً للحسن العسكرى .

ومنهـــا أن محمد الجواد الذى قيل بأنه هاجر خوفاً من بطش الحجاج كان ميلاده سنة ١٩٥ هـ وتوفى فى بغداد سنة ٢٢٠ . أما الحجاج فقد كان ميلاده فى سنة ٥٢هـ وتوفى سنة ٩٥هـ أى أن وفاته كانت قبل ميلاد محمد الجواد بمئة سنة، وبانهيار هـذه الحجة ينهار معها نسب أحمد البدوى إلى العترة النبوية ولا يستحق هذه السيادة المزورة .

عـــلمه وثقافته

يتبين مما سقناه إليك من تاريخ هذا البدوى أن ثقافته تنحصر فى أنه حفظ القرآن الكريم كما يحفظه كثير من الأطفال فى بلاد المسلمين وأنه درس قليلا من فقه الشافعى !! وأن له دعوات دينية — يشك بعض الباحثين فى نسبتها إليه — وأن شخصيته كانت ضئيلة جداً من الوجهتين العقلية والأدبيه ، وأنه كان درويشاً أشبه بالمجذوب إذ كان يأتى بأعمال لا تصدر من عاقل [1] ورجل هذا شأنه ما كان ليستحق أن يؤرخ له ولا أن يقيم لهأحد وزناً .

---

(١) قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن حفيد صاحب الدعوة الوهابية — محمد بن عبد الوهاب — فى كتاب (قرة عيون الموحدين) « وكل ما عبد من دون الله من قبر أو مشهد أو صنم أو طاغوت — فالأصل فى عبادته هو الغلو كما لا يخفى على ذوى البصائر — كما جرى لأهل مصر وغيرهم فان أعظم آلهتهم أحمد البدوى ، وهو لا يعرف له أصل ولا فضل ولا علم ولا عبادة ومع هذا فصار أعظم آلهتهم مع أنه لا يعرف عنه : إلا أنه دخل المسجد يوم الجمعة فبال فيه ثم خرج ولم يصل ! ذكره السخاوى عن أبى حيان . فزين لهم الشيطان عبادته فاعتقدوا أنه يتصرف فى الكون ويطفىء الحريق وينجى الغريق وصرفوا له الإلهية والربوبية وعلم الغيب اهـ ـ ولا حول ولا قوة إلا بالله .

صفحة ١٧٨ من كتاب فتح المجيد

اعتقاد الشعراني فيه

كان الشيخ عبد الوهاب الشعرانى المتوفى سنة ٩٣٧ هـ من كبار المريدين لاحمد البدوى . وهو من أسرة مغربية ، وقد قالت دائرة المعارف الإسلامية « ومن عجائب الحياة الدنية حقا أن يتأثر رجل مثل الشعرانى بسحر السيد البدوى مع أن هذا الأخير دونه من الوجهتين العقلية والادبية » ومما رواه الشعرانى عن شيخه البدوى « لقد نفد ماء سواقى الدنيا لما نفد ماء سواقى ، ولعل هذا القول لم يصدر منه إلا بعد أن أحس فى آخر حياته ، أنه قد ملك على المصريين زمامهم .

وقال الدكتور عبد اللطيف حمزة : إن الشعرانى قد اندفع فى احترام هذا الدرويش وبالغ فى تقديسه إلى درجة لا تتفق وكرامة العلم والعقل – لما كان للشعرانى فى القرن العاشر الهجرى من المكانة العلمية فى مصر مما جعله فى القمة من علماء ذلك العصر .

ومعهذا فمنذ تصوف الشعراني[1] على هذا الوجه ، وهو يحمل على

---

(١) بلغ من تصوف الشعرانى ودروشته أن نفث الشيطان فى قلبه فقال : مما منّ الله به علىّ ، أن أعطانى قول (كن) فلو قلت لجبل كن ذهبا لكان ، ومما رواه فى أحد كتبه: الحديث الموضوع على رسول الله « إن شريعتى جاءت على ٣٦٠ طريقة ! فمن سلك طريقة منها نجا ، وهذا الحديث مخالف لما ورد فى الكتاب والسنة من أن سبل الحق وطريقه واحدة ، قال تعالى « وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله »

العلماء والفقهاء، ويأخذفى الوقت نفسه بناصر الصوفية والدراويش ويذهب فى احترام أحمدالبدوى إلى حد السرف ، ويكتب عنه كتابة طويلة ، هى التى أمدت المؤرخين بكثير من المعلومات التى اعتمدوا عليها فى ترجمة هذا الدرويش

وقد كان البدوى ذا شخصيةعظيمة من الناحية الصوفية ، ضئيلة فى الوقت نفسه كل الضآلة من الناحية العقليه ، وآية ذلك أننا ننظر فى آثاره الفكرية فلا نظفر بأكثر من طائفة من الأدعية والوصايا التى وجهها إلى (عبد العال) أول خلفائه ، وهذه الوصايا عبارة عن طائفة من الجمل البسيطة والأقوال العامةالتى لا حظ لها من التفكير، ولا تدل فى الوقت نفسه كثيراً على شخصية صاحبها،ومن الباحثين من يشك فى نسبتها إليه .

أما الأضرحة والمقامات المنسوبة إليه فيصعب — إلى الآن — تحقيق نسبتها إليه ، فقد اكتشف الباحثون ضريحاً له ضمن مقابر الصحابة بالقرب من أسوان ، كما ذكر بعضهم ولياً من أولياء الله بهذا الإسم نفسه فى طرابلس الشام[1] ! »

---

(١) صفحة ١٤٥ و ١٤٦ من كتاب الحركة الفكرية فى مصر فى العصر بين الأيوبى والمملوكى الاول ، وقد أحسن المؤلف وأجاد فى أنه لم يجعل أحمد البدوى من المتصوفة الفقهاء وإنما جعله بحق من طبقة الدراويش الجهلاء .

وذكر الأستاذ محمد فهمى عبد اللطيف فى كتابه السيد البدوى أن هناك ولياً آخر بالقرب من غزة بهذا الاسم[1]

وللسيد البدوى عمود خاص من الرخام بمسجد الحسين أمام باب الضريح الحسينى يستلمه زوار القبر المنسوب للحسين ويتبركون به ويدعون السيد عنده .

(١) ص ٩٠

موالد السيد الثلاثة

مما تواطأ عليه الحكام الظالمون ورجال الصوفية الدجالون، وأعانهم عليه شيوخ الدين الجاهلون ، أن يقام لكل ذى قبة مولد سنوى مما ليس له أصل فى الدين بل هو من البدع المنكرة ، فعلوا ذلك لكى يتلهى الناس بما يجرى فى هذه الموالد من اللهو واللعب والخرافات، وما يرتكب فيها من الفسوق والمنكرات، فلا يطلبون حقوقهم فى الحياة ،ولا يحاسبون حكامهم على ما يقترفون من الظلم وارتكاب المحرمات والمعاصى .

وإذا كانوا قد جعلوا لكل صاحب قبة مولداً واحداً سنوياً .- حتى مولد النبى صلوات الله عليه، فإنهم قد جعلوا لأحمد البدوى ثلاثة موالد فى كل عام، كأنه قد ولد على غير سنن البشر — ثلاث مرات ! !

قالت دائرة المعارف الإسلامية :

ويحتفل بمولد السيد ثلاث مرات كل عام تستلفت تواريخها نظر الباحثين فى تاريخ الأديان — فهى تجرى وفقاً للتقويم القبطى أو وفقا للسنة الشمسية (فالكبير) فى مسرى (أغسطس) والوسط يسمى مولد الشرنبلالى فى برمودة (مارس ،ابريل) والأصغر —

الرجبي (أو لف العمامة[1]) فى أمشير (فبراير) والكبير ينتهى بركبة أو ركوب الخليفة فى جموع أتباعه للطواف فى أرجاء طنطا .

وإذا كانوا قد جعلوا لاحمد البدوى ثلاثة موالد فى كل سنة — أى ثلاثة أعياد ، فان لهذه الموالد طابع خاص ليس لسواها — وذلك عما يقع فيها من وثنيات وبدع وخرافات ، وما يقترف فيها من فجور وفسوق وموبقات ، ومن أجل ذلك رأينا أن نأتى على شىء من أوصاف هذه الموالد التى كتبت بأقلام مختلفة منذ خمسين سنــة حتى يعــلم الناس أننا على ما وصلنا إليه من علم وحضارة ورقى فان هــذه الموالد ما تزال تحتفظ بطابعها الخاص بها فلم يتغير شىء منها اللهم إلا بعض أمور شكلية .

كتبت مجلة المنار فى جزئها الصادر فى جمادى الأولى سنة ١٣١٩هـ

---

(١) تلف فى هذا المولد عمامة لاحمد البدوى على العمامة الخشبية الرمزية التى فوق قبته بعد أن ينزعوا العمامة القديمة التى تقسم بينهم على قدر درجاتهم ، فبعضهم ينال ذراعاً وآخر يأخذ شبراً وهكذا وكل من تصيبه قطعة منها يوزعها بثمن أو بغير ثمن ليتبرك الناس بها ويحفظوا أنفسهم بحملها . أما العمامة الجديدة وتكون من نسيج أخضر يبلغ طوله عشرات الأمتار فتظل إلى أن يحتفل بتغييرها بعد عام من لفها ، إذ يكون قاشها قد اكتسب فى هذه المدة قداسة وامتلأ سراً ...

الموافق (أغسطس سنة ١٩٠١) فى باب — البـــدع والخرافات والتقاليد والعادات .

مفاســـد لا موالد

لأحد الفضلاء يصف المولد الكبير الأحمدى وبعض ما كان فيه من البدع والمنكرات والتقاليد والعادات

إن صح مايقوله علماء العمران من أن المعارض معيار تقدم الأمم وارتقائها فى الحضارة ، لأنها السوق الذى تعرض فيه بضائعها ، وما حصلت عليه من علوم وما تحلت به من أخلاق وآداب ، والزناد الذى باستيرائه يتجلى كامن القوة،ويتسنى الانتفاع بما أودع فيه من صنعة الحكيم العليم ،كان المولد الاحمدى هو أول معيار يعرف به الحكم الحاذق ما عليه أمتنا المصرية من الارتقاء فى سلم المدنية ، وما أحرزته من مستلزمات الحضارة والسبق فى ميدان تنازع البقاء، ويمكنه بعد أن يجول فى أنحاء طنطا فى هذه الايام جولة صغيرة ، أو يجلس فى محل مشرف على طريق عام برهة من الزمن ، أن يستجمع من الادلة والبراهين التى يشاهدها بعينى رأسه ويسمعها بأذنه مايكفى لاقتناعه بأن يصدر حكما قد رسخت قواعده على أساس العدل ، على ما وصلت إليه الامة فى آدابها وأخلاقها ، وهل هى من ذلك فى الدرك الاسفل ، أو الدرجة العليا ، وإذا كان ممن يعرف شيئاً عن حقيقة الدين الإسلامى ،تبين لهمقدار محافظة الامة عليه ، وقيامها به واعتبر هذا المولد عظة وذكرى لقوم يعقلون .

ولـكن ما الذى يشاهده ياترى ؟ يشاهد طنطا وقد احتشد فيها أنواع الناس من كل فج وناحية ، فهى تموج بهم موجاً وقد ضاقت أرجاؤها بهم على رحبها .

وبعد أن وصف الـكاتب مارآه مع الباعة من أنواع الألاعيب وملهيات الأطفال والمناديل وما إلى ذلك قال :

إذا صرف العاقل نظره عن التأمل فيما يتبادل الناس بيعه وشراءه، وتأمل فى هذا الجمع المزدحم رأى أصناف الناس كأنما دعاهم داعى النشور فقاموا مسرعين إلى موقف فصل القضاء ، قد اختلط الرجال بالنساء والـكبار بالصغار كل آخذ فى سبيله منصرف لما يريد ، يرى من بين هذا المزدحم فئات من الشبان قد التفوا حول غانية هيفاء وقد خرجت متبرجة تبرج الجاهلية الأولى ،وبذلت أقصى ما تصل إليه يد إمكانها من الزينة لتغرى هؤلاء الأغرار باتباعها حتى يصلوا بها إلى ملهى من الملاهى ويكون هناك من انتهاك حرمة الآداب ماتقشعر منه الأمم العريقة فى الهمجية .

يرى الطبول تقرع ،وكاسات الفقراء ترن والرايات الملونة خافقة فى الهواء وحاملوها يتمايلون ، كأنما سرت فيهم كهربائية الولاية

أناجالس الآن أشاهد الطريق الذى يمر منه الخليفة وقد ازدحم الناس على جانبى الطريق ، والأفرنج يشرفون من الـكوى والشرفات ليشاهدوا ما يعمله المسلمون من شعائر دينهم ومن تحتهم تمر الخلفاء والنقباء وأرباب الأشائر وأبناء الطرق بالأزياء المختلفة وآحاد الناس.

قد احتضنوا الأبناء وعلى رءوسهم الطراطير المخروطية الشكل المختلفة الألوان ، وهؤلاء الخلفاء (ماعدا خليفة السيد طبعاً) يسير الواحد منهم وهو ممتط فرساً ذلولا ، وقد أمسك بهذا الشيخ من جوانبه الأربع فئة من مريديه ، وهو يتمايل على أيديهم ذات اليمين وذات الشمال وإلى الامام والوراء ، وآخران قد أمسكا بزمام فرسه وهو على هـذه الحال كأنما أخذ عن حسه ، واستغرق فى مشاهدة الذات الاقدس ، والبعض من هؤلاء المشايخ الاقطاب قد أسبل على رأسه وجانب من نصفه الاعلى كساء من الصوف الاحمر أو الاصفر أو الاخضر ونحو ذلك فلا يُرى من بدنه شىء ، وبعض قد عرى رأسه وجسده إلى ما تحت السرة وانحسر اللباس عن رجليه إلى ما فوق الركبتين فلم يستتر من جسده غير سوأتيه ، وهو فى تمايله ذاك يُخرج من فيه لعاباً يسيل من أشداقه كأنه يتخذ هذه الحال عنواناً على الرقىّ إلى حظيرة القدس ، والتناهى فى مقام القرب ، وكونه لم يبق بينه وبين مخالطة الملأ الاعلى وعالم الروحانيات شىء ، وأمامه وخلفه ثلة من الشيب والكهول والشبان بغريب الملابس قد استولى عليهم الجذب وشغل حسهم شهود الخالق فى زعمهم ، فهم يثبون وثبة القرد ، أمره سيده بمحاكاة البرابرة يرقصون فى ملاهيهم فأتمر ! والناس يقرأ بعضهم الفواتح والبعض يستغيث بهم ، والنساء تزغرط وما شئت من هذا الباب واكتلت من هذا الجراب .

وبعد أن تحدث الكاتب عن مناظر كثيرة مما رآه قال :

« ثم مرت شرذمة من العساكر الفرسان بأيديهم السيوف يتلوها أخرى من الرجالة بأيديهم البنادق ثم غوغاء من الناس يذكرون الله لا يتجاوز الذكر حناجرهم وقد تلجلج بصرهم ذات اليمين وذات الشمال ، ثم شيعة من كناسى المسجد الاحمدى بأيديهم سيوف أنحى عليها الصدأ ،وقد لبسوا دروعاً وخوذاً أخلقتها الدهور ،لا قراع الكتائب والناس يزعمون أنها كانت لباس الاسرى الذين احتملهم سيدى أحمد البـــدوى من بلاد الكفار . . وأمامهم حاملوا البُلط والسيوف الخشبية ثم (الخليفة) وعلى رأسه التاج المنسوب إلى السيد أحمد البدوى،وبجانبه الحراس من فرسان العساكر والاهالى خيفة أن يختلس التـــاج أولاد نوح الذين يزعمون أنهم أولى به ، ووراءهم أخلاط المشاة والركبان بالازياء المختلفة — والبعض قدمم إليه طفلا ألبســـه خرقة خضراء وطرطوراً رجاء أن يعيش ويطول عمره . . .

هـذه بعض صفات المولد الاحمدي الذى يعتقد كثير من الناس أنه من مستثنيات الشريعة الغراء ، وأن المبادرة إليه من أفضل القرب ، وأن من زنى فيه لا بد أن يتوب الله عليه ، وأن موكب الخليفة الموصوف هو مهبط الاسرار الربانية ، وأن ما يقع فيه من الامور المخالفة للشريعة إلا وقد سبقه الغفران ! !

وهكذا تلبس المساوىء لباس الآداب الدينية ، وتلتصق الوثنية بدين التوحيد وتعد المخازى الهادمة للآداب والمروءة من دعائم

الحنيفية السمحة ! تبرأ الإسلام من ذلك وتعالى الله عما يقولون علواً كبيراً .

أكتب هذه السطور وأنا مشرف على موكب الخليفة من جهة يمينى وعلى يسارى كتاب فيه تاريخ الفراعنة فى وثنيتهم الاولى أطالع وصف مواكبهم وأجيل طرفى فى صورة الموكب فلم أقرأ مثلما يلمح طرفى الآن مما يشوه وجه الآداب أو يناقض سمات الفضيلة لخيل إلىّ أن تلك الوثنية الاصيلة أرقى من جميع الوجوه مما لحق بالإسلام والتصق به من هذه الشعائر الوثنية الطارئة ...

... مررت بقوم يذكرون الله بأصوات منكرة مزعجة أذكرتنى ما أخبرنى به بعض المدرسين بالجامع الاحمدى — وهو أنه شاهد جماعة من هؤلاء فى سفره إلى الحجاز كانوا معه فى قافلة وهم من المصريين فأناخت القافلة فى واد بين جبلين فقام هؤلاء يذكرون (الذكر البيومى) فى جوف الليل فلما علا صوتهم وتردد صداه فى تلك الصحراء هاجت الجمال وأخذت فى أرجلها أطناب الخيام وقلعت الاوتاد وذُعر النيام وساءت حال القافلة فقام الاعراب ممتشقين السيوف يتساءلون ما هذا الضجيج ، فقال لهم ذلك المدرس هذا ذكر الله ، فقال له أعرابى جلف: ذكر الله به تطمئن القلوب ولا تهيج منه الجمال !!

هـذا بعض ما رأيته فى هذا المولد ولو كنت ممن يغشى مواطن اللهو لذكرت كيف تراق دماء الآداب بإراقة دم بنت العنقود ، وكيف تنحدر جداول الدراهم والدنانير وتصب فى خزائن باعة المسكرات

وكيف يأتون بالبغايا وينصبونهن حبائل لاقتناص الوارثين من أبناء الموسرين ، وكيف يخرب هؤلاء الأغرار بيوتهم بأيديهم وأيدى الخواجات ومن وراء ذلك سوء المنقلب وبئس المصير[1]

وفى الختام أقول أن السيد أحمد البدوى رضى الله عنه لو كان حياً يمشى على رجلين وينطق بلســـان وشفتين ، ودعا أهل القطر المصرى لعمل من الأعمال الخيرية يعود عليهم بالخير العاجل والثواب فى يوم الجزاء لما لقى منهم إلا إعراضاً ، بل لو قام رسول الله ﷺ ودعاهم إلى مثل ذلك لما كانوا له إلا كما كان عبد الله بن أبى سلول ! فالى متى لا نرى من الحكومة إلا المساعدة على هذه المنكرات ، ولا نبصر من العلماء إلا الإقرار على هذه الموبقات .

ع . ن

ونشرت جريدة المقطم فى عددها الصادر فى ٢٣ اكتوبر سنة ١٩٣٧ ما يلى :

عرض عسكرى فى طنطا يشهده عشرون ألف نفس

لمكاتب المقطم الخاص

قوات عسكرية مسلحة :—

خرجت القوات المعسكرة فى هذه المدينة من ثكناتها

(١) هـذا إجمال وراءه تفصيل مزعج يندى به وجه الفضيلة وتتباهى به الرذيلة وكل هذا يجرى بين سمع الناس وبصرهم !!

ومخافرها فى الصباح الباكر مشاةً وركباناً ، وقد حمل جنود كل قوة منهم سلاحهم ورماحهم وبنادقهم يتقدمهم ضابطهم الأكبر من رتبة الصاغ فما فوق وأشرف على القيادة العامة صاحب العزة حكمدار الغربية وعسكروا فى ميدان الخفر وبعد ما تكامل الاجتماع صدرت الأوامر بالمسير للاشتراك فى موكب رسمى حافل جرت به التقاليد منذ سنة ١٨٩٨ بقرار عالٍ من صاحب السمو الخديوى السابق باعتباره القائد الأعلى للقوات المصرية .. وتتألف تلك القوات من وحدات جنود الخفر والبوليس فى مديرية الغربية ووحدات الجنود الاحتياطيين فى المديريات الأخرى . وقد أصبح هذا الاستعراض مألوفاً لجميع سكان هذه المدينة منذ بدايته إلى اليوم .

وبعد أن وصف المراسل الموكب قال :

إنه من المواكب العجيبة فى هـــذا القطر وله مظهره الرسمى فى التقاليد التى لاتزال جارية إلى اليوم بغير أن يمسها تبديل أو تعديل رغم تقدم الثقافة وتطور العرفان ، فلا يزال القديم على قدمه ، ومع أنه موكب رسمى أو على الأقل أشبه به بذلك الاشتراك العسكرى فلا تكاد حفلته الغريبة تخلو من مختلف أنواع الملاهى والتسلية[1]

---

(١) لعل المراسل قد تلطف فى التعبير ، أو لعل رئيس تحرير الجريدة وهى مسيحية قد مس بقلمه ما وصف المراسل لجمله فى هذه العبارة المهذبة وإلا فالأمر أدهى من ذلك وأمر .

التى يصبو إليها السواد الأعظم من ألوف المتفرجين — فى نهاية كل مولد أحمدى كبير — الوطنيين والأجانب على السواء . . .

مناظر نادرة الوجـود

وقد يندر حقاً توافر بعض ذلك الموكب العجيب فى سواه من المواكب الأخرى المألوفة ، فمنظر أحفاد (أسرى) ولى الله السيد أحمد البدوى وعلى رءوسهم (الخوذات) وفى صدورهم الدروع وقد تمنطقوا بآلات الحروب من سيوف لامعة وحراب وأسلحة فى وسط الجماعات مما يلفت النظر — ولم يكن (البدوى) يوماً ما محارباً ولا مجاهداً فقد ظل عاكفاً على العبادة فى زاويته منذ جاء إلى طنطا [1]

اعتقـــادات وعادات

ومن المألوف فى ذلك الموكب أن ركوب الأطفال فى المركبات والأولاد على ظهور الدواب ولبسهم (طراطير السيد) الخضراء والحمراء فى مثل هذا اليوم من كل عام مما يقيهم شر العين ويصونهم من أذى الحسد ويحفظهم من كيد الشياطين والمردة والجان ! بل مما يطيل أعمـــارهم . وأغرب من ذلك أن إجراء عملية الختان قبل الموكب ببضع ساعات محمود العاقبة .

وبعد أن تكلم المراسل عن منصب الخليفة وصندوق النذور وفتحه قال :

---

(١) راجع ما كتبناه عنه من قبل

وترد على المقام الاحمـــدى فى معظم أيام السنة نذور غير مالية تعرف اصطلاحاً بنذور (مطبخ الجامع) وهى الشمع والسكر واللحم أو الماشية المذبوحة يستلمها ملاحظ النذور ويبيعها ويحتفظ بثمنها ثم يوزع إيرادها على الخدم فى كل شهرين مرة اهـ .

كل هذا يجرى تحت سمع الحكومة وبصرها وبرضاء السادة العلماء وحماة الشريعة .

ونشرت جريدة المصرى فى عددها الصادر فى ١٧-١٠-١٩٤٩ هذا المقال بالعناوين الآتية ، نقتطف منه ما يلى :

طنطا — نظره يا سيد ! — أعياد السيد البـدوى وموالده مليون رغيف تستهلكها طنطا كل يوم — البلدية تجمع النقود فى شكاير .

موالد الســيد البدوى

تحتفل طنطا باحياء ثلاثة موالد للسيد البدوى هى :

المولد الرجبى[1] ، والمولد الصغير ، والمولد الكبير

---

(١) يسمى بمولد الزيارة وينسب إلى رجل يسمى رجب العسيلى كان كبيراً للمحلة الكبرى — يوم أن كانت عاصمة الغربية — منذ أحضر كسوة وعمامة لضريح أحمد البدوى وحضر بها فى موكب كبير وجعل من ذلك موعداً لزيارة السيد كل عام ووقف من أمواله على هذه الزيارة وجرت العادة بذلك (صفحة ٩٧ من كتاب البدوى)

والمولد الرجبي لا تقام فيه خيام خارج المدينة كما هو الحال في المولدين الصغير والكبير ، وإنما تقام داخل المسجد الأحمدي ويخلى المسجد لهذا الغرض ويقيم الزوار فيه[١] بأمتعتهم طيلة مدة المولد وهي أسبوع يحيونه بالأذكار والاوراد ، وفي نهاية الاسبوع يحتفل بالليلة الكبيرة داخل مقام السيد أحمد البدوي — وتفتح المقصورة وتغير عمامة الضريح بعمامة جديدة[٢] وتوزع العمامة القديمة على محبي السيد البدوي فيحتفظ كل منهم بقطعة منها تبركاً بصاحبها . وبهذا الاحتفال ينتهي المولد الرجبي .

المولد الصغير

كان يقام عادة بعد حصاد القمح في أوائل فصل الصيف ويكون الزراع قد انتهوا من بيع القمح ، وهذا المولد يقام خارج المدينة في

---

(١) فيختلط الحابل منهم بالنابل والنساء بالرجال ويقضون ليالي المولد بعضهم مع بعض ولا يخفى ماينجم عن هذا الاختلاط وبخاصة في جنح الليل البهيم .

(٢) تغيير عمامة الضريح بأن يلفوا عليها عشرات من الامتار من قماش أخضر ثم ينزعوا ما كانوا قد لفوه عليها في المولد السابق ويكون قد اكتسب قداسة وبركة وبعد ذلك يوزعون ما انتزعوه على مشايخ الطريق وهؤلاء يقطعونه قطعاً صغيرة ثم يبيعونها للبركة

المكان الذى يقام فيه المولد الكبير ، وتقام الخيام ويأتى أرباب العادات بنذورهم وذبائحهم ويقيمون فى خيامهم وفى داخل المدينة .

سبب هذا المولد

يسمى المولد الصغير أيضا بمولد الدشيشة ومولد الشرنبلالية نسبة إلى الشيخ الشرنبلالى أحد مشايخ الطائفة الأحمديه وكان قد حضر لزيارة السيد أحمد البدوى فى غير وقت المولد الكبير ومعه كثيرون من أتباعه ومريديه فى أوائل الربيع وأقاموا بالقرب من السيد البدوى وأحيوا عدة ليال بالاذكار والعبادات ثم اتخذوا ذلك عادة فى كل عام ثم تبعهم الناس فى إحيائها .

المولد الكبير

يقام عادة بعد جنى القطن وبيعه ويوافق شهر اكتوبر من كل سنة فى الغالب وتحتشد فى هذا المولد جموع من مختلف أنحاء بلاد الجمهوريه[1] يزيدون أحياناً على المليون ، وتضيق طنطا وضواحيها

---

(١) مما نورده هنا على سبيل العبرة والعجب ما نشرته مجلة الاثنين بالعدد ٦١٤ الصادر فى ١٨ — ٣ — ١٩٤٦ عن رجل تولى الوزارة وكان قطباً كبيراً من أقطاب السياسة هوالاستاذ عبدالحميد عبد الحق — قالت هذه المجله تحت هذا العنوان :

(بركة) السيد البدوى

حكى لنا الشيخ المغربى — أحد خلفاء السيد البدوى — القصة

بهم وتمتد خيامهم إلى خارج المدينة عدة كيلومترات وتأتى الطوائف،

الآتية وقد رواها له الأستاذ عبد الحميد عبد الحق حينما افتتح مولد السيد البدوى وهو وزير للأوقاف .. قال له :

حدث وأنا فى الثامنة من عمرى — وكنت مع أهلى فى بلدتنا أبو قرقاص بالصعيد — أن صمم كل من والدى ووالدتى على أخذى إلى طنطا لأزور السيد البدوى فى مولده « وليحلقوا » لى شعرى هناك .. فتحل بركته علىّ .

وسافرنا إلى طنطا ومعنا عدة « عجول » لذبحها فى المولد، ونزلنا هناك ضيوفاً عند رجل كريم من تجار الصينى اسمه « أبو بكر » وفى الصباح ذهبنا إلى ساحة السيد البدوى حيث « قص » شعرى ثم وضع فى كفة ميزان ، ووضع والدى فى الكفة الأخرى ذهباً تعادلت به الكفتان ، ثم وضعا هذا الذهب فى صندوق « النذور » بضريح القطب الكبير .

وفى المساء قضينا فى بيت مضيفنا ليلة طيبة ، ذكرت فيها الله مع الذاكرين ، وأكلت من لحم عجل السيد ، وملأت جيوبى بكميات من « الحمص والحلاوة » .

ودارت الأيام دورتها ، إلى أن تذكرتها ، أو ذكرتنى بها والدتى بعبارة أصح ، حين طلبت أن آخذ ولدى لزيارة السيد البدوى فى مولده لتحصل لهما البركة التى حصلت لى من قبل .. وكانت الرحلة

الصوفية المختلفة لإحياء هذا المولد بأعلامهم وأشائرهم ودفوفهم ولا ينقطع طوافهم داخل المـــدينة فى جموع تهلل وتـكبر طوال أيام المولد الذى يستمر أسبوعاً كاملا .

ولـكثرة القادمين تضطر السكك الحديدية إلى تسيير عدة

الجديدة صورة طبق الأصل من رحلة زمان !

ولما أصبحت وزيراً — ووزيراً للأوقاف مشرفاً على الموالد — تلقيت اقتراحاً بالغاء « مولد السيد » لأنه بدعة ولأنه ليس من الدين فى شىء .

وكانت صورة المولد ماثلة فى ذهنى وتذكرت تســابق الناس — حتى البخلاء منهم — إلى العطف على الفقراء . وتذكرت الزحام الشديد فى طنطا ، وتذكرت تيقظ الروح الدينية فى أهل طنطا فى هذه المناسبة الماثلة فى حلقات الأذكار فى الليل والنهار .

تذكرت كل ذلك ، وعرفت أن أصحاب الاقتراح يحكمون على المظاهر ، ولا يحكمون على الجوهر — وأن الخير كل الخير فى رفض اقتراحهم . لأن المولد كان يخفى وراء مظاهره عيداً للفقراء ، وسوقاً للتجار ، وفترات رياضية روحية تطهر النفوس الضالة .

لذلك لم أكتف برفض الاقتراح ، بل صممت على أن أذهب بنفسى لافتتاح المولد فى ذلك العام . وكان يوماً لا أنســاه ، أعاد لذهنى ذكريات الطفولة ، وزاد فى إيمانى بفوائد الموالد ...

قطارات إضافية على فروع طنطا طيلة أيام الأسبوع ورغم ذلك تسكون مزدحمة بحيث تضيق بهم فيتخذون سقوف العربات مكاناً لهم ، وكذلك تستعد جميع شركات السيارات لهذا المولد وتعتبره مورداً هاماً من مواردها .

وفى صبيحة الليله الختامية تحتفل المدينة كلها بركبة الخليفة

تقاليد ركبة الخليفه

يتوجه أتباع الخليفة وأرباب الطرق إلى دار الخليفه فى الصباح حيث يكون فى انتظارهم فى حجرة خاصة وبعد أن يقرأوا الفاتحة يلفونه فى لباس أبيض يغطى وجهه وجميع جسمة ويخرجون به بين التهليل والتكبير سيراً على الأقدام إلى مسجد سيدى سالم وبعد قراءة الفاتحه فيه وزيارة الضريح يتابعون سيرهم إلى مسجد السيد البدوى حيث يتوجهون من فورهم إلى الحجرة الخاصة التى بها ملابس السيدالبدوى وآثاره ويكون المفتاح مع الخليفه فيأخذه أحدأتباعه ويفتحها ويدخلونه وفيها يفكون هذا اللباس الأبيض عن الخليفه ويلبسونه قميص السيد البدوى وهو أشبه (بزعبوط) من القماش الأحمر ويضعون على رأسه (دلق) سيدى عبد العال وهو عبارة عن قلنسوة سميكة لها شريط يمسكه الخليفة بيديه تحت دقنه ، ثم يخرجون به من باب المنادرة وهو أحد الأبواب الخلفيه لمسجد السيد البدوى فيركب الخليفه جواداً يكون فى انتظاره ويطوف طواف سيدى عبد العال فى موكب صغير جداً يجتاز شارع الخان

فدرب الفلالة بشارع السكة الجديدة إلى جامع سيدى البهى حيث يؤدى صلاة الجمعه !

وبعد صلاة الجمعه يخرج الخليفه فى مسجد سيدى البهى فى حفل كبير جداً تتقدمه موسيقى المطافى بقوة كبرى من رجال البوليس البيادة والسوارى فأرباب الطرق الصوفيه المختلفه وخلف كل طائفه خليفتها على جواد وفى نهاية هؤلاء جميعاً خليفه المقام الأحمدى وحوله الأتباع والمريدون ورجال البوليس يحافظون على النظام . . وينتهى الموكب عند مسجد السيد البدوى حيث يخلع الخليفه ملابسه ويُلف من جديد باللباس الأبيض ثم يتوجه إلى داره سيراً على الأقدام أو محمولا على الأعناق .

أقدم الموالد

وهذا المولد هو أقدم موالد السيد البدوى ويرجع سببه إلى أن أتباع السيد أحمد البدوى قدموا إلى طنطا عند وفاته للقيام بواجب العزاء وكان ذلك فى شهر أغسطس سنه ١٢٧٦ م — ولما لم تتسع (طندتا) لجموعهم أقاموا خيامهم خارجها فى مكان المولد الكبير الآن وظلوا ثلاثة أيام وعند رحيلهم ودعهم سيدى عبدالعال خليفة السيد البدوى واتفقوا على أن تكون عادة مستمرة كل سنة فى هذا الموعد وكان المولد الكبير يقام ثلاثة أيام فقط ثم أصبح ثمانية ولم يتقيد فيه بتاريخ الوفاة نظراً لمراعاة الأحوال الاقتصادية ورواج حالة الفلاح وبرودة الجو منعاً لانتشار الأوبئة والأمراض .

وترتفع أسعار الإيجارات فى مـــدة المولد بشكل يثير الدهشة فأحياناً يبلغ إيجار المتر الواحد لمدة ثمانية أيام جنيهاً ويتخذ أرباب الحرف والملاهى من أيام المولد مورداً هاماً من مواردهم حتى إن بعض الملاهى لا تغلق أبوابها ليلا ولا نهاراً .

مليون رغيف يومياً

وتستهلك طنطا يومياً مليون رغيف من المخابز عـــدا ما يحمله الزائرون معهم من خبز وغيره . . . ولا ينتهى المولد إلا وتكون طنطا قد أوشكت فعلا على الافلاس فى جميع مواردها التموينية .

ولا يحول بعد المسافات أصحاب العادات عن القدوم إلى المولد فلاعجب أن تجد بين رواد المولد وجوهاً من أسوان وقنا والاسكندريه ورشيد كما يزور المولد بعض أهالى السودان .

مورد هام للبلديه

تفوز وزارة الأوقاف وبلدية طنطا بنصيب الأســـد من مولد السيد البدوى بما يؤجران من أملاكهما لرواد المولد إذ تؤجر الأوقاف الفدان الواحد فى مدة المولد بما يقرب من ٨٠٠ جنيه .

ولا يقل دخل البلدية من إيجارات وضرائب فى أسبوع المولد عن خمسة آلاف جنيه .

فلوس فى شكاير

وقد جمعت البلدية رسوم المولد الماضى فى شكاير فكان محصلوا البلدية يمرون على المستأجرين ويجمعون الضرائب فى

(شكاير) لأن جيوبهم وشنطهم لا تتسع لما يجمع .

نظره يا شيخ العرب

وزوار السيد البدوى لا يكادون يلجون باب المسجد حتى ترتفع صيحاتهم (نظره ياشيخ العرب ! مدد ياسيد ! يامنجد العيان ! ياندهة المنضام ! يا بحر طامى يا شيخ العرب ياسيد وهكذا لا تنقطع أفواههم وتوسلاتهم طيلة أيام المولد . اهـ ما كتبته المصرى .

والمطلع على ما كتبته هذه الجريدة وما كتب من قبل فى وصف موالد أحمد البدوى يجد أن الذين كتبوا جميعاً قد وقفوا دون عتبة مسجد البدوى ولو أنهم أخذوا طريقهم إلى ضريح البدوى لرأوا وسمعوا مايقال ويُفعل هناك من الوثنيات والخرافات من تقبيل الزائر لعتبة البدوى — ومن قبّـل الأعتاب ما خاب — والتمسح بأركان الضريح والطواف حوله والاستغاثة به وطلب الحاجات منه ومناجاته بمثل قولهم — مدد يا سيد ! العارف لا يعرف والشكوى لأهل البصيرة عيب — خد بالك من الأولاد ! — لا تنسنى فى القضية وما إلى ذلك من الحاجات والرغبات كأنه إله يسمع ويرى ويجيب !

وبعد انتهاء المولد يغسلون بلاط الضريح ويأخذون الماء الذى يغسل به للتبرك ويوزع بين كبار مشايخ الطرق بنظام متبع .

ولابد أن يذهب حاكم الاقليم عند انتهاء المولد ببركة المولد إلى القصر الملكى العامر . وهاك خبراً نشرته جريدة الأهرام فى ٥ شهر ١١ سنة ١٩٥٠ :

بركة المولد الأحمـــدى

وصل إلى القاهرة صاحب العزة محمد مصطفى كمال الديب بك ، مدير الغربية وزار القصر الملكى العامر والوزارة ، وقدم بركة المولد الأحمدى — وهى الهدية التقليديه من الحلوى والحمص

من عجيب ما كان يرتـكب فى المولد الأحمدى

وهنا نسوق لك أمراً عجباً مما كان يقترف فى المولد الاحمدى منـذ مئة وخمسين سنة ذلك المولد الذى له خصائص ليست لغيره من سائر الموالد . ننقله عن كتاب (المصريون المحدثون — شمائلهم وعاداتهم فى القرن التاسع عشر) لمؤلفه المستشرق الانجليزى إدوارد وليم لين .

قال[1] عن الطريقة الاحمدية وهو يتحدث عن (أشهر طوائف الدراويش فى مصر) (الاحمدية) وهم طائفة السيد أحمد البدوى . وهـذه الطائفة كثيرة العدد ومحل الاحترام ، وراياتهم وعمائمهم حمراء ، وتعتبر (البيومية) ومؤسسها السيد على البيومى ، و(الشعراوية)ومؤسسها الشيخ الشعراوى، هى الشعرانى، و(الشناوية) ومؤسسها السيد على الشناوى فرقاً من الاحمدية . ويشترك الشناوية فى اليوم الاخير من مولد شفيعهم الكبير السيد أحمد البدوى فى طنطا بنصيب غريب ! إذ يجرون حماراً فى ذلك اليـوم ويتركونه يدخل المسجد من تلقاء نفسه فاذا دنا من الضريح حيث يحتشد

(١) ص ١٧٢ و ١٧٣ .

الجماهير ، نتف كل من استطاع بعضاً من شعره كتعويذة !. حتى يصبح جلد الحيوان المسكين عارياً كراحة اليد . وهناك فرقة أحمديه أخرى تسمى (أولاد نوح) كلها شبان يلبسون (طراطير) تعلوها شرابه من قطع الجوخ المختلف الالوان ويحملون سيوفا خشبية وسياطا من الحبال السميكة المجدولة المسماة (فرقلة) ويلبسون عدة عقود من الخرز[1] اهـ .

أحمد البـــدوى وبعض الوزراء

كنا نستيقن أن ثورتنا المباركة التى قضت على مظاهر الطغيان فى البلاد ستتم عملها بتطهير البلاد مما أصابها من وثنيات وخرافات وأنها ستثور على هذه الطواغيت المنبثة فى أرجاء البـلاد وتحطم الأوثان التى لا يخلو منها مكان لأنها من أكبر الأسانيد التى كان يرتكن عليها الحـكام الظالمون فى إقامة حكمهم ، ذلك بأن شيوع الخرافات والاوهام بين العامة تلهيهم عن حقوقهم فى الحياة ، وتغل عقولهم وأفكارهم عن طلب حريتهم ، ولو لم توجد هذه الخرافات ما قامت لهؤلاء الحـكام الظالمين قائمه

كنا على يقين من ذلك وبخاصة بعـد أن زالت أسباب وجود هـذه العلل الاجتماعية وقضى على الحـكام الظالمين الذين كانوا

---

(١) إذا كانت عادة الحمار قد انقطعت فان عادة أولاد نوح وغيرها لا تزال جارية فى كل مولد .

يستغلونها وأصبح الحكم والحمد لله فى غير حاجة إلى أن يستند إلى هذه الاوهام أو يستعين بهذه الخرافات !

ولكن لا زالت الامور تجرى على ما كانت تجرى عليه من قبل .

ووجدنا وزارة الارشاد التى تقوم وظيفتها على إرشاد الناس إلى ما ينفعهم فى حياتهم ، ويثقفهم فى عقولهم وأفكارهم ، ويبصرهم بما يقيهم شر مايضرهم فى دينهم ودنياهم — وجدنا هذه الوزارة التى لا عمل لها غير ذلك — تشجع الناس على إقامة الموالد — فابتدعت بدعاً جديدة فيها ما سمعنا بمثلها من قبل ! ! وهذه البدع ولا شك تثبت قواعد الموالد وتساعد على انتشارها ! ذلك انها تخصص جوائز مالية فى كل مولد للشعراء والناظمين الذين يجيدون القول فى صاحب المولد حتى ولو كان لا حقيقة له ! — كما فعل فى مولد السيدة زينب ، وهذه السيدة ليست موجودة بمصر على ما يقضى به التاريخ الصحيح ، وتعطى هذه الوزارة كذلك جوائز سخية لمن يصنع أحسن عروسة من الحلوى ، أو يقيم أبهى زينة فى الشوارع ! ولعل ذلك تطور جديد لنظام الموالد اقتضاه العصر الحديث فقامت به وزارة الارشاد ، وقد أصبح تشجيع وزارة الارشاد للموالد والتفنن فى إقامتها موضع تندر الناس جميعاً — وقد استفاض هذا التندر حتى دخل قاعة مجلس الامة ! فقد ذكر الصحافى اللبق الاستاذ مصطفى أمين رئيس تحرير جريدة الاخبار فى وصفه لما يجرى فى مجلس الامة ما تحدثت به النائبة المحترمة راوية عطية

عن هذا التشجيع ما نصة منقولا عن العدد ١٥٩٨ من جريدة الأخبار الصادرة فى ٢١ أغسطس سنة ١٩٥٧ بعنوانه :

« راوية ميه فى الميه »

فاجأت النائبه راويه عطيه المجلس مفاجـأة غريبه فقالت : إن وزير الشئون تكلم عن لجنة فى وزارته للقضاء على التقاليد والعادات القبيحه !(١) مثل الزار واحتفالات الموالد ! ولـكن ما رأيه إن وزير الارشاد يشجع الموالد ! نحن نطالب لجنة وزارة الشؤون أن تبحث ما تفعله وزارة الارشاد بتشجيع الموالد ، لان فى هذا إساءة لسمعة مصر !

وضج المجلس بالضحك وصفق لراوية ... وتلفت المجلس إلى فتحى رضوان وزير الإرشاد فاغرق فى الضحك ، ودافع حسين الشافعى عن الموالد وقال : إنها أسواق عامة لتصريف المنتجات الريفية »

ونحن لا ندرى إذا كان دفاع السيد وزير الشؤن عن زميله قد صدر عن يقين أو إنه إنما كان يريد إنقاذ زميله فقط ، ولا نعرف كذلك إن كان قد اقتنع أعضاء مجلس الأمة أم ظلوا فى تصفيقهم وضحكهم — على أننا سنبين أن الحجة التى أوردها السيد وزير الشؤون لا تنهض لإقامة الموالد — التى هى مفاسد .

(١) كانت قد ألفت لجنة لهـذا الغرض فى سنة ١٩٣٦ كما سنعرف بعد ، ولـكنا لم نجد لها إلى اليوم عملا ، ولعلنا نجد لهـذه اللجنة الجديدة التى ألفت فى عهد الثورة أثراً محموداً وعملا حازما .

وقد قرأنا بعد قيام الثورة فى إحدى المجلات الاسبوعية أن بعض من يستنكرون البدع قابلوا الشيخ الباقورى — وهو وزير الاوقاف — وطلبوا منه أن يعمل على القضاء على بدعة الموالد ، التى هى فى الحقيقة مفاسد ! فلم يوافقهم وقال لهم ما معناه : إن هذه الموالد هى التنفس الوحيد للعامة الذى يلهون فيه ويلعبون !

وقد عجبنا أن يصدر مثل هذا القول من سيادته وهو من علماء الدين النابهين . وإنا لا نمنع أن يتخذ الناس ما يشاءون من أسباب اللهو واللعب ، وأن يستمتعوا بضروب التسلية والعزاء وكل ما يخفف عنهم من أثقال الحياة ومتاعبها ، أو أن تتفرج بها النفوس مما يضايقها ، لأن ذلك مما تتطلبه النفوس المرهقة بالكد والنصب حتى تشجع وتنشط لاستئناف عملها . إن ذلك كله لا بأس منه ولا تثريب عليه ، ولكن على شريطة أن لا يكون من وراء ذلك مفسدة لدينهم أو إساءة لاخلاقهم أو انتهاك لاعراضهم أو تبذير لاموالهم ذلك بأن أول غرض تتجه إليه غاية المصلحين فى الحياة هو حياطة الدين والاخلاق مما ينالها أو يسىء إليهما ، ولم يقل أحد أن الموالد من أسباب اللهو البرىء المباح ! بل أجمع العقلاء والمصلحون على أنها من المفاسد التى يجب إزالتها والقضاء عليها . ذلك بأنه إذا كان من مظاهرها اللهو واللعب ، وفيها شىء من النفع التجارى للناس فان ضررها ولا ريب أكثر من نفعهـــا ، ومفاسدها تربى على مصالحها ، فهى مباءة للفسوق وانتهاك الحرمات ، وفيها ترتكب

الخازى والموبقات ، مما أتينا من قبل على وصف ذرو منه . على أنها كذلك سوق رائجة للبدع والخرافات ، ووراء ذلك كله ما هو أدهى وأمر ، وأنكى وأضر ، ذلك أنها مصرع لعقيدة التوحيد التى هى أصل دين محمد صلوات الله عليه[1]

والسيد الوزير ولا شك خبير بأن الامر إذا كان فيه نفع من ناحية ، وضرر من ناحية أخرى ، كان منعه هو الاولى ، لان القاعدة الاصولية تصرح بأن (درء المفاسد مقدم على جلب المنافع)

ولو أن سيادته أخذ يوما طريقه إلى أحد الموالد وألقى نظرة على ما يقترفه رواده من المنكرات وبخاصة فى زيارتهم للأضرحة من التمسح بها والطواف حولها ، وأرهف سمعه إلى توسلاتهم بمن فيها - أو بما فيها - من الميتين - وتضرعاتهم وابتهالاتهم إلى أصحابها المقبورين[1] مما تذهب النفس المؤمنة منه حسرات - لهاله الامر واستعاذ بالله ، ولرجع وقلبه يفيض حزناً وغضباً على ما أصاب الاسلام فى صميم عقائده .

على أن هذه الموالد قد أصبحت من الامور التى تسىء بفضائحها وقبائحها سمعتنا لدى سائر الامم وتجعلنا بمهازلها ومساخرها موضع سخريتهم وضحكهم .

فهذه الصور كلها يجب أن تزول ، كما يقول السيد الوزير فى بعض ما يذيعه .

---

١) سنبين ذلك مفصلا فيما بعد

وإنا بمناسبة الكلام عن موالد أحمد البدوى نأتى هنا بموجز لوصف احتفال عظيم بالمولد الاحمدى الكبير ، أقيم منذ أربع سنوات نورد فيه ملخصاً لخطبتين ألقيتا فى هـــذا الاحتفال من وزيرين كبيرين. وقد صدرهذا الوصف عن جريدة المصرى الصادرة فى ٢٣ أكتوبر سنة ١٩٥٣ وجعلت له هذه العناوين :

خطابان هامان لحسين الشافعى والباقورى فى طنطا...

حسين الشافعى : علينا أن نزيل من طريقنا الخيانة التى عطلت كثيراً من مراحل ثورتنا .

الباقورى : لأهالى طنطا — موطن هذا الإمام العظيم — مواقف كريمة فى التضحية والفداء .

طنطا فى ٢٢ — من سعد البهنيهى ومكتب المصرى :

كان اليوم (أمس)يوم طنطا فقد احتشد أكثر من مليون شخص(١) لحضور الليلة الختامية للمولد الأحمدى — وقد التقت مع حفاوة الجموع بهذا المولد حفاوة أخرى هى حفاوة الشعب بالبكباشى حسين الشافعى ابن طنطا وفضيلة الاستاذ أحمد حسن الباقوى وزير الأوقاف والدكتور عبد الرءوف صدقى وزير الزراعة ومرافقيهم من ضباط الجيش ورجال هيئة التحرير .

---

(١) يلاحظ أن ذلك فى أواخر عام ١٩٥٣ .

وبعد أن ذكرت الرسالة تنقلات ركب الوزراء بين نوادى المدينة وبيوتها الكبيرة ومنها خليفة السيد قالت :

في سرادق هيئة التحرير

ثم انتقل الركب بعد ذلك إلى ساحة المولد حيث السرادق الكبير الذى أقامته هيئة التحرير وقد احتشدت فيه جموع لاتحصى وبعد تلاوة آى الذكر الحكيم استعرض البكباشى حسين الشافعى قوات الفدائيين ثم قدم المذيع فضيلة الاستاذ أحمد حسن الباقورى

خطبة الشيخ الباقورى

وقد استهل فضيلة الشيخ الباقورى خطبته بتحية الحاضرين ثم قال :ـ

نحن اليوم فى مدينة طنطا وفى احتفال هائل عظيم بذكرى رجل من خيار الناس وعلماء المسلمين هو الإمام الجليل السيد أحمد البدوي

وبعد أن تكلم عن الوحى الأول فى خطبته وكان فى فضائل الرجل العظيم السيد المنشاوى باشا يرحمه الله قال عن :

(الوحى الثانى)

بقى الوحى الثانى وهو احتفالنا بذكرى السيد البدوى رضى الله عنه ، وكان رجلا عظيما بحق ! والذين درسوا تاريخ السيد البدوى يخرجون منه بحقائق ثلاث :

الأولى — أنه كان رجلا بعيد الهمة

والثانية — أنه كان حسن التفكير حسن العمل

والثالثة — أنه كان رجلا شديد الإيمان بالله

ثم أخذ يبين هذه الحقائق الثلاث فقال :

أما بعد همته فلم يشأ أن يحيا إنساناً مهملامسلوب الإرادة ينزوى فى ركن من أركان الحياة راضياً بالعبوديه لغيرالله رب العالمين فسمت همته وعلت مروته .

نشد أن يحكم مصروأن يخلصها من حكم المماليك الأتراك إذ كانوا بعيدين بوجودهم عن البلاد . فقد جاءوا من أوروبا بوصف كونهم مماليك ثم حكموا البلاد بوصفهم سلاطين ، رأى السيد البدوى أن هؤلاء المماليك قد اغتصبوا ملكه وهو الشريف الذى ينحدر من سلالة النبى ﷺ انحدار النبعة الكريمة من الشجرة الأصيلة . فما الذى يقعد به عن أن يأخذ حقه باعتباره رجلا كفئاً لعظائم الأمور؟ فأراد أن يعمل عملاعظيما يحقق الصالح العام ، من أجل ذلك قام السيد البدوى بنشر دعوته وكان يؤمن بالدين ويطبقه على نفســـه وعلى أتباعه ، فلم يكن تاجراً أبداً ولم يكن يرى إلا أن يلتزم الناس حدود الله ، فراح يكتل الكتل والجيوش وكان المريدون يجتمعون إليه فى كل عام وهو من فوق سطح منزله يستعرضهم ، ثم يبث الدعاة فى الأقاليم ليحملوا الناس على طاعته حتى إذا ما جاء الليل كان صورة للرجل الذى تملأ قلبه خشية الله . وهذا هو الأمر الثانى .

أما الأمر الثالث : فقد كان رجلا قوى الصلة بالله ونحن ننشدها اليوم فى الدراويش الذين يريدون أن يعيشوا اليوم باسم السيد البدوى ، وكان الرجل مشغولا بالمسألة العامة ، فليكن مريدوه والذين يحتفلون به مقتدين به فى فعل الخير وحسن الصلة بالله فذلك هو التكريم الحق لعظمائنا وأبطالنا .

ثم ختم كلمته بقوله :

وإذا كانت الموالد على هذه الصورة المائعة التى كنا نراها قبل الثورة[1] والتى لا ترضى الله ولا السيد البدوى فان هذه الصورة يجب أن تتغير فى عهد الثورة وأن يكون احتفالنا هذا لائقاً بالثورة وبعظمة السيد البدوى !

أيها المسلمون ، رضى الله عن مولانا السيد البدوى وكتب لبلادنا الفلاح والنجاح .

خطاب حسين الشافعى

وبين الهتافات المدوية قام البكباشى حسين الشافعى وزير الشئون الاجتماعية وألقى خطبة عامرة بالمعانى القوية كان منها :

بنى وطنى من أهل طنطا وأهل كل بلد جاءوا إلى طنطا ليحتفلوا بهذه المناسبة الكريمة — لقد استمعنا إلى سيرة هذا الولى البطل

---

(١) لقد صدق السيد الوزير فيما وصف به الموالد فى بلادنا وهو فى ذلك ولا ريب —معنا

كما بينها فضيلة الأستاذ أحمد حسن الباقورى فى ذلك الوصف المسهب الواضح يجب أن نلتمس فى شخصية السيد أحمد البدوى صورة المسلم الحق والمجاهد الحق الذى قام يدعو إلى التحرير ، والتحرير هو الرسالة التى حملها إخوانكم الضباط الأحرار وأخذوا أنفسهم بها وقرروا فى عزم وقوة أن يحرروا بلادهم الخ .

وقع هذا الاحتفال منذ أربع سنين — أى غداة قيام الثورة — وما نحسب إلا أن السيدين الوزيرين لم يلقيا ما ألقياه فيه إلا لأن البلاد كانت يومئذ قريبة عهد بجاهلية الطغيان ، وأن العقائد الفاسدة لا تزال راسخة فى الأذهان ، فأدارا القول على هذا النحو من البيان إذ لكل مقام مقال ، والبلاغة هى مراعاة مقتضى الحال . وكأنهما يريان من حسن السياسة أن تعالج البدع والخرافات وما إليها مما يتصل بعقائد العامة وعواطفهم تدريجياً وأن الالتفات إليها وتطهير البلاد منها إنما يكون بعد أن تخلص من الجهاد الخارجى (١)

---

(١) حقاً أن للسياسة حكمها ، وهاك قطعة من خطاب سياسى لاسماعيل صدقى ألقاه فى الليلة الختاميه للمولد الأحمدى فى ١٠ اكتوبر سنة ١٩٤٦ .

« يسرنى كل السرور أن ألتقى وإياكم فى مدينتكم الجميلة القديمة العهد ، الخافقة القلب بصادق الوطنية وقوى الايمان ، ويزيد سرورى أن يكون هذا اللقاء فى ظلال مقام طاهر مبجل ، وفى ذكرى مولد سعيد تفيض منه البركات على هذا الوادى من مئات السنين »

هذا ما نحسبه لأن مما لا ريب فيه أن السيد البدوى لم يكن على تلك الصفات التى أضفيت عليه من السيدين الوزيرين ، ولم يبلغ أن يكون حتى من علماء الصوفيين فضلا عن أن يكون من علماء المسلمين ولم يقل أحد ممن يوثق بقولهم أنه كان إماماً جليلا ، أو إماماً ضئيلا فى الدين اللهم إلا إذا كانت هذه الإمامة فى (الدروشة) وهذا مالا ندفعه أو نعترض عليه .

أما سياسة المعالجة التدريجية — إذا كانت هى المقصودة — فانا نقرها ، وإن كنا نعلم أن عمل الرسول صلوات الله عليه — فى أول دعوته — كان على غير ذلك . - فقد جعل تطهير العقائد وتحرير العقول أول ما جاهد فى سبيله — وقد أخذ ذلك بالحزم وعدم المهادنة ولم تأخذه فى ذلك هوادة ولا لين .

معتقد بعض شيوخ الازهر

فى أحمد البدوى وفى غيره من المقبورين

لم يقف اعتقاد بعض شيوخ الازهر الاقدمين فى أحمد البـدوى عند الشعرانى وغيره ، وأنهم شاركوا الأميين والجهلاء فى عقائدهم ، ولـكنه امتـد إلى بعض شيوخ العصر الحديث ، ولو أن دائرة المعارف الاسلامية التى عجبت من عمل الشعرانى قديماً قد اطلعت على أعمال شيوخنا المحدثين لازداد عجبها ولهالها الامر وبخاصة إذا علمت أنهم قد بثوا هذه العقائد فى بعض كتبهم التى تدرس بالمعاهد الدينية لينشأ طلبة العلم عليها ويمتحنوا فيها .

وهاك طرفاً من صنيعهم :

« قال خاتمة المحققين العلامة الشيخ الشرقاوى[1] على متن التحرير لشيخ الإسلام زكريا الانصارى وكان (خلوتياً على طريقة الخلوتية) — ولو غسل الميت نفسه كرامة — كما نقل عن سيدى أحمد البـدوى رضى الله عنه ، وكذا سيدى عبد الله المنوفى المالـكى رضى الله عنه — كفى — وكذا لو غسل ميت ميتاً آخر[2]

---

(١) هو الشيخ عبد الله الشرقاوى تولى مشيخة الازهر وبقى فيها إلى أن توفى فى أوائل شوال سنة ١٢٣٧ هـ

(٢) ص ٣٧٠ ج ١

وقال البيجورى[1] فى حاشيته على شرح ابن قاسم الغزى على متن أبى شجاع التى كتب بعضها فى الحرم المكى و بعضها فى الحرم المدنى ـ وكان يقول أثناء كتابتها : مددك يا رسول الله — مددكم يا أهل البيت — « ولو غسل الميت نفسه كرامة ، كفى ! كما وقع لسيدى أحمد البدوى أمدنا الله من مدده[2] وهذا الكتاب من الكتب الكبيرة فى مذهب الشافعى .

وقال علامة العراق محمود شكرى الألوسى أن الشيخ مصطفى البولاقى حدثه أن بعض رؤساء الجامع الازهر عاده لما اشتكى عينه وقال له ، هلا ذهبت إلى مولد الشيخ أحمد البدوى ؟ فقد حكى أن إنسانا اشتكى إليه ذهاب بصره فسمع قائلا يقول من الضريح ، أعطوه عين كذا و كذا[3]

وحدث الشيخ خليل الرشيدى بالجامع الازهر أن بعض أعيان المدرسين هناك قال ، لايدق وتد فى القاهرة إلا باذن أحمد البدوى[4]

وقال الشيخ صاوى فى حاشيته على الخريدة البهية وهى من كتب العقائد المشهورة التى تدرس بالمعاهد الدينية ، وهو يتكلم عن التصوف

---

(١) هو الشيخ ابراهيم البيجورى تولى مشيخة الازهر وبقى فيها الى أن توفى فى أواخر القعدة سنة ١٢٧٧هـ

(٢) ص ٣١٩ ج ١

(٣) ص٨٦ ج ١ من كتاب غاية الامانى فى الرد على النبهانى

(٤) ص ٨٨ من المصدر السابق

والاقطاب الاربعة ، قال رحمه الله فى ترجمة أحمد البدوى

قال المناوى ، هو ابن على بن ابراهيم بن محمد بن أبى بكر البدوى الشريف الحسيب أصله من بنى برى قبيلة من عربان الشام ، ثم سكن والده المغرب . ولد رضى الله عنه بفاس سنة ٥٩٦هـ ونشأ بها وحفظ القرآن وقرأ شيئاً من فقه الشافعى ، وحج أبوه به وإخوته سنة ٦٠٩هـ وأقاموا بمكة ومات بها أبوه سنة ٦٢٧هـ وعرف بالبدوى للزومه اللثام ولبس لثامين ، فلم يفارقهما ولم يتزوج واشتهر بالعطاب لكثرة عطبه من يؤذيه . ثم لزم الصمت فكان لا يتكلم إلا بالاشارة — وقوله — ثم حصلت له جمعية على الحق فاستغرق الى الابد .. قال المتبولى، قال رسول الله ﷺ ما في أولياء مصر بعد محمد بن ادريس أكبر فتوة منه ، ثم نفيسة ثم شرف الدين الكردى ثم المنوفى اهـ. وكان بمكة أربعين يوما لا يأكل ولا يشرب ولا ينام وأكثر اوقاته شاخص ببصره نحو السماء ، وعيناه كالجمرتين ، ثم يسمع هاتفاً يقول ثلاثاً ، قم واطلب مطلع الشمس فاذا وصلته فاطلب مغربها ! وسر إلى طندتا فيها مقامك أيها الفتى ! فسار إلى العراق فتلقاه العارفان الكيلانى والرفاعى فقالا يا أحمد ، مفاتيح العراق والهند واليمن والمشرق والمغرب بأيدينا فاختر أيها شئت ! قال ، لا آخذ المفتاح إلا من يد الفتاح ! ثم رحل إلى مصر فتلقاه الظاهر بيبرس بعسكره وأكرمه وعظمه فدخلها سنة ٦٣٤هـ ، فأقام بطندتا على سطح دار لا يفارقه ليلا ولا نهاراً اثنى عشر سنة ، وإذا عرض له الحال صاح صياحا عظيما وتبعه جمع ، منهم عبد العال وعبد المجيد .

ولما دخل طندتا (طنطا) كان بها جمع من الأولياء فمنهم من خرج منها هيبة له كالشيخ حسن الاخناني ، ومنهم من مكث كالشيخ سالم المغربي ومنهم من أنكر عليه كصاحب الديوان العظيم بطندتا المسمى بوجه القمر كان ولياً كبيراً فثار به الحسد فسلبه .

وكان رضى الله عنه إذا لبس ثوباً أو عمامة لا يخلعها لا لغسل ولا لغيره حتى تبلى ، وكان يعرف من هو من أولاده بالكشف ؛ وكان لا يكشف اللثام عن وجهه فقال له عبد المجيد : أرني وجهك قال ، كل نظرة برجل ! قال أرنيه فكشف فمات حالا ، وله كرامات منها قصة المرأة التي أسر ولدها الافرنج فلاذت به فأحضره في يومه . ومر به رجل يحمل قربة لبن فأشار بأصبعه إليها فانفتحت فخرج منها حية انتفخت ، وأنكر عليه ابن اللبان فسلب القرآن والعلم فصار يستغيث بالأولياء حتى أغاثه ياقوت العرش فشفع له فرد ذلك عليه وأنكر عليه الشيخ خليفه الابيارى وحظر على من يحضر مولده فابتلى بحية قرصت فمه ولسانه فمات . واجتمع به ابن دقيق العيد[1] فقال له إنك لا تصلي[2] ما هذا سنن الصالحين ! فقال له : اسكت وإلا

---

(١) كان الشيخ عزالدين بن عبدالسلام يقول : ديار مصر تفخر برجلين في طرفيها ابن المنير بالاسكندرية وابن دقيق العيد بقوص

(٢) رووا عن أحمد البدوى أنه قال .

وفى طندتا قالوا صلاتى تركتها	ولم يعلموا أنى أصلى بمكة
أصلى صلاة الخمس فى البيت دائماً	مع السادة الاقطاب أهل الطريقة

وهذا من أكاذيبهم لانه لا يحسن أن يقول شعراً ولا نثراً

طيرت دقيقك ! ودفعه فاذا هو بجزيرة متسعة جداً فضاق ذرعه حتى كاد يهلك فرأى الخضر فقال له : لا بأس عليك !! إن مثل البدوى لا يعترض عليه ! إذهب إلى هذه القبة وقف ببابها فانه سيأتيك العصر ليصلى بالناس !! فتعلق بأذياله لعل أن يعفو عنك ففعل فاذا هو ببابه . مات سنة ٦٦٥ هـ رضى الله عنه وعنا به انتهى ما نقلناه من حاشية الشيخ صاوى[1] على الخريدة .

نقلنا هذه الترجمة على طولها[2] ليعلم الناس ناحية من نواحى العقائد فى معاهدنا الدينية ولولا أن يمل القارىء لأتينا بتراجم سائر الأربعة الاقطاب - الجيلانى والرفاعى وابراهيم الدسوقى وفيها ما هو أعجب وأغرب!!!

ولكى نستوفى القول فيما جعلوه من دراسة العقائد فى المعاهد الدينية نقول لك إن الشيخ صاوى هذا قد قال : إنه لا بد لكل مسلم من « اتباع شيخ عارف قد سلك طريق أهل الله على يد شيخ كذلك إلى أن ينتهى إلى رسول الله ﷺ — ومن لم يصحب شيخا

---

(١) الشيخ صاوى هو العلامة الكبير والفهامة النحرير سيدى أحمد الصاوى وحاشيته على شرح القطب الكامل والغوث الواصل أبى البركات سيدى أحمد الدردير على منظومته فى العقائد المسماة بالخريدة البهية التى تدرس بالمعاهد الدينية .

(٢) ص ١٣١ إلى ١٣٣ من الطبعة الرابعة .

يدله على الطريق إلى الله واستقل بمـــا عنده من عبادة أو علم فقد تعرض لإغراء الشيطان له ولذا قيل من لاشيخ له فالشيطان شيخه وبالجملة من لم يسلك على يد شيخ عارف فلا يمكنه الترقى إلى منازل القرب ولو أتى بعبادة الثقلين[1] اه

كان الشيخ بكر محمد الصدفى[2] مفتى الديار المصرية (كان) قد سمع أن الشيخ عبد الرحمن الشربينى[3] شيخ الأزهر ، كان قد سعى فى إغضاب قلب الخديوىعباس عليه ، فلم يجد وسيلة يدرأ بها هذه السعاية ويستبق رضا الخديوى عنه وأن ينتقم من عدوه بتعجيل عزله من منصبه إلا أن يستغيث بالشيخ أحمد البدوى ، فنظم فى ذلك قصيدة عصماء ورفعها إلى أحمد البدوى ، وحدث أن كان الخديوى

---

(١) ص ١٢٦ من نفس المصدر

(٢) أحيل الشيخ بكر الصدفى إلى المعاش من منصبة فى الإفتاء على أثر العثورعلى هذه القصيدة وراء قضبان ضريح السيد البدوى وكانت إحالته على المعاش ختام العلاقة بين مصر وتركيا ، ونصب بدله الشيخ محمد بخيت مفتياً للديار المصرية بأمر سلطانى مصرىمن السلطان حسين كامل مؤرخ ٤ صفرسنة ١٣٣٣ (ديسمبرسنة ١٩١٤)

(٣) تولى الشيخ عبد الرحمن الشربينى الشافعى مشيخة الأزهر فى ١٧ من المحرم سنة ١٣٢٣ وبقى فيها إلى أن استقال منهـــا فى ذى الحجه سنة ١٣٢٤ هجريه .

عباس فى زيارة لضريح أحمد البدوى فلفت نظره وجود أوراق كثيرة داخل قفص الضريح ، ولما سأل عن هذه الأوراق وسبب وضعها فى هذا المكان قيل له إنها شكايات المظلومين التى يرفعونها إلى القطب الكبير فأمر باخراجها فوجد بينها هذه القصيدة فقامت ضجة أودت بالشيخ المفتى نفسه فأقصى عن وظيفة الافتاء ، وكان ذلك جزاء هذا الالتجاء والاستنجاد !!

وهذه هى القصيدة بمقدمتها .

« إلتجاء واستنجاد برجل الفتوة طويل النجاد ، إمام الأولياء وسراج الأصفياء الغوث الأوحد ، سيدى وولى نعمتى البدوى أحمد دامت إمداداته ، وعمت فى الدارين بركاته .

آمين آمين لا أرضى بواحدة حتى أضم إليها ألف آمينا

* * *

أيرضيك ياغوث الورى وإمامهم غبينة اهل الحق والحق ظاهر
تعدى لئيم القوم واشتد بغيه وجاء بكل الحقد وهو يجاهر
أتى بالمعاصى معلناً وهو يدعى مكانة دين قيم وهو فاجر
وساعده حزب على شكله سعوا بكل فساد أوضحته الكبائر
فضلوا جميعاً عن طريق رشادنا وأزهرنا منهم غدا وهو صاغر
فجئنا حماكم نرفع الأمر سيدى ونطلب دين الله والله ناصر
وأنتم إمام الأوليـاء ولا مرا وأنت غياث الملتجى وهو حائر
إذا كان يا مولانا أزهر ديننا تدور عليه فى الضلال الدوائر

فأين يكون الدين يا سيد الورى — وأين يكون العدل والعدل عاطر
فها قد بسطنا بعض شأن نريده — وثم أمور قد حوتها الضمائر
فمنها دخول فى البقا وهداية — لأقوم طرق الله وهى المفاخر
وصحـــة جسم للذين أحبهم — كذلك لى فى العز والعمر وافر
ونصر على الأعدا وجاه مؤيد — وفوز مبـــين دائما يتقاطر
وتيسير ماأرجوه فى كل مطلب — وسكنى جنان الخلد حيث الأكابر
ورؤية خير الخلق جهرا بسرعة — فهاقد مضى عمرى وقل التناصر
فقل ياطويل الباع ها قد أجبتكم — بكل الذى ترجون والله جابر
وصلى على المختار ربى مســـلما — كذا آله ما قام بالذكر ذاكر

كتبه عبد الإحسان الواقف بالباب

الراجى سرعة الجواب

بكرى محمد عاشور الصدفى — مفتى الديار المصرية

وكان سرعة الجواب إقصاؤه عن منصب الإفتاء ، رحمه الله وعفى عنه .

* * *

سلف القول فى بيان عقيدة شيوخ الازهر فى الشيخ أحمـــد البدوى ، ونتم الحديث ببيان عقائدهم فى المقبورين غير البدوى ولا نفيض فى ذلك لان المجال لا يحتمل الإفاضة فيه ، وهو كثير .

بدعة مولد الإمام الشافعي وحفلة الكنسة

قال العالم الجليل محمد رشيد رضا رحمه الله :[1]

لما اخترع المسلمون بدعة مولد النبي صلى الله عليه وسلم[2] وصاروا يحتفلون له ، كبر ذلك على بعض العلماء الذين كانوا على طريقة السلف ، وعدوه ابتداعاً في الدين ، وشرعاً لم يأذن به الله . ذاهبين إلى أن الله لو أراد أن يكرم نبيه بذلك لشرعه لنا ، ولو أن لأحد أن يشرع مثل هذه الزيادة في الدين لفعلها الصحابة والتابعون والأئمة المجتهدون عليهم الرضوان ، لأنهم أعلم بمقام النبوة وما ينبغي له . فما بال هذه العناية بتعظيمه لم تظهر إلا بعد ضعف الدين ! وما بال أكثر المحتفلين بها من أهل البدع والمعاصي المسرفين ! لأنهم لم يجدوا شيئاً من هزئهم ولعبهم يخدعون به أنفسهم ويسولون لها أنها على شيء من الدين إلا هذا ! وممن أقام النكير على هذه البدعة صاحب كتاب المدخل رحمه الله

وأضر البدع وأشدها إغراء وضرراً ما يحضره صنف علماء الدين لان هذا يكون غشاً للناس يجعلهم يعتقدون أن البدعة شعيرة دينية

---

(١) ص ٦٦٤ من المجلد الثالث من مجلة المنار

(٢) أول من ابتدع الاحتفال بمولد النبي صلى الله عليه وسلم هو السلطان المظفر أبو سعيد صاحب (إربل) من البلاد التابعة لولاية الموصل ، الذي تولى الحكم سنة ٥٨٦ إلى سنة ٦٣٠هـ ، وبذلك يكون هذا الاحتفال قد ابتدع بعد مولد النبي بحوالى ستة قرون .

ولهذا ضربنا صفحاً عن الموالد الكبيرة بعد المولد الحسينى كالبيومى والرفاعى والعفيفى والسيدة زينب ، ونبهنا بهذه الكلمات على مولد الشافعى ، لان هذه الموالد يحضرها بعض العلماء ، وأما مولد الامام فهم الذين يحتفلون به ، فيحتج الجهلاء بهم على إماتة السنة وإحياء البدعة ، وهذا أسوأ ما كان يسوء الإمام فى دار الدنيا لانه رضى الله عنه لم يكن له عمل إلا إحياء السنة ،فما بالك وقد لقى الحق وأمسى فى جواره

كيف كان يحتفل العلماء بمولد الشافعى

كانوايسمون احتفالهم «الكنسة» ، لأنهم كانوا يكنسون فيه قبة الضريح ، ويقسمون كناستها بينهم للتبرك بها كل بحسب درجته العلمية وينقلون العمامة الموضوعة على القبر من رأس عالم الى رأس آخر للتبرك أيضا

وقد هال هذا الامر العالم اللغوى المحدث الكبير الشيخ محمد محمود بن التلاميذ التركزى الشنقيطى ، فنظم فى هذه البدعة قصيدة عصماء نختار لك منها بعض أبياتها لانها طويلة بعد أن نذكر لك مقدمتها . قال رحمه الله :

(خاتمة نسأل الله حسنها)

نذكر ههنا قصيدة وسمناها (بتحلية كل جيد عاطل بتأييد السنة ونفى الباطل) أوردنا فيها بدعة الاحتفال السنوى بكنس قبــــة

وضريح الإمام الشافعي الذي يعمل في شهر شعبان من كل عام ، ودرجت في جريدة مصباح الشرق الصادر في شعبان سنة ١٣١٧ وهي من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اتباعاً لأمر الله تعالى في ذلك وهي ٥٦ بيتاً

وهاك ما اخترناه مما يتعلق بموضوعنا :

أمصباح شرق الأرض لا زلت هاديا
إلى الرشد منا دارعين وحسدا

يحلون أحجار القبور ضلالة عمائم أغواء اللعين التى افترى

يزورونها عاما فعاما عبادة ويأتونها بالهدى نذراً مقررا

وقد جعلوا لله شركا بزعمهم وأعطوه حظ الله ذاك الذى ذرا

فهاتيك من أصنام قوم أبادها رسول اله الناس ما شاء تبرا

أراكم فعلتم مثل فعل أولئكم وأوحى لكم إبليس وحياً مزورا

فذى عندكم أصنام غى أعدها لكم خادعا إبليسكم مذ تكبرا

فباضت لديكم فى القبور وفرخت وأعلى مناراً فوقهن منورا

أمصباح شرق الارض أسمعت داعياً
وذكرت ذا سهو سها فتذكرا

حضرت ضريح الشافعى محمد لتنظر كنس القوم قبراً مغبرا

وقادة أهل العلم جاثون حوله لتيسير ما يرجون مما تعسرا

يناجون رب القبر سراً وجهرة لما يبتغون من حطام تكسرا

على قبره أبصرت قوما تزاحموا تزاحم جند لابسين السنورا

وغنم فتاهم أن يشق غباره ... ويهتك نسج العنكبوت المجورا

فعم الغبار أوجها ولحى لهم ... تغبرن لا لله ورداً ومصدرا

وذا كل عام حجهم يرصدونه ... كما رصدت حجاجنا الحج الاكبرا

فلو كان كنس القبر لله قربة ... لكان به قبر الصحابى أجدرا

فعندكم ابن العاص عمرو أميركم ... به فتح الله البلاد وعمرا

وأصحابه صحب النبى محمد ... وأتباعه جالوا هرقل وقيصرا

فتيكم قبور الصحب والتابعيهم ... باحسانهم صارت هشيما وعثيرا

بدعة قرآءة الفاتحة

أمصباح شرق الأرض أنكرت بدعة

(هى الأربى جاءت بأم حبوكرى)[1]

وغرت على أم الكتاب صيانة ... لآى الكتاب أن يهان ويحقرا

على حين لا يوجد غيور محافظ ... على الوحى يخشى أن يذال ويصغرا

وغرت على أم الكتاب وقد بدا ... تلاوتها جمع ابتداع تحدرا

ولم يتلها فوق القبور نبينا ... ولا صحبه نور الظلام لمن سرى[2]

لقد عبثوا بالوحى والعلم وافتروا ... وذو العلم لم يعبث ولم يغش مفترى

الخ... ... الخ...

---

(١) هذا المصراع لعمر بن احمد الباهلى وصدره (فلما غشى ليلى وأيقنت أنها) والأربى اسم الداهية وأم حبوكرى كنيتها

(٢) وكذلك لم يرد فى قراءة الفاتحة على القبور حديث صحيح ولا موضوع

فائدة الاربعاء

ولد الشيخ عبد الرحيم القنائي فى ضاحية من ضواحى مراكش بالمغرب الأقصى ثم رحل إلى مكة فقضى فيها سبع سنوات انتقل بعدها إلى (قنا) وظل بها إلى أن توفى سنة ٥٩٢ ه .

واشتهر القنائى بالعلم والورع واصبح له شهرة فى الولاية تضارع شهرة أحمد البدوى وغيره « ولم يزل أهل مصر يتبركون بقبره ويوفون إلى اليوم بنذره » . وجرى الناس فى الوجه القبلى على القيام بعمل فائدة تسمى (فائدة الاربعاء) باسم القنائى لقضاء الحوائج أو تفريج الكروب على هذا الوجه :

يذهب من أراد قضاء حاجة ...! وتفريج كربة قبل ظهر يوم الاربعاء بحوالى ساعة ويجلس فى ضريح عبد الله القرشى (أحد صحابة القنائى) وضريحاهما متقاربان إذ لا تزيد المسافة بينهما على نحو خمسين متراً ثم يقرأ فى ضريح هذا الصاحب سورة يس مرة أو ثلاث مرات (بنية قضاء الحاجة..) أو تفريج الكربة ، ويخرج من الضريح ثم يصلى ركعتين لله وهو عارى الرأس فى مكان متوسط بين الضريحين وبعد ذلك يأخذ عمامته فى يده وحذاءه تحت إبطه ، ويتوجه إلى ضريح القنائى ويتجه إلى القبلة ويدعو بالدعاء الآتى ، وهو عارى الرأس أيضاً : اللهم إنى أسألك وأتوجه إليك بحبيبك محمد ﷺ وبأبينا آدم وأمنا حواء وما تناسل بينهما من الانبياء والمرسلين والأولياء الصالحين،وبعبدك هذا سيدىعبد الرحيم أن تقضى حاجتى

وهي كذا ... فتقضى

ولقيام اعتراض من بعض المسلمين رفع سؤال إلى صاحب الفضيلة مولانا الأستاذ الجليل الشيخ يوسف الدجوى عضو جماعة كبار العلماء حفظه الله وأدامه ذخراً للاسلام والمسلمين[١]

وكان جواب فضيلته رحمه الله (عن فائدة يوم الأربعاء أن ذلك جائز لا شك فيه بل هو مرجو البركة — وبركة الأولياء لا ينكرها إلا مخذول — ولست أدرى أى شيء فى ذلك ؟ وهل فيه إلا عدة أمور ، بعضها جائز وبعضها مندوب إليه . . والتوسل بالأولياء الصالحين جائز لاشيء فيه . . والمتوسل طالب من الله مستشفع إليه بأحبابه ، فلا معنى لتلك الترهات لأن لهم منزلة عند الله وسيشفعون بمقتضاها فى الآخرة اهـ[٢]

وما أفتى به الشيخ الدجوى هو المعروف عند أكثر علماء الأزهر فقد أثبت بعضهم أن للأولياء تصرفاً ، وقال بعض القضاة ان

---

(١) هكذا نشرت مجلة الإسلام السؤال من وكيلها بقنا بالعدد ١٤٠ السنة التاسعة الصادر فى ١٠ مايو سنة ١٩٤١

(٢) للشيخ عبد الرحيم القنائى بركة تقدم للملك فى موالده — كما لأحمد البدوى بركة تقدم فى موالده — وإذا كانت بركة السيد تكون من حمص وحلوى فان بركة القنائى تكون من نقود من العملة الفضية والنيكل موضوعة فى علبة من ذهب — ومدد ياقنائى !

للأولياء الميتين ديواناً وأنهم هم المتصرفون فى الكون، فكل ما يجرى فيه فإنما يجرى بتصرفهم .

وبعضهم يقول أن رئيسة هذا الديوان هى السيدة زينب ولذلك يسمونها (صاحبة الشورى) .

على قبة كل ولى ملك — يقضى حوائج الناس

وفى حاشية البيجورى على الجوهرة — وهو كتاب مشهور من كتب التوحيد التى تدرس بالمعاهد الدينية الأزهرية — أن الله تعالى يوكل ملكا على قبر الولى ليقضى حوائج الناس . . !

إلى إمام الأزهر[1]

العقائد الوثنية فى الكتب الأزهرية

هذه كلمة خالصة نرجو أن تبلغ مسامع الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر وأن تصيب مكان العناية منه فينهض بما أوتى من

---

(١) نشرنا هذه الكلمة بمجلة الرسالة وإمام الأزهر حينئذ كان الأستاذ الكبير الشيخ محمد مصطفى المراغى رحمه الله فى العدد ٤٣٨ من السنة التاسعة الصادر فى يوم الاثنين ٥ ذو القعدة سنة ١٣٦٠ الموافق ٢٤ نوفمبر سنة ١٩٤١ ، وقد طبع أنصار السنة بمنوف هذه الكلمة فى آلاف من النسخ ووزعوها بين أرجاء البلاد فكان لها دوى هائل .

علم واسع وعزم قوى، إلى العمل على تخليص العقائد الدينية من نزغات الوثنية ، وتحرير العقول من رق التقاليد الخرافية ، حتى تصبح هذه العقائد سالمة خالصة ، وتنطلق العقول والأفكار إلى العمل على كل ما يعود عليها بالنفع والخير ، وأنه إن يفعل ذلك يكن قد أقام الأصل الأول للدين الإسلامى ـ وهو التوحيد الخالص الذى هو (كمال الانسان) كما قال أستاذنا الامام محمد عبده ، ووضع أساس الاصلاح فى بلادنا ، إذ لا يقوم أى إصلاح فى أى مرفق من مرافق الحياة الا بعد تطهير العقائد وتحرير العقول) . ذلك بأن العقائد الفاسدة كما لا يخفى تأخذ بأيدى معتقديها وأرجلهم، وتغل عقولهم عن التفكير الصحيح ، وتصيب عزائمهم بالشلل الاجتماعى فلا يعملون للحياة ولا يعدون لها عدتها . وأنى لهم العمل وقد (رموا الحمول) على ما اتخذوهم أولياء بزعمهم ، واستيقنوا أنهم يقضون حاجاتهم ، ويجيبون دعواتهم .

وأن الذى جعل العقائد الوثنية تفشو ، ولا ريب بين المسلمين ، إنما هم أكثر شيوخ الأزهر بما يبثونه فى فتاواهم وأحاديثهم ودروسهم ومجلاتهم ، ولولاهم ما وجدت الوثنية إلى عقائد المسلمين سبيلا ، ذلك بأن الرجل من دجاجلة الصوفية يدس عقائد الشرك بين من يسميهم مريديه ، ويعبث ما شاء له الجهل أن يعبث بعقول هذه الطوائف الساذجة ، فاذا التفت إلى الشيخ الأزهرى ، وهو الذى يرجى منه أن يعمد إلى ما يبثه هذا الرجل الصوفى فيأتى عليه من

القواعد ، لتنظر ماذا يصنع إزاء ذلك ، وجدته يناصر هذا الدجال ويؤيده ، وقد يبلغ الأمر من بعضهم أن يمشى فى ركابه ، ويدعو الناس إلى احترامه وإجلاله ! ويقول : إن العلم علمان ! علم الظاهر وهو لنا ، وعلم الباطن — الذى هو علم الحقيقة ، وقد فاز به شيوخ الصوفية ، وبذلك يصبح هذا الصوفى الجهول قطب وقته وولى عصره

ولقد كنت يوماً أناقش أحد شيوخ الأزهر فيما يصنعه هو وأمثاله من العمل على إشاعة العقائد الوثنية بين المسلمين فكان مما أجاب به : إن هذه الأمور قد درسناها على شيوخنا فى الأزهر علماً وأخذناها عنهم عملا ! وهى ثابتة فى الكتب الأزهرية ! وقد قرر شيخنا الدردير فى الخريدة : إن من لاشيخ له فشيخه الشيطان ! وقال إمامنا البيجورى فى حاشيته على الجوهرة : إن الله تعالى يوكل ملكا على قبر الولى يقضى حوائج الناس ، فنحن لا نقول إلا عن علم ولا نفتى إلا بدليل . ثم التفت إلىّ متعجباً وقال : كأنك لم تقرأ ما ينشر كل يوم فى المجلات الدينية من الفتاوى الدجوية ، وآخرها فتوى — فائدة الأربعاء القناوية ! أو كأنك لم تطلع على القصيدة الصوفية فى الاستغاثة بالحضرة الأحمدية التى نشرت بمجلة الرسالة الغراء ! ألا فادرس الدين الصحيح من مصادره ، وخذه من منابعه وارجع — إن أردت المزيد — إلى ما أثبته الشيخان الاكبران) الشرقاوى والبيجورى ، وهما ممن بلغوا درجة الامامة وتولوا مشيخة الازهر لترى كيف يكون علم العلماء المحققين ! فغادرته ورجعت إلى

الكتب التى ذكرها لأرى مافيها ، وما كدت أعبر بعض صفحاتها حتى تلقانى علم زاخر ، وجدت أن لاقبل لى بملاقاة أمواجه، فقفلت راجعاً وقلت : اللهم إن السلامة فى الساحل ! !

أما الكتاب الأول فهو شرح الخريدة البهية (للقطب الكامل والغوث الواصل أبى البركات سيدى أحمد الدردير)

قال هذا القطب بعد أن ذكر من العقائد ماشاء له علمه : إن على كل مسلم اتباع شيخ عارف قد سلك طريق أهل الله على يد شيخ كذلك إلى أن ينتهى إلى رسول الله » ثم قال « ومن لا شيخ له فشيخه الشيطان» وبعد ذلك أوجب على المسلمين تقليد الأئمة الذين ذكرهم اللقانى فى الجوهرة بقوله :

ومالك وسائر الأئمة كذا أبو القاسم هداة الامة
فواجب تقليد حبر منهم كذاحكى القوم بلفظ يفهم

على أن المسلم لا يدرى ماذا يأخذ وماذا يدع فى هذا الأمر ،وهو يجد فى كتب العلم مع هذا القول قولا آخر هو :—

ألا كل من لا يقتـــدى بأئمة فقسمته ضيزى عن الحق خارجة
فخذهم عبيـد الله عروة قاسم سعيد سـليمان أبو بكر خارجة

على أنا لا نعرض لذلك حتى نتحول عن تيار الحديث. !

ولما فرغ من وجوب تقليد الائمة الاربعة قال باتباع أبى القاسم الجنيد ومن تبعه،لان من عداهم « من جميع الفرق على ضلال » ثم قال : إن تمام النعمة فى اتباع الاقطاب الربانيين أسياده — أحمد

الرفاعى وعبد القادر الجيلانى وأحمد البـــدوى وإبراهيم الدسوقى وأبو الحسن الشاذلى ومحمد الخلوتى وعبد الله النقشبندى وأتباعهم « فهؤلاء هم سادات الأمة المحمدية »

وقد جاء الشيخ (المحشى) وهو (العـلامة الكبير والفهامة النحرير سيدى أحمـد الصاوى) فترجم لهؤلاء الاقطاب الربانيين وذكر مناقبهم .

الرفاعى يبيع قصراً فى الجنة

وقد أورد من مناقب الرفاعى أنه (أراد شراء بسـتان فأبى صاحبه أن يبيعه إلا بقصر فى الجنة ، فقال له (قد اشتريت منك بذلك) وكتب له عقداً هذه صورته :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما ابتاع اسماعيل من العبد أحمد الرفاعى ضامناً على كرم الله قصراً فى الجنة يحف به حـدود ! الأول لجنة عـدن ، الثانى لجنة المأوى ، الثالث لجنة الخلد ، الرابع لجنة الفردوس ، بجميع حوره وولدانه وفرشه وأشربته وأنهاره وأشجاره عوضاً عن بستانه فى الدنيا ! والله شاهد على ذلك وكفيل ، فلما مات اسماعيل (أى المشترى) دفن معه العقد فأصبحوا وإذا مكتوب على قبره « قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً »

ونقل من كرامات السيد البدوى مسألة ابن دقيق العيد[1]

---

(١) راجع صفحة ٧٥

وساق من كرامات الدسوقى أنه يعرف جميع اللغات حتى لغات الوحش وأنه صام وهو فى المهد ورأى اللوح المحفوظ وهو ابن سبع سنين ! وأنه ينقل اسم مريديه من الشقاوة إلى السعادة ! !

ومن أراد أن يستزيد من معرفة مناقب هؤلاء الاقطاب ، فليرجع إلى هذا الكتاب فان فيه العجب العجاب !

أما الكتاب الثانى فهو حاشية الشيخ الباجورى على شرح ابن قاسم وقد جاء فى باب الجنائز ما يلى :

« لو شاهدنا الملائكة تغسل الميت لم يسقط عنا ! ! ولو غسل الميت نفسه كرامة كفى ، كما وقع لسيدى أحمد البدوى أمدنا الله من مدده » .

والكتاب الثالث هو حاشية الشيخ الشرقاوى على متن التحرير لشيخ الاسلام زكريا الانصارى ، وقد قال فى باب الجنائز أيضاً « ولو شاهدنا الملائكة يغسلونه (الميت) لم يسقط عنا الطلب بخلاف ما لو كفنوه » إلى أن قال (ولو غسل الميت نفسه كرامة - كما نقل عن سيدى أحمد البدوى رضى الله عنه ، وكذا عن سيدى عبد الله المنوفى المالكى كفى لأنه من جنس المكلفين وكذا لو غسل ميت ميتاً آخر كرامة ! »

نكتفى بهذا خشية الإطالة ونعرضه عرضاً بغير مناقشة ولا بحث ليقرأه الناس وليطلع عليه إمام الازهر ، وهو القيم على علوم الدين فى هذه البلاد والمسموع الكلمة بين أرجاء العالم الاسلامى ، وكل

ما نرجوه أن يوجه عنايته الجبارة إلى الإصـــلاح الصحيح لعلوم الأزهر ، وذلك بإصـلاح الـكتب الدينية التى تدرس فيه وبخاصة كتب العقائد منها ، وأن يقوم العمل على الأخذ بها والدعوة على ما جاء فيها ، فلا يعبد الطاغوت فى هـذا البلد من دون الله ، ومن لا يدين بها ويؤمن بأصولها يحال بينه وبين التصدى للدعوة إلى الدين ، لأن العالم أو الواعظ إذا لم يكن سليم العقيدة خالص التوحيد فانه يكون أضر على الأمة من الجاهل .

هذا ما نرجوه من شيخنا الأكبر حتى يصبح كل مسلم بعبادته الصحيحة مستحقاً لوراثة الأرض ، فيأخذ أمور الحياة بأسبابها ، ويستغلها بتسخير نواميسها ، ويتبع ســنن من يعاصرنا من الأمم الراقية شبراً بشبر وذراعاً بذراع ، وبذلك يتبوأ بينهم مكانه اللائق به من العزة والسلطان .

نفزع إلى شيخنا الأكبر فى ذلك ونحن نعلم أنه ليس له غيره ، فهو المسئول عن حماية العقائد الدينية فى هذه البـلاد من عبث الجاهلين ، وقد تهيأ له من أسباب إنفاذ الإصلاح ما لم يتهيأ لمن سبقه من الأئمة المصلحين فلا عذر اليوم .

المنصورة محمود أبو ريه

* * *

وللأستاذ الإمام محمد عبـــده كلمة حكيمة رائعة فى الـكتب الأزهرية أرسلها جادة حازمة بعد أن درس هذه الـكتب وخبرها ،

وعانى ما عانى من فسادها وضررها — ومن غيره من شيوخ الأزهر يدرك ما يدركه هو من عللها — ولا ينبئك مثل خبير .

وإنا نأتى بها هنا لأن هذا هو مكانها — قال رضى الله عنه :

« لا يمكن لهذه الأمة أن تقوم مادامت هذه الكتب فيها ، ولن تقوم إلا بالروح التى كانت فى القرن الأول وهى القرآن ، وكل ماعداه فهو حجاب قائم بين العمل والعلم[1] .

ووصف رضى الله عنه هذه الكتب فقال « اختارها العجز وفضلها القصور »

وكان يسمى علم الأزهر بأنه (علم الكراس — وكان يقول عن علمائه أنهم يتعلمون كتباً لا علماً ، وكان يسميهم (علماء المتون) .

ولما طلب ميكادو اليابان من السلطان عبد الحميد إرسال علماء من المسلمين إلى بلاده وهمّ السلطان بأن يجيب رغبته قال له السيد جمال الدين الأفغانى « يا مولاى إن هؤلاء العلماء ينفرون المسلمين أنفسهم من الإسلام ! فكيف يناط بهم إقناع أمثال اليابانيين بالدخول فيه ؟

إن الرأى أن يربى طائفة من الاذكياء ويعلموا تعليما خاصاً يؤهلهم للقيام بهذا الواجب فى هذا العصر .

---

(١) ص ٦٤٤ ج ٢ تاريخ الأستاذ الإمام الطبعة الثانية .

إلى معالى وزير المعارف[1]

الوثنية والخرافات

فى بعض المدارس المصرية

نشرنا من قبل كلمة على صفحات مجلة الرسالة الغراء ونقلتها عنها مجلة الهدى . رغبنا فيها إلى إمام الازهر أن يعمل على تخليص العقائد الدينية من نزغات الوثنية وتحرير العقول من رق التقاليد الخرافية المنبثة فى الكتب الازهرية وقلنا انه إن يفعل ذلك ، يكن قد أقام الاصل الاول للدين الاسلامى وهو (التوحيد الخالص) ووضع أساس الأصلاح فى بلادنا ، وعلى أن كلمتنا هذه قد وقعت لدى الناس جميعا موقع القبول والرضا ، وتمنوا لو يسارع إمام الازهر إلى هذا الاصلاح فقد ظهر أن هناك ناحية أخرى تؤيد مثل هذه العقائد وتدعو الناس إليها، وهذه الناحية هى بعض المدارس المصرية ، ذلك بأنه لم تكد تظهر كلمتنا حتى ثار عليها بعض مدرسى الدين بالمدارس الثانوية هنا بالمنصورة ، يقودهم شيخ إسمه عبد الرحمن نصر الدين مدرس الدين واللغة العربية ، وقد عقدوا من أجل ذلك اجتماعا كان أكثره من طلبتهم ، ثم أخذوا يخطبون فى تأييد ما سموه كرامة الاولياء ،

---

(١) نشرت هذه الكلمة بمجلة الهدى النبوى بالعددين ١ و ٢ الصادرين فى المحرم سنة ١٣٦١

وأنه لاغرابة فى أن يبيع الولى وهو فى الدنيا قصوراً فى الجنة ! ولا فى أنه يحيا بعد موته، ليغسل نفسه ! ! ثم يموت ثانية (١) ولو أن هؤلاء المدرسين كانوا من جهلة المتصوفة ، أو من الذين لا يتصدون لتعليم النشء لأهملنا أمرهم ! ! ولكنهم وهم يتبوأون بين معاهد العلم مكانا ، وأولادنا بين أيديهم ينشئونهم ويلقنونهم عقائدهم الدينية فانا لا نذرهم وشأنهم ولا نسكت عما يجرى على ألسنتهم أو تخطه أيديهم .

ومن أجل ذلك نتوجه اليوم بكلمتنا إلى معالى وزير المعارف والامر له فى أن يعمل على صيانة عقائد الطلاب من الوثنيات والخرافات التى تفسد دينهم وعقولهم وأفكارهم وتجعلهم رجالا متواكلين لا يصلحون للحياة ولا تصلح الحياة لهم !

وإنا نكتفى اليوم بنشر أشياء من مؤلف من المؤلفات التى يخرجها للناس شيوخ وزارة المعارف لان ما فيها هو مايعتقده هؤلاء الشيوخ ويدرسونه للطلاب .

هذا المؤلف إسمه (فوح المسك الزكى فى تاريخ وكرامات القطب الولى عمدة الواصلين وتاج العارفين سيدى الشيخ منصور هيكل رضى الله عنه ، لمؤلفه الشيخ عبد الرحمن نصر الدين المدرس بمدرسة

---

(١) لم يبينوا لنا ماذا يكون بعد أن يموت ثانية ! ! هل يعود فيغسل نفسه ويكون الدور والتسلسل أو يكفى الغسل فى المرة الاولى

المنصورة الثانوية (كان) .

ذكر مؤلف هذا الكتاب : أنه ألفه بعد إلحاح حصفاء الرأى وعبقريى الإخوان ! وقد بدأه بمقدمة فى تعريف الولاية والكرامة وبعد أن بين حكم منكرى الكرامة أخذ فى تاريخ (سيده) فذكر أنه حفظ القرآن فى سنة واحدة ! وأنه بعد أن تلقى العهد على قطب الغوث الشبراوى قال له شيخه : أنت مكتوب فى ديوان الذاكرين وكان قطب الغوث هذا (يعمر) المريد بمجرد نظره إليه ، لأنه من الذين قيل فيهم : إن لله رجالا إذا نظروا المرء ألبسوه السعادة ! !

وبعد أن أتى على أوصافه ، وأن ألسنة المعترضين كانت تخرس من خشيته أخذ يسوق كراماته وهى تعد بالمئات ، فنكتفى هنا بإيراد بعضها تفكهة لجماعة وبركة لأخرى .

(١) بعد أن لقنه (قطب الغوث) الشبراوى — العهد — كما أسلفنا اختلف هو والشيخ حسين المحلاوى الذى كان (القطب المؤقت للأزهر) إلى أن يعين له قطب آخر ! وكان من قبل قطبا على ربع القاهرة ، فخشى أن يناله من هذا القطب المؤقت سوء ! وبينما هو يوماً فى مجلس ذكره ، إذ بصر بالسيدة زينب (صاحبة الشورى) قد حضرت مجلس الذكر وأشارت له إشارة فهم منها أنها تقول له : أنت فى حمانا فاطمئن !

(٢) كان لبعض مريديه قضية ، وكان خصمه فيها قوى ، فلجأ إلى الشيخ فقال له : إن الحسين قد حكم فى القضية لمصلحتك ! !

(٣) لما لقن إسمه (القهار) رأى فى منامه أنه طار إلى السماء واخترق السبع أطباق حتى وصل إلى عرش الرحمن، وفى الصباح قال له شيخه : انتهى الأمر يا منصور قد ارتقينا إلى عرش الرحمن !

(٤) اجتمع فى مجلس الأربعة : البـــدوى والدسوقى والرفاعى والجيلانى — ومعهم صاحبة الشورى ، وأراد المجلس أن يحرم مسلماً جزاءه فشفع فيه الشيـخ ، فقالت السيدة « اكتبوه لأن منصوراً يريد ذلك ! »

أما كرامات الشيخ فى شفاء الأمراض فحدث عنها ولا حرج فقد برىء على يديه الاعرج والاكسح والمكفوف والاخرس، وكان ماء وضوئه من الادوية الناجعة !

وقد أشهد الله الشيخ عبد الرحمن نصر الدين على نفسه أن كثيراً من المبطونين والموجوعين قد برئوا من هذا الماء لأنه (مس جسم الشيخ سيده) .

ومن الكرامات الطريفة فى شفاء الامراض أن عين طفل دخل فيها وتد فانحدرت على خده فأمسكها الشيخ (بيده الشريفة) وتفل عليها ثم ردها إلى مكانها فبرئت وأصبحت أحسن من أختها وصارت تسمى (عين سيدنا الشيخ ..)

وذكر الشيـخ عبد الرحمن أنه رآها بنفسه وأنها لا ترمد أبداً ، ومعنى ذلك أن العين الباقية من صنع الله يعتريها الرمد ويصيبها المرض.

وأسرار الشيـخ مع الجن كثيرة فقد هدى على يديه منهم عدد

كبير، وكان الشيخ عبد الرحمن يعرفهم .. وقد قال فى كتابه « وكان لنا منهم إخوان » ورأى منهم الجن (بالمهملة) وهم كما قال قبيلة من الجن منهم الكلاب السود التى لا تنطق !!

أما أخبار (سيده) بالمغيبات ، فقد ملأ الشيخ عبد الرحمن منها صفحات .

ومما ذكره الشيخ عبد الرحمن من الفوائد الجليلة التى لا يصح أن نضن بها على القراء أن من قرأ إسمه تعالى (أحد) ألفى مرة عاين الملائكة ! .

هذا ما استطعنا نقله من كرامة الشيخ ، وإنى أنصح لحضرات قراء مجلة الهدى بأن لا ينكروا هذه الكرامات لان الشيخ عبد الرحمن قد نقل إلينا من علمه الغزير فى الصفحة الثالثة من كتابه (أن منكرى الكرامة عصاة) وذلك لأنهم بذلك يخالفون (إجماع المسلمين) وهذه المخالفة كبيرة .

ولعلنا نجد فى الوقت سعة لننقل إلى قراء هذه المجلة بعض ما فى مؤلفات مدرسى وزارة المعارف الذين يأخذ عنهم التلاميذ دينهم ويتلقون عقائدهم .

المنصورة　　　　　　　　محمود أبو ريه

عاد الاسلام غريباً

الفتنة بالقبور والاعتقاد فى أصحابها

أتينا من قبل بوصف لمـــا يقع فى الموالد من المفاسد والموبقات ولو أن الامر قد وقف عند هـذا الحد لهان الخطب ، ولـكن وراء ما وصفنا خطر أكبر وبلاء أعظم: ذلك هو الفتنة بالقبور والاعتقاد فى أصحابها ، وقد بين العلماء المحققون هذه الفتنة وكشفوا عن ضررها وإنا نأتى على بعض ما قالوه فيها ، مما رأوه بأعينهم وسمعوه بآذانهم وهو ما يقع فى زماننا ، وما نشهده كل يوم فى موالدنا .

قال ابن القيم فى إغاثة اللهفان : ومن أعظم مكايد الشيطان التى كاد بها أكثر الناس ، وما نجا منها إلا من لم يرد الله فتنته ، ما أوحاه قديماً وحديثاً إلى حزبه وأوليائه من الفتنة بالقبور ، حتى آل الامر فيها إلى أن عبد أربابها وعبدت قبورهم واتخذت أوثاناً وعبدت مع الله تعالى .

وكان أول هذا الداء العظيم فى قوم نوح ، كما أخبر سبحانه عنهم فى كتابه حيث يقول (٧١ـ ٢١ قال نوح رب إنهم عصونى واتبعوا من لم يزده ماله وولده إلا خسارا (٢٢) ومكروا مكراً كباراً (٢٣) وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن وداً ولا سواعاً ، ولا يغوث ويعوق ونسرا (٢٤) وقد أضلوا كثيراً ولا تزد الظالمين إلا ضلالا »

وكانوا قوماً صالحين من بنى آدم ، وكان لهم أتباع يقتدون بهم ،

فلما ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم : لو صورناهم كان أشوق لنا إلى العبادة إذا ذكرناهم ، فصوروهم ، فلما ماتوا وجاء آخرون فعبدوهم .

وعن قتادة فى هذه الآية ، كانت آلهة يعبدها قوم نوح ثم عبدتها العرب بعد ذلك فكان ودّ لكاب بدومة الجندل ، وكان سواع لهذيل ، وكان يغوث لبنى غُطيف من مراد ، وكان يعوق لهمذان ، وكان نسر لذى الكلاع من حمير . وقد رأيت أن سبب عبادة ودّ ويغوث ويعوق ونسرا واللات إنما كانت من تعظيم قبورهم ، ثم اتخذوا لها التماثيل وعبدوها كما أشار إليه النبى ﷺ .

قال شيخنا (ابن تيميه) وهذه العلة التى لأجلها نهى الشارع عن اتخاذ القبور ، هى التى أوقعت كثيراً من الأمم ، إما فى الشرك الأكبر ، أو فيما دونه من الشرك . والشرك بقبر الرجل الذى يعتقد صلاحه ، أقرب إلى النفوس من الشرك بخشبة أو حجر ، ولهذا نجد أهل الشرك كثيراً يتضرعون عندها ويخشعون ويخضعون ويعبدونها بقلوبهم[1] عبادة لا يفعلونها فى بيوت الله ولا وقت السحر ، ومنهم

---

(١) قال شاعر النيل حافظ ابراهيم يخاطب الأستاذ الإمام محمد عبده رحمهما الله :

إمام الهدى إنى أرى القوم أبدعوا … لهم بدعا منها الشريعة تقرف
رأوا فى قبور الميتين حياتهم … فقاموا إلى تلك القبور وطوفوا
وباتوا عليها جاثمين كأنهم … على صنم فى الجاهلية عُكَّف

من يسجد لها . وأكثرهم يرجون من بركة الصلاة عندها والدعاء مالا يرجونه فى المساجد ، فلأجل هذه المفسدة حسم النبى مادتها حتى نهى عن الصلاة فى المقبرة مطلقاً ، وإن لم يقصد المصلى بركة البقعة بصلاته كما يقصد بصلاته بركة المساجد .

وأما إذا قصد الرجل الصلاة عند القبور متبركا بالصلاة فى تلك البقعة فهذا عين المحادة لله ولرسوله ، والمخالفة لدينه ، وابتداع دين لم يأذن به الله تعالى ، فان المسلمين قد أجمعوا على ما علموه بالاضطرار من دين رسول الله ﷺ : أن الصلاة عند القبور منهى عنها ، وأنه لعن من اتخذها مساجد ، وبناء المساجد عليها ، وقد تواترت النصوص عن النبى بالنهى عن ذلك والتغليظ فيه ، فقد صرح عامة الطوائف بالنهى عن بناء المساجد عليها متابعة منهم للسنة الصحيحة الصريحة وصرح أصحاب أحمد وغيرهم من أصحاب مالك والشافعى بتحريم ذلك وطائفة أطلقت الكراهة[1] ، والذى ينبغى ، أن تحمل على كراهة التحريم إحساناً للظن بالعلماء ، وأن لا يظن بهم أنهم يجوزوا فعل ما تواتر عن رسول الله لعنُ فاعله والنهى عنه ، ففى صحيح مسلم عن جندب بن عبد الله البجلى قال ، سمعت رسول الله قبل أن يموت

---

(١) رواية كتاب اقتضاء الصراط المستقيم « ومن العلماء من أطلق فيه لفظ الكراهة ! فما أدرى عنى به التنزيه أو التحريم ، ولا ريب فى القطع بتحريمه » ص ١٥٨ من طبعة الجمالى والخانجى .

بخمس وهو يقول « ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد ، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فانى أنهاكم عن ذلك » .

وقالت عائشة رضى الله عنها ولولا ذلك لأبرز قبره ، غير أنه خشى أن يتخذ مسجداً ، متفق عليه .

وعن ابن عباس قال « لعن رسول الله زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج » رواه أحمد وأهل السنن .

وروى مسلم عن أبى مرثد الغنوى ، أن رسول الله قال « لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها .

وجوب هدم المساجد التى على القبور والقباب

قال شيخ الإسلام ابن تيمية [١] « هذه المساجد المبنية على قبور الأنبياء والصالحين والملوك وغيرهم يتعين إزالتها بهدم أو بغيره — هذا ما لم أعلم فيه خلافاً بين العلماء المعروفين ، وتكره الصلاة فيها من غير خلاف أعلمه ، ولا تصح عندنا [٢] فى ظاهر المذهب لأجل النهى واللعن الوارد في ذلك ، وليس في هذه المسألة خلاف .

وروى مسلم فى صحيحه عن جابر أن رسول الله ﷺ نهى أن يبنى على القبور .

---

(١) ص ١٥٩ من اقتضاء الصراط المستقيم .

(٢) عند الحنابلة .

وكذلك إيقاد المصابيح فى هـــذه المشاهد مطلقاً ، لا يجوز بلا خلاف أعلمه للنهى الوارد ، ولا يجوز الوفاء بما ينذر لها من دهن أو غيره ، بل موجبه موجب نذر المعصية ومن ذلك الصلاة عندها — وإن لم يبن هناك مسجد فان ذلك أيضاً اتخاذها مسجداً — كما قالت عائشة ولولا ذلك لأبرز قبره — ولـكن خشى أن يتخذ مسجداً ، ولم تقصد عائشة بناء مسجد فان الصحابة لم يكونوا ليبنوا حول قبره مسجداً ، وإنما قصدت أنهم خشوا أن الناس يصلون عند قبره ، وكل موضع قصدت الصلاة فيه فقد اتخذ مسجداً ، بل كل موضع يصلى فيه فانه يسمى مسجداً ، وإن لم يكن هناك بناء ، كما قال (ص) « جعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً » وروى أبو سعيد الخدرى عن النبى ﷺ قال « الأرض كلها مسجد إلا المقبرة والحمام »

وقال ابن القيم أن النبى قرن فى اللعن بين متخذى المساجد على القبور وموقدى السرج عليها، فهما فى اللعنة قرينان ، وفى ارتكاب الكبيرة صنوان ، فان كل ما لعن رسول الله ﷺ فهو من الكبائر ، ومعلوم أن إيقاد السرج عليها (القبور) إنما لعن فاعله لكونه وسيلة إلى تعظيمها ، وجعلها نصباً يوفض إليه المشركون ، كما هو الواقع ، فهكذا اتخاذ المساجد عليها ، ولهذا قرن بينهما ، فان اتخاذ المساجد عليها تعظيمها وتعريض للفتنة بها ، ولهذا حكى الله سبحانه وتعالى عن المتغلبين على أمر أصحاب أهل الكهف أنهم قالوا (١٨ — ٢١ لنتخذن عليهم مسجداً »

وقال ابن حجر الهيثمى فى الزواجر عن الكبائر فى اتخاذ القبور مساجد ، وإيقاد السرج عليها واتخاذها أوثاناً والطواف بها واستلامها والصلاة إليها - بعد أن أورد الأحاديث التى جاءت فى هذه الكبائر

ووجه اتخاذ القبر مسجداً منها[١] واضح ، لأن لعن من فعل ذلك بقبور أنبيائه ، وجعل من فعل ذلك بقبور صلحائه شر الخلق عند الله يوم القيامة ، ففيه تحذير لنا كما فى روايته يحذر ما صنعوا ، أى يحذر أمته فيلعنوا . واتخاذ القبر مسجداً معناه الصلاة عليه أو إليه

نعم إنما يتجه هذا الأخذ — إذا كان القبر قبر معظم من نبى أو ولى — كما أشارت إليه روايته « إذا كان فيهم الرجل الصالح . ومن ثم قال أصحابنا[٢] ، تحرم الصلاة إلى قبور الأنبياء والأولياء تبركاً وإعظاماً .. ثم قال :

إن أعظم المحرمات وأسباب الشرك الصلاة عند القبور واتخاذها مساجد و بناؤها عليها ، والقول بالكراهة محمول على غير ذلك إذ لا يليق بالعلماء تجويز فعل تواتر عن النبى لعن فاعله ، وتجب المبادرة لهدمها وهدم القباب التى على القبور إذ هى أضر من مسجد الضرار لأنها أسست على معصية رسول الله (ص) لأنه نهى عن ذلك وأمر (ص) بهدم القبور المشرفة ، وتجب إزالة كل قنديل أو سراج على قبر ولا يصح وقفه ونذره اه .

---

(١) من الأحاديث التى أوردها (٢) أصحابهم الشافعية لأنه كان شافعياً

وقد أشار الهيثمى بقوله أن النبى أمر بهدم القبور المشرفه إلى الحديث الذى رواه مسلم فى صحيحه وغيره عن أبى الهياج الأسدى قال لى على ألا أبعثك على ما بعثنى عليه رسول الله : أن لا تدع تمثالا إلا طمسته ولاقبرا مشرفاً إلاسويته ، قال الإمام النووى فى شرحه لهذا الحديث ، قال الشافعى فى الأم ، ورأيت الأئمة بمكة يأمرون بهدم ما بنى ، ويؤيد الهدم قوله — ولا قبراً مشرفاً إلا سويته اهـ

وفى صحيح مسلم عن ثمامة بن شفى قال : كنا مع فضالة بن عبيد بأرض الروم برودس فتوفى صاحب لنا ، فأمر فضالة بقبره فسوى ، ثم قال سمعت رسول الله يأمر بتسويتها .

وقال الإمام السيد رشيد معلقا على ماقاله الهيثمى : إن أمر النبى (ص) لعلى حين أرسله إلى اليمن بطمس التماثيل وهدم القبور المشرفة وتسويتها بالأرض ، ثم أمر على عامله أبا الهياج الأسدى بذلك وعمل أئمة المسلمين بذلك فى خير القرون كان لسد ذريعة تعظيم القبور تعظيما دينيا — إذ هو من أعمال الشرك ..

فالأمر المشاهد الذى لا شك فيه أن هذه القبور المعظمة تعظيما دينيا لم يأذن به الله ، قد كانت سبباً لمنكرات كثيرة منها ما هو شرك صريح لا يحتمل التأويل ومنها ما يحتمله احتمالا قريبا أو بعيداً ولكن لا يجوز أن يجعل الإحتمال مسوغا للسكوت عنه ، وإنما قد يجوز ذلك فى درء الكفر عن شخص معين ، ومنها ما هو معصية كبيرة ومنها ماهو معصية صغيرة وكلاهما كثير جداً لا خلاف بين المسلمين فيه ، ولا فى أن استحلال المجمع عليه المعلوم من الدين بالضرورة كفر وخروج من الملة اهـ

تحريم الموالد

عن علي بن الحسين (رض) أنه رأى رجلا يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبي ﷺ فيدخل فيها فيدعو ، فنهاه وقال : ألا أحدثكم حديثاً سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله ﷺ قال :

لا تتخذوا قبري عيداً [١] ، ولا بيوتكم قبوراً ، فان تسليمكم يبلغني أينما كنتم .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية : ووجه الدلالة أن قبر رسول الله أفضل قبر على وجه الأرض ، وقد نهى عن اتخاذه عيداً فقبر غيره أولى بالنهي كائناً من كان .

وقال ابن القيم ، وان في اتخاذ القبور أعياداً من المفاسد العظيمة التي لا يعلمها الا الله تعالى ، ما يقضي لأجله كل من في قلبه وقار لله تعالى وغيرة على التوحيد ، وتهجين وتقبيح للشرك ، ولكن ما لجرحٍ بميت ايلام !!

فمن مفاسد اتخاذها أعياداً ، الصلاة إليها والطواف بها وتقبيلها واستلامها ، وتعفير الخدود على ترابها وعبادة أصحابها والاستعانة بهم وسؤالهم النصر والرزق والعافية ، وقضاء الديون وتفريج الكربات وإغاثة اللهفات ، وغير ذلك من أنواع الطلبات التي كان عبـــاد

---

(١) العيد ، ما يعتاد مجيئه وقصده من مكان وزمان ، ويطلق الآن على الموالد .

الأوثان يسألونها أوثانهم .

فلو رأيت غلاة المتخذين لها عيداً وقد نزلوا عن الاكوار[1] والدواب إذا رأوها من مكان بعيد ، فوضعوا لها الجباه وقبلوا الأرض وكشفوا الرؤس وارتفعت أصواتهم بالضجيج وتباكوا حتى يسمع لهم النشيج ، ورأوا أنهم قد أربوا فى الربح على الحجيج ، فاستغاثوا بمن لا يبدى ولا يعيد ، ونادوا ولكن من مكان بعيد ، حتى إذا دنوا منها صلوا عند القبر ركعتين ، ورأوا أنهم قد أحرزوا من الأجر ، ولا أجر من صلى الى القبلتين ، فتراهم حول القبر ركعاً سجداً ، يبتغون فضلا من الميت ورضواناً ، وقد ملئوا أكفهم خيبة وخسراناً ، فلغير الله ، بل للشيطان ما يراق هناك من العبرات ويرتفع من الأصوات ، ويطلب من الميت من الحاجات ، ويسأل من تفريج الكربات ، واغناء ذوى الفاقات ، ومعافاة أولى العاهات والبليات ، ثم انثنوا بعد ذلك حول القبر طائفين ، تشبيهاً له بالبيت الحرام ، الذى جعله الله مباركا وهدى للعالمين ، ثم أخذوا فى التقبيل والاستلام ، أرأيت الحجر الأسود وما يفعل به وفد البيت الحرام ، ثم عفروا لديه تلك الجباه والخدود ، التى يعلم الله أنها لم تعفر كذلك بين يديه فى السجود ... واستمتعوا بخلاقهم من ذلك الوثن ، إذ لم يكن لهم عند الله من خلاق ، وقربوا لذلك الوثن القرابين ، وكانت

---

(١) وفى هذا العصر السيارة والتاكسى والاوتوبيس والسكك الحديدية وسائر أنواع المواصلات العصريه

صلاتهم ونسكهم وقرباتهم لغير الله رب العالمين .

هذا ولم نتجاوز فيما حكيناه عنهم ، ولا استقصينا جميع بدعهم وضلالهم - وهذا كان مبدأ عبادة الاصنام فى قوم نوح كما تقدم - وكل من شم أدنى رائحة من العلم والفقه[1] يعلم أن من أهم الامور سد الذريعة إلى هـذا المحذور ، وأن صاحب الشرع أعلم بعاقبة ما نهى عنه لما يؤول إليه ، واحكم فى نهيه عنه وتوعده عليه ، وان الخير والهدى فى اتباعه وطاعته ، والشر والضلال فى معصيته ومخالفته

وقال أبو الوفاء بن عقيل :

لما صعبت التكاليف على الجهال والطغام ، عدلوا عن أوضاع الشرع الى تعظيم أوضاع وضعوها لأنفسهم .. وهم عندى كفار بهذه الأوضاع ، مثل تعظيم القبور واكرامها بما نهى عنه الشرع ، ومن خطابة الموتى بالحوائج ، وكتب الرقاع فيها ، يا مولاى افعل كذا وكذا[2] ، وأخذ تربتها تبركا[3] ، وإفاضة الطيب على القبور ، وشد الرحال إليها اقتداء بمن عبد اللات والعزى

---

(١) حقا كل من شم رائحة من العلم والفقه يعلم ذلك ، ولكن أين هم الذين يشمون رائحة العلم والفقه فى عصرنا !

(٢) راجع صفحة ٧٧ لتقرأ قصيدة مفتى الديار التى قدمها للسيد البدوى

(٣) راجع نبأ كنسة الشافعى صفحة ٨٠

ونقل علامة العراق السيد محمود شكري الالوسي طرفاً من معتقد عباد القبور وحقيقة ماهم عليه من الدين فقال :

من ذلك محبتهم مع الله محبة تأله وخضوع ورجاء ودعاء ، وهم مع الله في المهمات والملمات والحوادث التي لا يكشفها ولا يجيب الدعاء فيها إلا فاطر الارض والسموات ، والعكوف حول أجداثهم وتقبيل أعتابهم و(أبوابهم) والتمسح بآثارهم طلباً للغوث واستجابة الدعوات وإظهار الفاقة وابداء الفقر والضراعة واستنزال الغيوث والامطار وطلب السلامة من شدائد البر والبحر وسؤالهم تزويجهم الأرامل والأيامى (والابكار) ، واللطف بالضعفاء واليتامى والاعتماد عليهم في المطالب العالية وتأهيلهم لمغفرة الذنوب والنجاة من الهاوية وإعطاء تلك المراتب السامية ، وجماهيرهم لما ألفت ذلك طباعهم وفسدت به نظرهم وعز عنه امتناعهم لا يكاد يخطر ببال أحدهم ما يخطر ببال آحاد المسلمين من قصـد الله تعالى والإنابة إليه ، بل ليس لذلك عنـدهم إلا الولي الفلاني ومشهد الشيخ فلان حتى جعلوا الذهاب عوضاً عن الخروج للاستسقاء والإنابة إلى الله في كشف الشدائد والبلوى ، كل ذلك رأيناه وسمعناه عنهم[1]

وقد اشتهر ما يقع من السجود على أعتاب المشهد وقصد التبرك مع ما فيه لا يمنع حقيقة العبادة الصورية

---

(١) ص ٨٦ ج ١ من كتاب غاية الأماني

ومن المعروف عنهم شراء الولدان من الولى بشىء معين يبقى رسماً جاريا يؤدى كل عام ، وإن كانت امرأة فمهرها أو نصف مهرها لأنها مشتراة منه[١]. وهذا أشد وأشنع مما ذكر الله عن جاهلية العرب بقوله (وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا ، فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا) وكذلك جعل السوائب باسم الولى لا يحمل عليها ولا تذبح ، وسوق الهدايا والقرابين إلى مشاهد الأولياء وذبحها حبا للشيخ وتقرباً إليه - وهذا وإن ذكر اسم الله عليه فهو أشد تحريما مما ذبح وذكر عليه غير اسم الله كعيسى مثلا ، فان الشرك فى العبادة أكبر من الشرك بالاستعانة .

ومنها الحج إلى المشاهد[٢] فى أوقات مخصوصة مضاهاة لبيت الله فيطوفون حول الضريح ويستغيثون ويهدون لصاحب القبر ويذبحون

ودع ما يقع ويجرى فى هذه الاجتماعات من الفجور والفواحش وفعل الخلاعات التى هى فى الحقيقة خلع لربقة الدين[٣]

ومن شاهد ما يقع عند مشهد الحسين ومشهد على والكاظم وعبدالقادر والحسن البصرى وأمثالهم[٤] من العبادات وطلب العطايا والمواهب والتصرفات وأنواع الموبقات ، علم أنهم من أجهل الخلق

---

(١) راجع قصة الذى شارك السيد البدوى فى ابنه

(٢) أى فى الموالد (٣) قد بينا ذلك من قبل مفصلا

(٤) ومشهد السيد البدوى والدسوقى والسيدة زينب إلخ .

وأضلهم ، وأنهم فى غاية من الكفر والشرك ماوصل إليها من قبلهم ممن ينتسب إلى الإسلام ، والله المسئول أن ينصر دينه ويعلى كلمته بمحو هذه الأوثان حتى يعبد وحده ، فتسلم الوجوه له وتعود البيضاء كما كانت ليلها كنهارها [1] اه

ولا يحسبن القارىء أن وصف هؤلاء العلماء لمعتقدات عباد القبور إنما كان فى الأزمان الماضية وأن الأمر قد تغير وأصبح الناس على غير ما كانوا عليه بالأمس ! ولو أن الأمر كان كذلك لأعرضنا عن نشر هذه المعتقدات ولأرحنا القراء منها ، ولكن الحال هى الحال بل لقد تفاقمت هذه المعتقدات والواقع خير شاهد .

زيارة القبور

روى أحمد عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أن رسول الله قال: إنى كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فانها تذكركم الآخرة

قال ابن القيم فى إغاثة اللهفان إن الذى شرعه الرسول عن زيارة القبور إنما هو تذكر الآخرة والإحسان إلى المزور بالدعاء له والترحم عليه والاستغفار له ، فيكون الزائر محسنا الى نفسه والى الميت ، فقلب هؤلاء المشركون الأمر وعكسوا الدين ، وجعلوا المقصود بالزيارة الشرك بالميت ودعاءه والدعاء به وسؤاله حوائجهم الخ .

---

(١) ص ٨٩ و ٩٠ ج ١ من غاية الأمانى .

وكان رسول الله قد نهى الرجال عن زيارة القبور سداً للذريعة ، فلما تمكن التوحيد فى قلوبهم أذن لهم فى زيارتها على الوجه الذى شرعه ونهاهم أن يقولوا هجراً ، فمن زارها على غير الوجه المشروع ، فان زيارته غير مأذون فيها ، ومن أعظم الهجر الشرك عندها قولا وفعلا فهذه سنة رسول الله فى أهل القبور بضعاً وعشرون سنة حتى توفاه الله تعالى ، وهـــذه سنة خلفائه الراشدين ، ، وهذه طريقة جميع الصحابة والتابعين لهم باحسان ، هل يمكن بشر على وجه الأرض أن يأتى عن أحد منهم بنقل صحيـح أو حسن أو ضعيف ، أو منقطع ، أنهم كانوا إذا كان لهم حاجة قصدوا القبور فدعوا عندها وتمسحوا بها ، فضلا عن أن يصلوا عندها أو يسألوا الله بأصحابها ، أو يسألوهم حوائجهم ، فليوقفونا على أثر واحد أو حرف واحد فى ذلك .

وقد جرد السلف الصالح — التوحيد — وحموا جانبه حتى كان أحدهم إذا سلم على النبى[1] ثم أراد الدعاء استقبل القبلة وجعل ظهره إلى جدار القبر .

ونص على ذلك الأئمة الأربعة : أنه يستقبل القبلة وقت الدعاء حتى لا يدعو عند القبر (فان الدعاء عبـــادة) وفى الترمذى وغيره (الدعاء هو العبادة) وبالجملة فالميت قد انقطع عمله فهو محتاج إلى من يدعو له ويشفع له .

---

(١) أى عند قبره .

ومن المحال أن يكون دعاء الموتى أو الدعاء بهم ، أو الدعاء عندهم مشروعاً، وعملا صالحاً ، ويصرف عنه القرون الثلاثة المفضلة بنص رسول الله ، ثم يرزقه الخلوف الذين يقولون مالا يفعلون ، ويفعلون مالا يؤمرون .

وقال شيخ الاسلام ابن تيميه : كان من قبور أصحاب رسول الله بالأمصار عدد كثير ، وعندهم التابعون ومن بعدهم من الأئمة ، وما استغاثوا عند قبر صحابي قط ، ولا استسقوا عنده ولا به ، ولا استنصروا عنده ولا به ، ومن المعلوم أن مثل ذلك مما تتوفر الهمم والدواعى على نقله بل على نقل ما هو دونه .

وما أحسن ما قال مالك بن أنس رحمه الله « لن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها »

وقال الإمام السيد رشيد رضا [1]

نهى النبي (ص) عن بناء المساجد على القبور وعن عمارة القبور نفسها وعن وضع السرج عليها ، بل ونهى عن زيارتها فى أول الاسلام ولما تمكن التوحيد رخص فى زيارتها بقصد الاعتبار بالموت وتذكر الآخرة ، ففعل المسلمون فى هذه الأزمنة كل ما نهى عنه ولعن فاعله ومن ذكرهم ونهاهم عن هذه البدع أنكروا عليه بأنه هو المبتدع ، لأنه منكر لزيارة القبور ، كأن زيارة القبور تحمى كل البدع التى هى

---

(١) ص ١٣٥ — ١٣٦ المنار .

شعار الوثنيين ، مع أن الصحيح فى الأصول عند الجمهور أن الأمر بالشىء بعد النهى عنه إنما يدل على إباحته ، لا وجوبه أو ندبه ، وهب أن الأمر بالزيارة بعد حظرها للندب أو الاستحباب ، أليس قد عللت بعلة ، تذكر الآخرة ، فاذا فعلت لعلة أخرى كدعاء الميت وطلب الاستفادة منه أو به تكون قد خرجت عن دائرة الإذن ودخلت فى باب المحظور الذى لم يأذن به الله .

ومن عجائب تلاعب الأهواء بالمبتدعين أن كل ما ورد من التشديد فى بناء القبور وتشريفها والبناء عليها ووضع السرج عندها واتخاذها مواسم وأعياداً لم يقصد به إلا سد باب الاعتقاد بأن صالحى الموتى ينفعون الأحياء ويضرونهم ، كما أن النهى عن التصوير وعن اتخاذ الصور بصفة تشعر بالتعظيم لم يقصد به إلا المنع من تصوير من يعظمون تعظيما دينياً ، كما هو شأن الوثنيين ومن تبعهم من أهل الكتاب ، الأمران من باب واحد ، ولكن علماء المسلمين سكتوا للعوام عن ضلالهم فى القبور حتى لا تكاد ترى فى مثل هذه البلاد مسجداً ليس فيه قبر مبنى مشرف يقصد للتوسل به وطلب دفع الضر وجلب الخير منه ، ولكنهم يشددون فى التصوير واتخاذ الصور وإن لم تكن فيها شائبة الدين ولا الشبهة على الاعتقاد والتعظيم .

وما دمنا بسبيل الكلام عن القباب ووجوب هدمها ، حياطة لعقيدة التوحيد الخالص التى هى أساس دعوة محمد صلوات الله عليه وحسما لداء الشرك الذى عم بلاؤه بلاد المسلمين جميعاً ، فانه لا يفوتنا

التنويه بفضل المملكة السعودية فى هذا الأمر فانها والحق يقال هى الأمة الوحيدة بين الأمم الاسلامية جميعاً التى طهرت أرضها من رجس الوثنية فهدمت كل ما كان على أرضها من أضرحة وقباب حتى ما كان منها لعشيرة النبى الأقربين وأصحابه والتابعين وأخذت فى ذلك مأخذ الحزم فلم تترخص ولم تتسهل وبهذا العمل الحاسم قطعت من أرضها ذرائع الشرك والوثنيات وتخلصت من شوائب البدع والخرافات وأصبح أهلها جميعاً يعبدون الله مخلصين له الدين . كما امتازت هذه البلاد بأن أرضها لم ترزأ بدجاجلة الصوفية ولا كان لهم فيها مشيخة رسمية . وقد بلغ من تمسكهم بحبل السنة المحمدية أنهم لا يؤدون الصلاة فى مساجد تضم قبوراً لأنهم يعلمون أن المساجد لله وليست مثوى للعظام النخرة ولا مأوى لرفات الموتى .

ولا ريب فى أنهم يتبعون فى ذلك ما أمر به محمد صلوات الله عليه وما قامت عليه دعوة محمد بن عبد الوهاب التى أيدها آل سعود بسلطانهم فآتت ثمارها ولولاهم لقضى عليها فى مهدها .

ولو أن الدعوة التى قام بها فى بلادنا موقظ الشرق السيد جمال الدين الأفغانى وتلميذه الأستاذ محمد عبده — ومن تبعهما — لتطهير العقائد الإسلامية والرجوع فى فهم الدين إلى القرآن الكريم وما بينه من سنة الرسول صلوات الله عليه — لو أن هذه الدعوة قد وجدت تأييداً من الحاكمين أو تعضيداً من علماء الدين لبلغت مبلغها — ولكنها وا أسفا قد اصطدمت بصخور الطغيان ومعارضة علماء الدين

المنافقين وشيوخ الصوفية الدجالين ، ذلك بأن البدع والخرافات فى كل عصر هى أقوى دعائم الطغيان والفساد ، وشيوخها من أشد أسانيد الظلم والاستبداد .

* * *

سقنا إليك من قبل تاريخ السيد البدوى على حقيقته ، وبينا أن قبره أكبر وثن بمصر ، وذلك بما امتاز به من خصائص لم تتوفر لغيره من سائر الأوثان وأتبعنا ذلك بما هو موصول به من معتقدات العامة وعباد القبور من الوثنيات والخرافات والبدع والعادات وكيف تصرع عقيدة التوحيد عند هذه الأوثان التى لا تضم إلا عظاما نخرة ، وكيف تضرب أصول الدين وقواعده فى صميمها ! مما لم يعرف مثله ولا شىء منه فى عصر النبى وعصور أصحابه ومن تبعهم باحسان حتى عاد الاسلام غريباً فما كان يقال لمثل عمر وهو من هو ، إنه قطب أو ولى أوما إلى ذلك من الألقاب المستحدثة ، ولا كان يفعل بقبر النبى صلى الله عليه ولا بقبور أصحابه وأئمة المسلمين من بعده مثل ما يفعل الآن من تشييدها ورفع القباب عليها والطواف حولها والتوسل بمن فيها ، ولا كانت السوائب تسيب باسمهم ولا تقدم النذور لقبورهم ، لأن ذلك كان من فعل الجاهلية الأولى التى أتى الإسلام فقضى عليها وطهر الأرض منها .

لم يكن يعرف شىء من ذلك فى عصر النبى وخلفائه الراشدين ولا فى عهد السلف الصالح ، وإنما هى أمراض من أمم مختلفة وفدت على أمتنا وعلل اجتماعية دبت فى مفاصل ديننا ففتكت بعقائده السليمة ، وأصوله القويمة ، وتالله لو أن أن عمر بن الخطاب بعث من قبره اليوم ورأى هذه الأوثان التى تملأ الرحب ولا يخلو منها مكان فى أرض المسلمين

لحطمها بدرته ولطهر الأرض من رجسها ونجاستها !

وإنما لاريب فيه أن هذه العلل الفاسدة والامراض المبيدة لم تستفحل وتستشرى فى كل مكان ولم تفتك سمومها القاتلة بالعقول والاذهان إلا بتأييد رجال السياسة الظالمين وسكوت علماء الدين الجامدين ، فلم يعترض عليها منهم أحد ولا فكر فى تغييرها عالم ! وليتهم عفى الله عنهم قد وقفوا من أمر هذه المنكرات موقفاً سلبياً ! ولو هم فعلوا ذلك لخفت البلوى ولقل الضرر ، ولكنهم وا أسفاً قد شاركوا العامة فى ارتكابها بعملهم وأمدوها ودافعوا عنها بعلمهم !

ولو أنهم غفر الله لهم قد بصروا الناس بحقيقة الدين الذى بعث به جميع الرسل والنبيين من إخلاص العبادة له وحده ، لما وقعوا فيما وقعوا فيه ولانصرفوا عن تلكم الوثنيات والخرافات والبدع والعادات ولاقلعوا عن الالتجاء فى حوائجهم إلى تلك الرفات واتجهوا بها إلى فاطر الارض والسموات .

من أجل ذلك نرى لزاما علينا أن نبين وجه الحق فى هذه العلل التى أصابت الناس فى هذه القرون الطويلة ، ولا تزال تفعل فعلها ، لعلنا نصل إلى القضاء عليها .

الله جل جلاله

قال ابن قدامة المقدسى فى لمعة الاعتقاد :

هو المعبود فى كل زمان ، والذى لا يخلو من علمه مكان ، ولا يشغله شأن عن شأن ، لا تتمثله العقول بالتفكير ، ولا تتوهمه القلوب بالتصوير (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) الرحمن على العرش

استوى ، له ما فى السموات وما فى الارض وما بينهما وما تحت الثرى وإن تجهر بالقول فانه يعلم السر وأخفى ، يعلم مابين أيديهم وماخلفهم ولا يحيطون به علما . .

وقال جار الله فى تفسيره :

قال فرعون لموسى وأخيه: فمن ربكما يا موسى؟ قال(ربنا الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى) ٤٩و٥٠ سورة طه

قال الزمخشرى (١) (خلقه) أول مفعولى أعطى ، أى أعطى خليقته كل شىء يحتاجون إليه ويرتفقون به . وثانيهما أى أعطى كل شىء صورته وشكله الذى يطابق المنفعة المنوطة به ، كما أعطى العين الهيئة التى تطابق الابصار ، والاذن الشكل الذى يوافق الاستماع ، وكذلك الانف واليد والرجل واللسان ، كل واحد منها مطابق لما علق به من المنفعة غير ناب عنه — أو أعطى كل حيوان نظيره فى الخلق والصورة حيث جعل الحصان والحجير زوجين . والبعير والناقة ، والرجل والمرأة فلم يزاوج منها شيئاً غير جنسه ، وما هو على خلاف خلقه . وقرىء (خلقه) صفة للمضاف أو للمضاف إليه ، أى كل شىء خلقه الله لم يخله من عطائه وإنعامه (ثم هدى) أى عرف كيف يرتفق بما أعطى وكيف يتوصل إليه .

ولله در هذا الجواب ما أخصره وما أجمعه وما أبينه لمن ألقى الذهن ونظر بعين الانصاف فكأن طالبا للحق اهـ

---

(١) ص ٤٣٥ ج ٢ من تفسير الزمخشرى

وقال العلامة السيد محمد رشيد رضا (ص٤٦ ج ١ تفسير

إن اسم الجلالة «الله» علم على ذات البارى سبحانه وتعالى تجرى عليه الصفات ولا يوصف به . ولفظ (الإله) صفة والجمهور على أن معناه الشرعى (المعبود بحق) ولذلك أنكر القرآن عليهم تسمية أصنامهم آلهة ! والتحقيق أنه أنكر عليهم تألهها وعبادتها لامجرد تسميتها وقد سماها هو (آلهة) فى قوله (١١ — ١٠٢) وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم فما أغنت عنهم آلهتهم التى يدعون من دون الله من شىء لما جاء أمر ربك وما زادوهم غير تتبيب .

ولا يظهر فى هذه الآية قصد الحكاية

لا اله الا الله

قال محمد صلوات الله عليه : أفضل ماقلت أنا والنبيون من قبلى « لا إله إلا الله وحده لاشريك له » رواه مالك فى الموطأ والترمذى

ولأجل هذه الكلمة — كلمة التقوى — خلق الله الخلق قال تعالى « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون »

قال السيد رشيد رضا وهو يشرح معنى (لا إله إلا الله) :

والتحقيق أن جملتها خبر يراد به لازمه وهو البراءة من عبادة غيره تعالى وإخلاص العبادة له وحده ككلمة (لا حكم إلا لله) المراد بها إنمـــا نرد كل حكم غير حكمه ، وندين بحكمه وحده لا أن معناها أنه لا يوجد غير حكمه .

وقال فى تفسير كلمة (الإله) إن معناه المعبود بالحق أو بالباطل .

والمعبود بالباطل كثير ، وهو ما نفته الكلمة — والمعبود بالحق واحد وهو ما أثبتته ، ولو كان معناها لامستغنى عن كل ماسواه الخ لما أنكرها مشركوا العرب وامتنعوا من الإقرار بها ، فقد كانوا يؤمنون بأن الرب الخالق المدبر لأمور الخلق واحد ، وانه مستغنى عن كل ما سواه مفتقر إليه كل ما عداه (ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ، ويقولون « ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى »

فعبادتهم لآلهتهم هي عين عبادة كثير من المسلمين القبوريين للصالحين التي سماها المضلون من سدنة القبور وأكلة النذور (بالتوسل) بل عبدة القبور أعرق فى الشرك من عبدة اللات والعزى لأن الله تعالى شهد فى كتابه لهؤلاء المشركين بأنهم كانوا يدعونه وحده فى الشدائد كخوف الغرق ويشركون به بدعاء غيره فى وقت الرخاء ، وإننا نرى بأعيننا ونسمع بآذاننا من عباد الصالحين أن أحدهم إذا اشتد به الكرب يجأر مستغيثاً متضرعاً :

يا سيد يا بدوى ، أو يا متولى أو يابو سريع الخ ، ويزعم السدنة أن هذا لاينافى التوحيد لأنه واقع من المسلمين الذين ينطقون بكلمة التوحيد ، ويدحض زعمهم أن النطق بها بدون فهم معناها ، والعمل بمقتضاها ، وأهمه التوجه لله وحده فى الدعاء ولا سيا فى الشدائد ، وبدون ترك الإتيان بما ينافيها — وهو دعاء غيره معه — لا يفيد ككل قول ينقضه العمل . وفى الشفاء للقاضى عياض:

قال بعض العلماء : التوحيد إثبات ذات غير مشبهة للذوات ولا معطلة عن الصفات ، وزاد هذه النكتة الواسطى بياناً فقال : ليس كذاته ذات ولا كاسمه اسم ولا كفعله فعل ، ولا كصفته صفة ، إلا من جهة موافقة اللفظ اللفظ ، وجلت الذات القديمة أن تكون لها صفة حديثة ، كما استحال أن تكون للذات المحدثة صفة قديمة . وهذا مذهب أهل الحق والسنة والجماعة .

وقال الإمام أبو المعالى الجوينى : من اطمأن إلى موجود انتهى إليه فكره فهو مشبه ، ومن اطمأن إلى النفى المحض فهو معطل . ومن قطع بموجود واعترف بالعجز عن درك حقيقته فهو موحد .

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية : أصل الدين الذى لا يقبل الله من الأولين والآخرين ديناً غيره ، وبه أرسل الرسل وأنزل الكتب كما قال تعـــالى « واسأل من أرسلنا قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الله آلهة يعبدون ؟ وقال : وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون » وقال تعالى « ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت[1] فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة .

---

(١) الطاغوت كل ماتجاوز به العبد حده من معبود ، أو متبوع أومطاع ، فطاغوت كل قوم : من يتحاكمون اليه غير الله ورسوله . أويعبدونه من دون الله أويتبعونه على غيربصيرة من الله أو يطيعونه فيما لايعلمون أنه طاعة لله

وقد ذكر الله عزوجل عن كل من الرسل أنه افتتح دعوته بأن قال لقومه « اعبدوا الله ما لكم من اله غيره »

وقال الطحاوى[1] فى عقيدته :انالتوحيد أول دعوة الرسل وأول منازل الطريق وأول مقام يقوم فيه السالك الى الله .

قال تعالى « لقد أرسلنا نوحاً الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره » وكذلك سائر الرسل — هو وصالح وشعيب وغيرهم من الأنبياء والمرسلين .

ولهذا كان الصحيح أن أول واجب يجب على المكلف (شهادة أن لا اله الا الله) .

وقال الأستاذ الامام محمد عبده فى تفسير الفاتحة :

التوحيد أهم ماجاء لأجله الدين ولذلك لم يكتف من الفاتحة بمجرد الاشارة اليه بل استكمله بقوله (اياك نعبد واياك نستعين) فاجتث بذلك جذور الشرك والوثنية التى كانت فاشية فى جميع الأمم ، وهى اتخاذ أولياء من دون الله تعتقد لهم السلطة الغيبية ويُدعون لذلك من دون الله ، ويستعان بهم على قضاء حوائجهم فى الدنيا ، ويتقرب بهم الى الله زلفى ، وجميع ما فى القرآن من آيات التوحيد ومقارعة المشركين هو تفصيل لهذا الاجمال اهـ

---

(١) الطحاوى صاحب العقيدة السلفية هو الامام أبو جعفر أحمد ابن محمد بن سلام الأزدى الطحاوى ولد سنة ٢٣٩هـ وتوفى سنة ٣٢٦هـ

وقد أجمعت الأمة على أن التوحيد شرط لصحة الصلاة والصيام وسائر العبادات لا يعتد بشيء منها بدونه مع سائر أصول الإيمان القطعية المعلومة من الدين بالضرورة . وقال الأستاذ الامام ان التوحيد كمال الانسان .

التوحيـــد قسمان

قال الصنعاني فى تطهير الاعتقاد «التوحيد قسمان: الأول توحيد الربوبية والخالقية والرازقية ونحوها . ومعناها أن الله وحده هو الخالق العالم وهو الرب لهم والرازق لهم — وهذا لا ينكره المشركون ولا يجعلون لله فيه شريكا بل هم مقرون به .

« ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله ، ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ؟ ليقولن خلقهن العزيز العليم ! قل من يرزقكم من السماء والأرض ، أم من يملك السمع والأبصار ، ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ؟ ومن يدبر الأمر ؟ فسيقولون الله قل أفلا تذكرون ، قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون الله قل أفلا تتقون ، قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون ؟ سيقولون الله قل فأنى تسحرون ؟

(القسم الثانى) توحيد العبادة ومعناها إفراد الله وحده بجميع أنواع العبادات ، وهـــذا هو الذى جعلوا لله فيه الشركاء ، ولفظ الشريك يشعر بالإقرار بالله تعالى ، قال تعالى « وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه »

قال ابن كثير : والقضاء هنا بمعنى الأمر ، قال مجاهد « قضى بمعنى وصى » وكذا قرأ أبيّ بن كعب وابن مسعود والضحاك ابن مزاحم .

قال تعالى « وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون[1] » وقال « قل إنى أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين » — « قل الله أعبد مخلصاً له دينى » .

وفى حديث الاسلام والايمان والاحسان — عرف الاحسان بقوله : « أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك »

---

(١) على القول بأن اللام للغاية وهو لا يقضى حصوله لكل فرد

نداء الله لجميع البشر أن يعبدوه

قال تعالى : « يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون ، الذى جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناء ، وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم ، فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون » ٢١ و ٢٢ سورة البقرة

إن الخطاب عام للناس كافة :

خاطب الناس عامة بأن يعبدوه ملاحظين معنى الربوبية والخالقية التى تشملهم ، ومن قبلهم من السلف ، فتنظمهم جميعاً فى سلك العبودية للخالق تعالى شأنه ...

هذا النداء الإلهى المشعر بأن نسبة الناس الأولين إلى الله تعالى كنسبة الآخرين واحدة : هو الخالق وهم المخلوقون ، وهو المستحق للعبادة وهم المأمورون بها أجمعون ، حجة علينا وعلى جميع من استن بسنة ذلك الصنف من قبلنا . وبدء الدعوة بالأمر بعبادة الله تعالى وحده هو سنة المرسلين . قال تعالى : « ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا ، أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت » . فكان كل رسول يبدأ دعوته بقوله : (يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره) . وذلك أن جميع الأمم كانت تؤمن بأن الله خالق الخلق هو ربهم ومدبر أمورهم ، وإنما كان كفرهم الأعظم بعبادة غير الله تعالى بالدعاء الذى هو ركن العبادة الأعظم فى وجدان جميع البشر ، ويعتبر الدعاء

والاستعانة من العبادات العرفية ، كالتقرب إلى المعبود بالنذور وذبح القرابين ، أو الطواف والتمسح به إن كان جسما ، أو تمثالا لملك أو بشر أو حيوان أو قبراً لإنسان

ولما كان المخاطبون بالدعوة هنا أولا بالذات فى ضمن الدعوة العامة — وهم اليهود والعرب فى المدينة وما حولها يؤمنون برب العالمين ووحدانيته ، ويعبدون غيره إما بدعائه مع الله أو من دون الله ، وإما بجعله شارعاً يتبعونه فيما يصدره من أحكام التعبد ، أو الحرام والحلال — لما كانوا كذلك احتج على دعوتهم إلى توحيد الله تعالى بالتعبير بلفظ رب مضافاً إليهم . فقال (اعبدوا ربكم) ووصفه بما يدل على انفراده بالربوبية من الصفات المسلمة عندهم ، وهى الخلق والتكوين والرزق . فقال : الذى خلقكم والذين من قبلكم الى آخر الآية التالية — أى إذا كان ربكم هو الذى خلقكم وخلق من قبلكم ، وهو الذى سخر لكم السماء والأرض لرزقكم ومنافعكم فيجب أن تعبدوه وحده ، ولا تشركوا بعبادته أحداً من خلقه ، فتجعلونه مساوياً له وتفضلونه على أنفسكم تفضيلا من نوع تفضيل الخالق على المخلوق ، والرب على المربوب

يقول تعالى : (يا أيها الناس) الذين يدّعون الايمان بالله قولا بأفواههم ، ولم يمس الايمان الحق سواد قلوبهم ، ولا كان له سلطان على أرواحهم ، ويدعون الإيمان باليوم الآخر ، ولم يستعدوا له بتهذيب أنفسهم وإصلاح أعمالهم ، وإنما يأتون ببعض صور العبادات

بحكم العادات الموروثة ، وقلوبهم مشغولة عن الذى لا تفيد العبادة عنده إلا بالتوجه إليه وابتغاء مرضاته والشعور بعظمته وجلاله ، فهم يخادعون الله بهذه الظواهر التى لا معنى لها ، والصور التى لا روح فيها ، وإنما يخدعون فى الحقيقة أنفسهم ، لأن أعمالهم هذه لا تفيدهم فى الدنيا عزة وسعادة ، ولا تنجيهم فى الآخرة . (اعبدوا ربكم) جميعاً عبادة خشوع وإخلاص وأدب وحضور ، كأنكم تنظرون إليه وترونه ، فان لم تكونوا ترونه فانه يراكم ، وينظر دائما الى محل الاخلاص منكم وهو قلوبكم ، واستعينوا على إشعار نفوسكم هذا الخشوع والحضور والإخلاص فى العبادة باستحضار معنى الربوبية[1]

---

(١) فسر الاستاذ الإمام محمد عبده (رب العالمين) من سورة الفاتحة بقوله : يشعر هذا الوصف ببيان وجه الثناء المطلق ومعنى الرب : السيد المربى الذى يسوس مسوده ويربيه ويدبره ، ولفظ (العالمين) جمع عالم جُمع جمع المذكر العاقل تغليباً ، وأريد به جميع الكائنات الممكنة ، أى أنه رب كل ما يدخل فى مفهوم لفظ العالم. وما جمعت العرب لفظ العالم هذا الجمع إلا لنكتة تلاحظها فيه ، وهى أن هذا اللفظ لا يطلق عندهم على كل كائن وموجود ، كالحجر والتراب ، وانما يطلقونه على كل جملة متمايزة لإفرادها صفات تقربها من العاقل الذى جمعت جمعه ، ان لم تكن منه ، فيقال عالم الإنسان وعالم الحيوان وعالم النبات ، ونحن نرى أن هذه الأشياء هى التى يظهر فيها معنى التربية الذى يعطيه لفظ (رب) ، لأن فيها مبدأها وهو الحياة والتغذى والتولد ، وهذا ظاهر فى الحيوان

فانه ربكم الذى أنشأكم فيما لا تعلمون (وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون ، وغذاكم بنعمه ونماكم بكرمه كما فعل ذلك بسلفكم الصالح ، فشكروه وعبدوه وحده ، مقرين بهذه التربية ، ومعظمين لهذه المنة . (الذى خلقكم و) خلق (الذين من قبلكم) قد رباكم كما ربى سلفكم ووهبكم من الهدايات مثلما وهبهم ، فمن شكر منهم ومنكم زاده نعما ، ومن كفر بهذه النعم جعلها عليه نقما ليكون عبرة ومثلا للاخرين ، وذلك من رحمته بالعالمين . وقد أقسم تعالى على ذلك فى كتابه المجيد فقال : (لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابى لشديد) .

هكذا أمر الله تعالى عباده أجمعين بان يعبدوه وحده مخلصين له الدين ، وأرشدهم باعلامه إياهم أنه ساوى بينهم وبين من قبلهم فى المواهب الخلقية — الى الاستقلال بالعمل ، وقدر نعمته عليهم قدرها ، ليعلموا أن كل النعم التى تكتسب بالشكر — وهى ماعدا النبوة — مقدورة لهم ، كما كانت مقدورة لمن قبلهم ، وأنهم اذا زادوا على سلفهم شكراً يزادون نعما ، وما الشكر إلا استعمال المواهب والنعم فيما وهبت لاجله ، فالذين يقولون أننا لا نقدر على فهم الدين بأنفسنا من الكتاب والسنة ، لان عقولنا وأفهامنا ضعيفة ، وانما علينا أن نأخذ بقول من قبلنا من آبائنا ، لان عقولهم كانت أقوى ، وكانوا على فهم الدين أقدر ، بل لا يمكن أن يفهمه غيرهم ، أولئك كافرون بنعمة العقل وغير مهتدين بهذه الآية الناطقة بالمساواة فى المواهب وسعة الرحمة والفضل .

وكذلك الذين يتخذون وسطاء بينهم وبين الله تعالى لأجل التقريب إليه زلفى بغير ما شرعه لهم من الدين وما جاء به الأنبياء عليهم الصلاة والسلام — وهم الوسائل فى الهداية والارشاد أو لأجل الشفاعة لهم عنده ، لينالوا جزاء ما شرعه فى الدين من غير طريق العمل به واتباع المرسلين — قد احتقروا نعم الله تعالى ولم يهتدوا بهذه الآية لأنهم قد جعلوا لله أنداداً يبغون أن ينالوا بأشخاصهم ، ما حكم الله بأن يطلبه الناس بإيمانهم وأعمالهم فجعلوا هؤلاء الأنداد شركاء لله يغنونهم عن شريعته ، شعروا بذلك أم لم يشعروا .

يقول الله تعالى لجميع عباده ، اعبدونى ملاحظين معنى الربوبية والمساواة فى المواهب الخلقية التى تؤهلكم للسعادة الحقيقية (لعلكم تتقون) فان العبادة على هذا الوجه هى التى تعدكم للتقوى ، ويرجى بها بلوغ غاية الكمال القصوى[1]

العبادة

قال العماد ابن كثير فى تفسيره العبادة فى اللغة الذلة ، يقال طريق معبد أى مذلل وبعير معبد أى مذلل — وفى الشرع : عبارة عما يجمع كمال المحبة والخضوع والخوف . اه

وعبارة البيضاوى فى تفسيره : العبادة أقصى غاية الخضوع والتذلل

(١) مختصر من تفسير الامام محمد عبده رضى الله عنه من ص١٨٠ إلى ١٨٦ ج ١ من تفسير القرآن الحكيم .

وفى حاشية الشهاب على البيضاوى : العبادة أبلغ من العبودية التى هى إظهار التذلل .

وقال الأستاذ الامام محمد عبده !

ما العبادة ؟ يقولون هى الطاعة مع غاية الخضوع — وزاد بعضهم التعظيم والحب ، وما كل عبارة تمثل المعنى تمام التمثيل وتجليه للافهام واضحاً، فكثيراً ما يفسرون الشىء ببعض لوازمه ويعرفون الحقيقة برسومها بل يكتفون أحياناً بالتعريف اللفظى ويبينون الكلمة بما يقرب من معناها ، ومن ذلك هذه العبارة التى فسروا بها معنى العبادة فان فيها إجمالا وتساهلا ، وإننا إذا تتبعنا آى القرآن وأساليب اللغة واستعمال العرب — لعبد وما يماثلها ويقاربها فى المعنى — كخضع وخنع وأطاع وذل ، تجد أنه لا شىء من هذه الألفاظ يضاهى (عبد) ويحل محلها ويقع موقعها .

ثم بين حقيقة العبادة فقال رضى الله عنه .

تدل الأساليب الصحيحة والاستعمال العربى الفصيح على أن العبادة ضرب من الخضوع بالغ حد النهاية ناشىء عن استشعار القلب عظمة للمعبود لا يعرف منشأها واعتقاده بسلطة له لا يدرك كنهها وماهيتها ، وقصارى ما يعرفه منها أنها محيطة به ولكنها فوق إدراكه . . وروح العبادة هى إشراب القلوب خشية الله وهيبته والرجاء لفضله لا الأعمال المعروفة من فعل وكف وحركات اللسان

والأعضاء ، فقد ذكرت العبـــادة فى (سورة) الفاتحة قبل ذكر الصلاة وأحكامها والصيام وأيامه فى القرآن، وكانت هذه الروح فى المسلمين قبل أن يكلفوا هذه الأعمال البدنية وقبل نزول أحكامها التى فصلت فى القرآن تفصيلا ما . وإنما الحركات والأعمال فى صور العبادة وهيكلها مما يتوسل به إلى حقيقة العبادة الروحية المعنوية وجوهرها وهو الفكر والعبرة والرجاء والخشية والتوكل والمحبـة

لا عبـادة بغير توحيد

قال شيخ الإسلام ابن تيمية :

إن العبادة لاتسمى عبادة إلامع التوحيد ، كما أن الصلاة لاتسمى صلاة إلا مع الطهارة ، فاذا دخل الشرك فى العبادة فسدت كالحدث إذا دخل فى الطهارة .

وإذا خالط الشرك العبادة أفسدها وأحبط العمل وصار صاحبه من الخالدين فى النار (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء)

الدعاء عبادة

قال الشوكانى فى الدر النضيد :

أخبر الله سبحانه أن الدعاء عبـــادة فى محكم كتابه بقوله تعالى (أدعونى أستجب لكم ، إن الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين .

ومن حديث النعمان بن بشير ان النبي قال : إن الدعاء هو العبادة وفى رواية (مخ العبادة) ثم قرأ رسول الله الآية المذكورة .

والنحر والنذور عبادة

وكذلك النحر للأموات عبادة لهم ، والنذور لهم بجزء من المال عبادة لهم والتعظيم عبادة لهم ، كما أن النحر للنسك وإخراج صدقة المال والخضوع والاستكانة عبادة لله عز وجل بلا خلاف . ومن زعم أن ثم فرقاً بين الأمرين فليهده إلينا . ومن قال إنه لم يقصد بدعاء الأموات والنحر لهم والنذور عليهم عبادتهم فقل له : فلأى مقتض صنعت هذا الصنيع ؟ فان دعاءك للميت عند نزول أمر بك لا يكون إلا لشيء فى قلبك عبر عنه لسانك ، وإن كنت تنحر لله وتنذر لله فلأى معنى جعلت ذلك للميت وحملته إلى قبره ، فان الفقراء على ظهر البسيطة فى كل بقعة من بقاع الأرض ! وفعلك — وأنت عاقل لا يكون إلا لمقصد قد قصدته أو أمر قد أردته .

ومثل هؤلاء يلزمهم ما لزم عباد الأوثان الذين حكى الله عنهم فى كتابه العزيز ما حكاه بقوله (وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً فقالوا : هـذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا) وبقوله (ويجعلون لما لا يعلمون نصيباً مما رزقناهم ، تالله لتسألن عما كنتم تفترون)

وقال الإمام السيد رشيد رضا :

إن الدعاء فى أصل اللغة : النداء والطلب وهو قسمان : عادى

وعبادى، فما وجهه الداعى إلى مثله من طلب يقدر المدعو على إجابته بمقتضى الأسباب المادية فهو دعاء عادى — وما وجهه إلى من يعتقد أن له قدرة أو سلطاناً غيبياً فوق الأسباب العادية — (فهو العبادة)، سواء أكان المدعو يستجيب له بقدرته الذاتية أم بتأثيره وشفاعته ووساطته عند ذى القدرة الذاتية . والأول دعاء الموحدين لا يتوجهون فيه إلا إلى ربهم وحده — والثانى دعاء المشركين الذين يتوجهون إلى اثنين فأكثر ، واحد قادر بذاته ، وغيره قادر بشفاعته ووساطته عند القادر بذاته . وبهذا كان يصرح مشركوا العرب كما حكى الله عنهم . ومن العجيب أن يخفى هذا الشرك فى أعلى أنواع العبادة ، والفرد الكامل منها على أدعياء العلم ، وهو الدعاء الدينى منذ قرون مع دلالة الآيات الكثيرة عليه دلالة قطعية ، ومثل الدعاء غيره من الأقوال والأفعال التى يختلف حكمها وتسميتها باختلاف من توجه إليه ، كالاستعانة والاستغاثة والسجود والطواف .

وقال رضى الله عنه فى مكان آخر :

ومتأولة الشرك يجهلون معنى العبادة والألوهية ولا يفرقون بين اتخاذ المخلوق إلهاً بدعائه والنذر له ونحو ذلك ، وبين تسميته إلهاً ، فيظنون أن الشرك هو تسمية المخلوق إلهاً فاذا عبده بالدعاء وغيره ولم يسمه إلهاً لا يكون مشركا ، وإذا سمى العبادة توسلا لا تكون عبادة ، والعرب كانوا يسمون هـــذه المعانى بأسمائها لأن اللغة سليقة لهم .

(الشرك لا يختلف حكمه باختلاف متعلقه)

ويجب التنبيه في هذا المقام لجهل فظيع وقفنا عليه بمذاكرة بعض المشتغلين بعلوم الدين التقليدية ، وهو زعمهم أن ما عابه الكتاب الحكيم على المشركين والكافرين من أعمال الشرك والكفر كدعاء غير الله واتخاذ أولياء من دونه يقربونهم إليه ويشفعون لهم عنده فيما يطلبون من دفع ضر وجلب نفع مما لا ينال بالكسب فهو خاص بهم وبأوليائهم وشفعائهم ، وأن وقوع مثله من المسلمين لا ينافي صحة إيمانهم والاعتداد باسلامهم للفرق الواضح بين من يدعو الأصنام والأوثان ويجعلها واسطة بينه وبين الله تعالى تشفع له عنده وتقربه إليه زلفى ، ومن يدعو الأنبياء والأولياء لذلك وهم عباد الله المكرمون الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ! !

جهل هؤلاء أن الشرك والكفر لا يختلف حكمه باختلاف متعلقه فمن يدعو مع الله صنماً أو كوكباً ، كمن يدعو نبياً أو ملكا ، على أن الأوثان والاصنام كانت تماثيل لذكرى بعض الاولياء والصالحين كالقبور المنسوبة إلى بعضهم نسبة صحيحة أو مزورة ، ولكن ماذا يقول هؤلاء الجاهلون المدافعون عن الشرك وأهله ، في أهل الكتاب الذين يدعون ويستغيثون الأنبياء والصالحين ، متوسلين بهم ومستشفعين وهم الذين اتبع القبوريين من المسلمين سننهم في شركهم كما أخبر ﷺ بذلك تحذيراً وإنذاراً بقوله « لتتبعن سنن من قبلكم ...» الحديث وهو متفق عليه .

ويذكر هؤلاء الجاهلون بالقرآن وتاريخ الاسلام فرقاً آخر بين شرك المسلمين وشرك من قبلهم ، وهو أن المشركين السابقين اتخذوا أوثانهم وأنبياءهم وأولياءهم آلهة وأرباباً ، وأن المسلمين الذين يدعون الاولياء ويستغيثونهم فى الشدائد طلباً لشفاعتهم لم يتخذوهم آلهة ولا أرباباً ، وإنما يتخذونهم وسائل ووسائط ويعتقدون أنهم مخلوقون مثلهم .

والجواب عن هذا أنه لا فرق بين عمل الفريقين إلا فى التسمية ، ولكن من بعض الوجوه ! فشركوا العرب لم يكونوا يسمون أصنامهم أرباباً بل كانوا يعتقدون ويقولون أن رب العالمين وخالقهم ومدبر أمورهم الذى يجير ولا يجار عليه هو الله وحده ، لأن هذا مقتضى لغتهم وإنما كانوا يسمونها (آلهة) لأن الإله فى لغتهم هو المعبود - والمعبود - هو من يتوجه إليه ويدعى فيما لا يقـــدر عليه الناس بكسبهم فى دائرة الاسباب المعروفة لهم — ويعظم ويتقرب إليه بالذبائح وغيرها لأجل ذلك ، سواء كان سلطانه على النفع ودفع الضر بذاته لذاته وهو الله تعالى أو بشفاعته عند الله ، فتسمية هذه العبادة لغيرالله توسلا فى عرف بعض الناس لا يخرجها عن حقيقتها ولا عن كون إسمها فى اللغة العربية عبادة وهو ما كان يسميها به أهل هذه اللغة .

وإنما التوسل الشرعى : التقرب إلى الله تعالى بما شرعه من الاعمال الصالحة ، لا بالاهواء المبتدعة ولا بالتقاليد المتبعة .

حقيقة الشرك

قال الاستاذ الامام محمد عبده فى رسالة التوحيد :

الاشراك اعتقاد أن لغير الله أثراً فوق ما وهبه الله من الاسباب الظاهرة ، وأن لشيء من الاشياء سلطانا على ماخرج عن قدرة المخلوقين وهو اعتقاد من يعظم سوى الله مستعيناً به فيما لا يقدر العبد عليه — كالانتصار فى الحرب ، بغير قوة الجيوش ، والاستشفاء من الامراض بغير الادوية التى هدانا الله إليها ؛ والاستعانة على السعادة الاخروية أو الدنيوية بغير الطرق والسنن التى شرعها الله لنا .

هذا هو الشرك الذى كان عليه الوثنيون ومن ماثلهم فجاءت الشريعة الاسلامية بمحوه وردالامر فيما فوق القدرة البشرية والاسباب الكونية إلى الله وحـــده ، وتقرر أمرين عظيمين هما ركنا السعادة وقوام الاعمال البشرية .

الاول : إن العبد يكسب بارادته وقدرته ما هو وسيلة لسعادته .

والثانى : أن قدرة الله هى مرجع لجميع الكائنات ، وأن من آثارها ما يحول بين العبد وبين إنفاذ ما يريده ، وأن لاشيء سوى الله يمكن له أن يمد العبد بالمعونة فيما لم يبلغه كسبه .

جاءت الشريعة لتقرر ذلك وتحرم أن يستعين العبد بأحد غير خالقه فى توفيقه إلى إتمام عمله بعد إحكام البصيرة فيه ، وتكليفه أن يرفع همته إلى استمداد العون منه وحده بعد أن يكون قد أفرغ ما عنده من الجهد فى تصحيح الفكر وإجادة العمل ، ولا يسمح العقل ولا الدين لاحد أن يذهب إلى غير ذلك .

وإن مشركى زماننا لاغلظ شركاً من الاولين ، لان الاولين كانوا يشركون فى الرخاء ويخلصون فى الشدة ، أما مشركوا زماننا فشركهم دائم فى الرخاء والشدة على السواء ، قال تعالى فى سورة العنكبوت « فاذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون » وقال فى سورة لقمان « وإذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر فمنهم مقتصد ، وما يجحد بآياتنا إلا كل ختار كفور .

الشرك يهدم قاعدة الايمان والتوحيد

قال علامة العراق السيد محمود شكرى الالوسى :

إن الاستغاثة والاستعانة والتوكل أغصان دوحة التوحيد المطلوب من العبيد ، فاذا قيل تجوز الاستغاثة بالانبياء والصالحين ودعاؤهم والنذر لهم على أنهم وسطاء ووسائل بين الله وبين عباده ، وإن الله يفعل لاجلهم انهدمت القاعدة الايمانية وانتقضت الاصول التوحيدية ، وفتح باب الشرك الاعظم وعادت الرغبات والرهبات والمقاصد والتوجيهات ، إلى سكان القبور والاموات ، ومن دعى مع الله من سائر المخلوقات . وهذه هى الغاية الشركية والعبادة الوثنية ، فنعوذ بالله من الضلال والشقاء والانحراف عن أسباب الفلاح والهدى اه

قال الله تعالى (قل ادعو الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير) وقال تعالى . ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ، قل أتنبؤن الله بمالا يعلم فى السموات

ولا فى الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون) .

وقال تعالى (وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله) .

وقال تعالى (ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده)

وقال تعالى (قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادنى الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادنى برحمة هل هن ممسكات رحمته ؟ قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون)

وقال تعالى (يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ما قدروا الله حق قدره إن الله لقوى عزيز) اه

وقال ابن القيم فى أعلام الموقعين فى تفسير هذه الآية :حقيق على كل عبد أن يستمع قلبه لهذا المثل ويتدبره حق تدبره ، فانه يقطع مواد الشرك من قلبه ، وذلك أن المعبود أقل درجاته أن يقدر على إيجاد ما ينفع عابده ، وإعدام ما يضره ، والآلهة التى تعبدها المشركون من دون الله لن تقدر على خلق الذباب ولو اجتمعوا كلهم لخلقه ! فكيف ما هو أكبر منه ؟ ؟ ولا يقدرون على الانتصار من الذباب إذا سلبهم شيئاً مما عليهم من طيب ونحوه فيستنقذوه منه ! ! فلا هم قادرون على خلق الذباب الذى هو من أضعف الحيوانات ، ولا على الانتصار منه واسترجاع ما سلبهم إياه ، فلا أعجز من هذه الآلهة ولا أضعف

منها ، فكيف يستحسن عاقل عبادتها من دون الله . وهذا المثل من أبلغ ما أنزله الله سبحانه فى بطلان الشرك وتجهيل أهله وتقبيح عقولهم ، والشهادة على أن الشيطان قد تلاعب بهم أعظم من تلاعب الصبيان بالكرة ، حيث أعطوا الآلهة التى من بعض لوازمها القدرة على جميع المقدورات والإحاطة بجميع المعلومات ، والغنى عن جميع المخلوقات وأن يصمد إلى الرب فى جميع الحاجات وتفريج الكربات وإغاثة اللهفات وإجابة الدعوات ، فأعطوها صوراً وتماثيل يمتنع عليها القدرة على أقل مخلوقات الإله الحق وأذلها وأصغرها . ولو اجتمعوا لذلك وتعاونوا عليه : وأدل من ذلك على عجزهم وانتفاء لاهتهم أن هذا الخلق الأقل الأذل العاجز الضعيف لو اختطف منهم شيئاً واستلبه واجتمعوا على أن يستنقذوه منه لعجزوا عن ذلك ولم يقدروا عليه ، ثم سوى بين العابد والمعبود فى الضعف والعجز بقوله (ضعف الطالب والمطلوب) فمن جعل هذا إلهاً مع القوى العزيز فما قدره قدره ولا عرفه حق معرفته ولا عظمه حق تعظيمه ، اه .

ليس بعد الشرك ذنب

وقال فى إغاثة اللهفان :

وقد وسم الله سبحانه الشرك والزنا واللواطة بالنجاسة فى كتابه دون سائر الذنوب وإن كانت مشتملة على ذلك ، قال تعالى (٩ - ٢٨ يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس) .

ونجاسة الشرك نوعان : نجاسة مغلظة ونجاسة مخففة ، فالمغلظة الشرك الأكبر الذى لا يغفره الله عز وجل ، فان الله لا يغفر أن يشرك به .

والمخففة الشرك الأصغر كيسير الرياء والتصنع المخلوق والحلف به وخوفه ورجائه .

ونجاسة الشرك عينية ، ولهذا جعل سبحانه الشرك نجساً بفتح الجيم ولم يقل : إنما المشركون نجس بالكسر ، فان النجس عين النجاسة والنجس بالكسر هو المتنجس ، فالثوب إذا أصابه بول نجس والبول نجس ، فأنجس النجاسة الشرك ، كما أنه أظلم الظلم .

والمقصود أن الشرك لما كان أظلم الظلم وأقبح القبائح وأنكر المنكرات كان أبغض الأشياء إلى الله تعالى وأكرهها له وأشدها مقتاً لديه ، ورتب عليه من عقوبات الدنيا والآخرى ما لم يرتبه على ذنب سواه وأخبر أنه لا يغفره (١) وأن أهله نجس ومنعهم من قربان حرمه وحرم ذبائحهم ومناكحهم وقطع الموالاة بينهم وبين المؤمنين وجعلهم أعداء له سبحانه وللملائكته ورسله وللمؤمنين وأباح لأهل التوحيد أموالهم ونساءهم وأبناءهم وأن يتخذوهم عبيداً .

وهذا لأن الشرك هضم لحق الربوبية وتنقيص لعظمة الإلهية وسوء ظن برب العالمين . ولو أحسنوا به الظن لوحدوه حق توحيده ، ولهذا أخبر سبحانه عن المشركين أنهم ما قدروه حق قدره فى ثلاث مواضع من كتابه (٢)

---

(١) قال تعالى: إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء .
(٢) الموضع الأول فى سورة الأنعام . وما قدروا الله حق قدره (الثانى) فى سورة الحج : ما قدروا الله حق قدره إن الله لقوى عزيز (الثالث) فى سورة الزمر : وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة ـ الى آخر الاية ـ سبحانه وتعالى عما يشركون .

وقال : ويعفى لأهل التوحيد المحض الذى لم يشوبوه بالشرك مالا يعفى لمن ليس كذلك ، فلو لقى الموحد الذى لم يشرك بالله شيئاً ألبتة بقراب الأرض خطايا أتاه الله بقرابها مغفرة (١) ولا يحصل هذا لمن نقص توحيده وشابه بالشرك . . فان التوحيد الخالص الذى لا يشوبه شرك لايبقى معه ذنب .. وكلما كان أعظم إخلاصاً كان منها أبعد كما قال تعالى عن يوسف الصديق عليه السلام (كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين)

﴿ دعوة محمد لجميع العرب ﴾

قال شيخ الاسلام ابن تيميه فى الجواب الصحيح :

كانت دعوته (ص) لجميع العرب : ياأيها الناس إنى رسول الله إليكم آمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ، وأن تخلعوا ما يعبد من دونه من هذه الأنداد ، وأن تؤمنوا بى وتصدقونى — إذ كان يدعو الكافرين والمشركين اه .هذه كانت دعوته للعرب

﴿ دعوته لأهل الكتاب ﴾

ولما اتجه إلى أهل الكتاب من اليهود والنصارى كانت دعوته :

(قل ياأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء (١) بيننا وبينكم أن لانعبد

---

١) يشير إلى الحديث الذى قال فيه رسول الله ، قال الله يا ابن آدم إنك لو أتيتنى بقراب الارض خطايا ثم لقيتنى لاتشرك بى شيئاًلاتيتك بقرابها مغفرة .وقراب ما يقارب ملؤها .

٢) السواء العدل ، قال زهير بن أبى سلمى .

فان تدعوا السواء فليس بينى وبينكم بنى حصن بغاء

إلا الله ولا نشرك به شيئاً ، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ٦٤ آل عمران)

قال البخارى[١] فى شرح هذه الآية « إلى كلمة سواء – أى عدل – والمراد بالكلمة (لا إله الا الله) وعلى ذلك يدل سياق الآية الذى تضمنه قوله أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله . والكلمة هنا بمعنى الكلام ، وذلك سائغ فى اللغة فتطلق الكلمة على الكلمات لأن بعضهـــا ارتبط ببعض فصارت فى قوة الكلمة الواحدة بخلاف اصطلاح النحاة فى تفريقهم بين الكلمة والكلام[٢]

وقال الأستاذ الإمام محمد عبده فى تفسير هذه الآية :

يدعوهم إلى أصل الدين وروحه الذى اتفقت عليه دعوة الأنبياء وهو سواء بين الفريقين — أى عدل ووسط لا يرجح فيه طرف على آخر ، وقد فسره بقو (أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله)

أقول المراد بهذا وحدانية الألوهية ووحدانية الربوبية وكلاهما

---

(١) ص ١٧٢ ج ٨

(٢) يقول النحويون : إن الكلمة هى اللفظ المفرد الدال على معنى ، والمركب المفيد فائدة يحسن السكوت عليها ، يسمى كلاماً وجملة

متفق عليه بين الأنبياء ، فقد كان ابراهيم موحداً صرفا ، وقد كان الأساس الأول لشريعة موسى قول الله له « إن الرب إلهك لا يكن لك آلهة أخرى أمامى ، لا تصنع لك تمثالا منحوتا ولا صورة ما مما فى السماء من فوق ومما فى الأرض من تحت وما فى المــــاء من تحت الأرض لاتسجد لهن ولا تعبدهن » وعلى هذا مدح جميع أنبياء بنى إسرائيل حتى المسيح عليه وعليهم الصلاة والسلام ، وهم لا يزالون ينقلون عنه فى انجيل يوحنا (يو١٧-٣) « وهذه هى الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقى وحدك ويسوع المسيح الذى أرسلته »(١)

---

(١) وفى انجيل مرقص (مر ١٢ — ٢٨ — ٢٤) « فدنا أحد الكتبة وقد سمعهم يباحثونه ورأى أنه أحسن فى الجواب لهم فسأله أية الوصايا هى أول الكل (٢٩) أجابه يسوع إن أول الوصايا كلها اسمع يا اسرائيل : إن الرب إلهنا رب واحد (٣٠) فاحبب الرب إلهك بكل قلبك وكل نفسك وكل ذهنك وكل قدرتك . هذه هى الوصية الأولى (٣١) والثانية التى تشبهها : احبب قريبك كنفسك ولا وصية أخرى أعظم من هاتين (٣٢) فقال له الكاتب حتى يا معلم بالحق قلت : إن الله واحد وليس آخر غيره (٣٣) ومحبته فى كل القلب وكل العقل وكل النفس وكل القدرة ، ومحبة القريب كالنفس هما أفضل من جميع المحرقات والذبائح (٣٤) فلما رآه يسوع أجاب بحكمته قال له : لست بعيداً من ملكوت الله .

وغير ذلك من كلمات التوحيد .

قال الأستاذ الإمام : المعنى اننا نحن وإياكم على اعتقاد أن العالم من صنع اله واحد والتصرف فيه لإله واحد هو خالقه ومدبره وهو الذى يعرفنا على ألسنة أنبيائه ما يرضيه من العمل ومالا يرضيه ، فتعالوا بنا نتفق على اقامة هذه الأصول المتفق عليها ورفض الشبهات التى تعرض لها .

وقد قررت الآية وحدانية الألوهية ووحدانية الربوبية ، فأما وحدانية الالوهية (أن لانعبد الا الله) وأكده بقوله « ولانشرك به شيئا » والإله هو المعبود الذى توله العقول فى معرفته ، وتدعوه وتعمد اليه لاعتقادها أن السلطة الغيبية له وحده ، وأما وحدانية الربوبية فهى قوله (ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله » فالرب هو السيد المربى ، الذى يطاع فيما يأمر وينهى ، والمراد هنا من له حق التشريع والتحليل والتحريم كما ورد فى حديث عدى بن حاتم قال : أتيت رسول الله ﷺ وفى عنق صليب من ذهب ، فقال ياعدى : اطرح عنك هذا الوثن ! وسمعته يقرأ فى سورة براءة (٩ — ٣١) اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله ، فقلت له يارسول الله لم يكونوا يعبدونهم ، فقال « أليس يحرمون ما أحل الله فيحرمونه ، ويحلون ما حرم الله فيستحلونه » فقلت بلى .

قال تعالى (فان تولوا) وأعرضوا عن هذه الدعوة وأبوا الا أن يعبدوا غير الله باتخاذ الشركاء الذين يسمونهم وسطاء وشفعاء واتخاذ

الارباب الذين يحلون لهم ويحرمون (فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون) نعبد الله وحده مخلصين له الدين لاندعو سواه ولا نتوجه الى غيره فى طلب نفع ولا دفع ضر ، ولا نحل الا ما أحله ولا نحرم الا ما حرمه .

وهـــذه الآية أساس الدين المتين وأصله الاصيل ، ولذلك كان النبى ﷺ يدعو بها أهل الكتاب الى الاسلام ، كما ثبت فى كتبه الى هرقل والمقوقس وغيرهما ، وهـذا نص كتابه ﷺ الى هرقل عاهل الروم ، كما فى رواية البخارى :

بسم الله الرحمن الرحيم . من محمـــد عبد الله ورسوله الى هرقل عظيم الروم السلام على من اتبع الهدى ، أما بعد فانى أدعوك بدعاية الإسلام ، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، فان توليت فان عليك اثم الاريسيين . و « يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة ســـواء بينى وبينكم أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ، الى آخر الآية)

فلولا أن هذه الآية الكريمة أساس الدين وعموده لما جعلها آية الدعوة الى الاســلام . فهل يعذر من يؤمن بها اذا هو أدخل فيها باجتهاده ما ليس منها ، فاتخذ له أنداداً يدعوهم لكشف الضر وجلب النفع زاعما أنهم وسائط يقربونه الى الله زلفى ! ويشفعون له عنده فى مصالح الدنيا ، وهذا عين الإشراك فى الالوهية بالاجتهاد الباطل ، والقياس الفاســـد الذى يشبه به الخبير العليم ، الرحمن الرحيم بالملوك الجاهلين والأمراء المستبدين — ولا اجتهاد فى العقائد

ولا قياس فى أصل الإيمان . أم هل يعذر من يؤمن بها إذا هو اتخذ لنفسه أرباباً سماهم العلماء الراسخين أو الأئمة المجتهدين، فجعل كلامهم حجة فى الدين ، وشرعاً متبعاً فى التحليل والتحريم ، وذلك عين الإشراك فى الربوبية والخروج عن هداية الآية القرآنية المؤيدة بمثل قوله تعالى (٤٢ : ٢١ أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله) وقوله (١٦ : ١١٦ ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام) ؟

فالله تعالى قد حد الحدود وبين الحلال والحرام وسكت عن أشياء رحمة بنا غير نسيان منه عز وجل ، ونهانا أن نبحث عما سكت عنه وأن نزيد فى الدين برأينا واجتهادنا ، وإنما أباح لنا الاجتهاد لاستنباط ما تقوم به مصالحنا فى الدنيا ، فهذا هو هـــدى الآية ، وما يعقلها إلا العالمون .

جاء الدين كاملا

قال الشاطبى فى الاعتصام

إن الشريعة جاءت كاملة لا تحتمل الزيادة ولا النقصان ، لأن الله تعالى قال فيها (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً [1]) وكل من زعم أنه بقى من الدين شىء

---

(١) ذكروا أن هذه الآية نزلت قبل موته صلوات الله عليه بنحو ثمانين يوما

فقد كذب بقوله (اليوم أكملت .. الآية)

وثبت أن النبي لم يمت حتى أتى ببيان جميع ما يحتاج إليه من أمر الدين والدنيا[1] . وهذا لا مخالف عليه من أهل السنة . وقال ابن الماجشون سمعت مالكا يقول : من ابتدع فى الاسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمداً ﷺ خان الرسالة ، لأن الله يقول (اليوم أكملت لكم دينكم) فما لم يكن يومئذ دينا فلا يكون اليوم دينا

وقال تعالى « ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله »

وقال رسول الله : من رغب عن سنتى فليس منى .

وفى صحيح البخارى عن عائشة : من أحدث فى أمرنا هذا ماليس منه فهو رد — وفى رواية مسلم : من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد — وهذا الحديث عده العلماء (ثلث الإسلام)

وخرج مسلم أنه قال فى خطبته « أما بعد ، فان خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدى هدى محمد ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل بدعة ضلالة » وفى رواية « وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة » وفى رواية للنسائى « وكل محدثة بدعة وكل بدعة فى النار »

---

(١) جاء بأمور الدين مفصلة ، وهدى إلى أمور الدنيا بالإجمال وبالقواعد الكلية كمشروعية الشورى وطاعة أولى الأمر فيما يستنبطون من الأحكام باجتهادهم ، وقواعد اليسر ورفع الحرج ، والضرورات وغير ذلك مما يوافق كل زمان ومكان ـ من تعليق السيد رشيد رضا

وقال مالك بن أنس : قضى رسـول الله ، وقد تم هذا الأمر واستكمل ، فانما ينبغى أن نتبع آثار رسول الله ولا نتبع الرأى ، فان من اتبع الرأى جاء رجل آخر أقوى فى الرأى منك فاتبعته ، فأنت كلما جاء رجل عليك اتبعته ، أرى هذا لا يتم .

وعن أبى الدرداء - يرفعه - قال : ما أحل الله فى كتابه فهو حلال وما حرم فيه فهو حرام ، وما سكت عنه فهو عافية ، فاقبلوا من الله عافيته ، فان الله لم يكن لينسى شيئا ، وما كان ربك نسيا .

وقال رسول الله ﷺ : مابعث الله من نبى إلا كان حقا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم ، وينهاهم عن شر ما يعلمه لهم .

وفى حديث العرباض بن سارية ، قال رسول الله : تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها ولا يزيغ عنها بعـدى إلا هالك ، من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيراً ، فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى — وفى رواية « فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشـدين المهديين ، عضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور فان كل بدعة ضلالة . رواه أبو داود والترمذى .

(طاعة الله ورسـوله)

قال تعالى (ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا)

وقال (إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله)

وقال (من يطع الرسول فقد أطاع الله)

وقال (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم

من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا)

وقال (ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ، ومن يعص الله ورســـوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين .

البـــدعة

قال الشاطبى فى الاعتصام

البـدعة الحقيقية هى التى لم يدل عليها دليل شرعى لا فى كتاب ولا فى سنة ولا إجماع ولا استدلال معتبر عن أهل العلم ، لا فى الجملة ولا فى التفصيل — ولذلك سميت بدعة .

والبـدعة حاصلها مخالفة فى اعتقاد اكمال الشريعة . وأى فتنة أعظم من أن تظن أنك فعلت فعلا قصر عنه رسول الله !

والبدع فى عامة أمرها لا تلائم مقاصد الشرع .

وقال الألوسى فى غاية الأمانى

إن البدعة لغة المحدثة مطلقا ، واصطلاحا إذا قوبلت بالسنة — يراد بها المحدثة فى الدين ، إما بزيادة أو نقصان — وهى السيئة التى ليس لها أصل ظاهر من الكتاب والسنة أو سند صحيح استنبطه علماء الأمة — وقال السويدى والقول الفصل فى البدعة الشرعية أنها الزيادة فى الدين أو النقصان منه من غير إذن من الشارع لا قولا ولا فعلا ولا صريحا ولا إشارة .

وأخرج أبو داود عن حذيفة قال : كل عبادة لم تفعلها الصحابة فلا تفعلوها .

وقال السيد رشيد : البدعة كيفما كانت صفتها هى استدراك على الشرع وافتئات عليه ، وكلما أحدث الناس فى أمر الدين ولم يأخذوه من كتاب الله أوسنة رسوله المبينة لكتابه فهو بدعة سيئة وضلال يستحق متبعها العقوبة فى النار .

(صراط الله مستقيم)

قال تعالى (وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون .

فالصراط المستقيم هو سبيل الله الذى دعا إليه ، والسبل هى سبل أهل الاختلاف الحائدين عن الصراط المستقيم وهم أهل البدع .

وعن مجاهد فى قوله (ولا تتبعوا السبل) قال البدع والشبهات

وقال الله (وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم أجمعين) فالسبيل القصد هو طريق الحق وما سواه جائر عن الحق ، أى عادل عنه ، وهى طرق البدع والضلالات .

وقال تعالى (إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم فى شىء) وقال تعالى (ولا تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً كل حزب بما لديهم فرحون)

وقال رسول الله ﷺ « من رغب عن سنتى فليس منى »

(حكم الله لا يكون إلا بما شرع)

وقال الشاطبى : إن الشريعة بينت أن حكم الله على العباد لا يكون إلا بما شرع فى دينه على ألسنة أنبيائه ورسله .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية :

وجماع الدين أصلان : أن لا يعبد إلا الله ، وأن لا يعبد إلا بما شرع ، لا يعبد بالبدع كما قال تعالى (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً)

البدع والخرافات
ومدى انتشارها بين المسلمين

استفاضت البدع والخرافات فى بلادنا وأعرقت فيها قروناً طويلة حتى أصبحت كأنها من عقائدنا ، مما جعل المستشرقين والباحثين فى علم الاجتماع يقولون إن ذلك خاص بطبيعة العرب عامة والمصريين خاصة .. فقال المستشرق الانجليزى ادوارد وليم لين الذى زار مصر وعاش فيها منذ قرن ونصف قرن فى كتابه « المصريون المحدثون » .

« يعتقد العرب بالخرافات اعتقاداً عظيما ، ويعد عرب مصر أكثرهم تعلقاً بهذه الاعتقادات الباطلة » وعقد لبيان هذه الخرافات والبدع التى شاهدها بنفسه أثناء إقامته ببلادنا ثلاثة فصول من كتابه هذا استغرقت حوالى خمسين صفحة ، ولولا أن يطول كتابنا

لأتينا بما فى هذه الفصول ، لأنه إحصاء دقيق لما أصيبت به بلادنا من بدع وخرافات لاتزال ، وا أسفاه تضرب فى مفاصل الأمة .

ومما لا ريب فيه أن هـــذه البدع والخرافات لم تبلغ مبلغها ولم ينتشر ضررها وبلاؤها ، حتى أصبح الاسلام بها غريباً فى بلاده ، إلا بترك اتباع الـكتاب والسنة الصحيحة ، ونصر الملوك والحـكام لها إرضاءاً للعامة ، وتأييد الشيوخ الجامدين المقلدين ، تزلفاً للحكام والعامة معاً .

ومنذ أكثر من عشرين سنة ، أى فى سنة ١٩٣٦ تألفت لجنة موقرة لمحاربة البدع برياسة الأستاذ الـكبير الشيخ عبد المجيد سليم رحمه الله ، وكان حينئذ يتولى منصب الإفتاء فى الديار المصرية ، وتفرع من هذه اللجنة الـكبرى لجنة بحثت أمر هذه البدع ووضعت فى ذلك تقريراً نشرت خلاصته جريدة البلاغ الصادرة فى ٢٢ — ٦ سنة ١٩٣٦ وها هى ذى :

محاربة البدع

قسمت اللجنة تقريرها إلى ستة أقسام ، خصت كل قسم منها بالعادات والبدع التى يرتكبها العوام فى أعمالهم ، وهى بدع الجنائز والمساجد والأضرحة والمزارات والقبور . والمواسم والأعياد والأذكار والأوراد ، ثم قسم خاص بالعادات المرذولة التى يأباها الدين ثم مسائل شتى .

أما البدع الخاصة بالجنائز فقد حددتها اللجنة بأنها : تزيين النعش بالحرير والذهب والنياشين ، ورفع الصوت بالذكر والدلائل والقرآن وغير ذلك أمام الجنائز ، وسير حملة القماقم والشموع والموسيقى أمامها والمغالاة فى الكفن وفرش القبور ، وإلباس المرأة شيئا من حليها وذبح الذبائح بين يدى الجنائز وعلى القبور ، والجلوس للمأتم وتوزيع التبغ (الدخان) وتكرار التعزية ومدتها ، وقراءة القرآن فى المآتم مع شرب الدخان، واستشهاد المصلين عقب الصلاة على الميت بقولهم (ما تشهدون فى هـذا الرجل) والطواف بالجنازة حول الأضرحة وحول القرية ، وسلوك أبعد الطرق فى السير بالجنازة ، والجرى بالميت حتى يتوهم الناس أنه (يطير) وتأخير الدفن عن الزمن الذى يستطاع فيه الدفن ، وذكرى الأربعين والخميس الكبير والصغير ، وذكرى الوفاة فى كل عام ، والنعى وطرقه المشروعة وغير المشروعة والتأبين والمراثى وتهيئة أهل الميت الطعام للمعزين من مال القاصر وغيره ، والإسراف فى إقامة السرادقات ، وخروج النساء خلف الجنائز وزيارتهن للقبور ، وقراءة القرآن على القبور .

هذه هى البدع — وعددها اثنتان وعشرون ، وستتناولها اللجنة بالبحث فى الفصل الخاص بالجنائز من كتابها ثم تبدى رأيها فيها .

أمااللجنة الفرعية التى بحثت فى هذه البدع ووضعت هذاالتقرير عنها للجنة العليا فهى مؤلفة من أصحاب الفضيلة الأساتذة : الشيخ عبد الرحمن الجزيرى المفتش الأول للمساجد فى وزارة الأوقاف ،

والشيخ عبد الجليل عيسى المفتش بالأزهر والشيخ عبد ربه مفتاح مفتش الوعظ والإرشاد والشيخ أحمد محمد العدوى المدرس فى كلية أصول الدين .

ثم عادت فنشرت فى ٢٧ يونية سنة ١٩٣٦ ما يلى :

محاربة البدع

بدع الأعيـــاد والمواسم

من المواضيع التى بحثتها اللجنة الفرعية التى ألفتها اللجنة العامة لمحاربة البدع برياسة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ عبد المجيد سليم المفتى الأكبر لتبحثها فى كتابها الخاص بذلك البدع المتعارفة بين جمهور المسلمين خاصة بالأعياد والمواسم الاسلامية .

وقد رأت اللجنة أن من هـــذه العوائد ما ليس من الإسـلام الصحيح ، بل هو بدعة مستحدثة ، وقد أشارت فى تقريرها إلى عشر عوائد منها وهى :

— دعاء عاشوراء ونعى بعض الخطباء للامام الحسين ، ودعاء أول السنة الهجرية وآخرها ، وصلاة الرغائب فى الخميس الأول من شهر رجب والتسبيح الخاص بها ، وصوم الثلاثة الأشهر متتابعاً ، وقراءة قصة المعراج والاحتفال بها ، وصلاة ليلة النصف من شهر شعبان ودعاؤها المشهور ، واستئجار القراء للقراءة فى ليالى رمضان والمواسم والاشتغال بزيارة القبور والأضرحة عقب صلاة العيد بدل الرجوع

إلى المنازل لإدخال السرور على أهل المصلى ، وبيع البخور فى العشر الأوائل من المحرم والرقيا المشهورة ، ورؤية رمضان بطواف أرباب الطرق وغيرهم من أرباب الحرف والصنائع فى الشوارع والميادين .

وفى ١٢ يوليه سنة ١٩٣٦ نشرت ما يلى :

(البـــدع الخاصة بالمساجد والزيارات)

نشرنا من قبل فى «البلاغ» بعض ما جاء فى التقرير الذى قدمته اللجنتان اللتان ألفتهما من أعضائها ، لجنة محاربة البـدع ، المؤلفة برياسة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ عبد المجيد سليم المفتى الأكبر

وننشر فيما يلى قسما آخر من تقرير إحدى اللجنتين ، وهو يتضمن ما تراه خاصاً بالبـــدع التى دخلت على الاسلام فى إقامة المساجد والزيارات وما تفعله العامة عند سماع الأذان وغير ذلك وهو :

زخرفة المساجد والإسراف فيها بما يشغل المصلى عن الصـلاة والأكل والشرب بما يقذرها ، ورفع الصوت فى المساجد بالـكلام والذكر ونحوها ، والتسليم على المنائر يوم الجمعة قبل الزوال ، وتلقين المؤذن فى الاذان الثانى يوم الجمعة وجعله داخل المسجد بعد أن كان على الباب ، والترقية بين يدى الخطيب ، وكتابة بعض آيات يوم الجمعة اليتيمة والخطيب على المنبر بقصد استعمالها تمائم ، والتهبير على المآذن عند موت أحد العلماء ، والأذان السلطانى ، والتغنى بالأذان بما يخرجه عن حـدوده ، والجهر بالصلاة والسلام على النبى عقب الاذان ، والترضى عن الأولياء عقب الاذان ، وقراءة سورة الـكهف قبل الجمعة على النحو المعروف ، والتبليغ من غير حاجة ،

والتبليغ جماعة ، ورفع الصوت بالاستغفار عقب الصلاة وختم الصلاة وقراءة العشر بين الاذان والإقامة ، والمصافحة عقب الصـــلاة ، والأقوال المعتادة عند العوام ، وتقبيل الابهامين عند قول المؤذن أشهد أن محمداً رسول الله ، بقصد الشفاء ، والجهر بالنية عند الاحرام بالصلاة ، وصلاة الظهر عقب صلاة الجمعة جماعة ، والسيف الخشبى حين الخطبة ، والستائر والأعلام على المنابر ، وتعـــدد الجماعة فى مسجد واحد ، وزيادة (سيدنا وحبيبنا) فى تشهدى الاذان والاقامة وقولهم بدل إجابة المؤذن (الله أكبر) أو (الله أكبر على أولاد الحرام) وقول بعض الخطباء عقب الخطبة الأولى (أدعو الله وأنتم موقنون بالاجابة) وقراءة حديث (إذا قلت لصاحبك والامام يخطب يوم الجمعة أنصت فقد لغوت) بين يدى الخطيب وهو على المنبر ، وتوديع رمضان فى المســـاجد وفوق المنابر وفى الطرقات وطواف العاقر وصعودها المنائر للحمل ، وتقبيل المستمعين أيديهم يوم الجمعة عند قول الخطيب (الحمد لله) وطلب قراءة الفاتحة عقب الصلاة للأولياء أو لغيرهم .

هذه هى البدع التى سيشملها الكلام فى الفصل الخاص بالمساجد وبدع الناس فيها . من الكتاب الذى ستضعه اللجنة .

وكان هذا آخر ما نشرته عن هذا الأمر فى عددها الصادر فى ٢ أغسطس سنة ١٩٣٦ :

البدع الخاصة

بالأضرحة والمزارات والقبور

نشرنا من قبل كثيراً من العادات والمعتقدات الشائعة بين عامة المسلمين فى مصر وغيرها مما اعتبرته لجنة محاربة البدع أنه ليس من الدين ونشر فيما يلى ما ذكرته اللجنة الفرعية فى هذه اللجنة من العادات الخاصة بالأضرحة والمزارات والقبور التى سيشملها كتاب اللجنة العامة فيما سيشمل من البدع ، واللجنه كما يعرف القراء مؤلفة برياسة صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ عبد المجيد سليم المفتى الأكبر .

حصرت اللجنة البدع الخاصة بالأضرحة والمزارات والقبور فى واحدة وعشرين بدعة هى :

البناء على القبور ، إيقاد السرج عليها لإنارتها ، المبيت فى القبور حلقات الذكر فى الاضرحة والقبور ، الطواف حول المقابر والتمسح بها وبأعتابها ، التبرك بالاحجار والاشجار التى تكون فى بعض الاضرحة والمساجد، التبرك بالتدحرج عند المقابر ، كما يفعل بعض سكان القاهرة عند المغاورى ، ودق المسامير وتعليق الخرق بقصد الشفاء فى بعض الابواب والاشجار ، وزيارة الاضرحة بقصد الشفاء من الامراض المختلفة ، ورفع العرائض لارباب القبور ، والنذور للأولياء والصالحين ، وشد الرحال للقبور ، وكساء القبور بالجوخ

والحرير ونقشها بالذهب والفضة ، والاستغاثة بالأنبياء والأولياء والتوسل بهم ، وكنسة الإمام الشافعي وغسل قبر السيد البدوى ، والتبرك بترابهما ومائهما ، ووضع مقصورات النحاس والخشب على القبور ، وبناء المساجد على القبور ، والصلاة فى داخل الاضرحة ، ووضع آثار الصالحين فى المساجد والاضرحة للتبرك بها ، مثل المخلفات وعمة السيد البـــدوى ودرعه ، ووضع العمائم والبراقع على القبور والاحتفال بوضعها ورفعها .

وكنا يومئذ قد استبشرنا بتأليف هذه اللجنة الموقرة ، وعلقنا عليها آمالا كباراً ، وحسبنا أنه قد آن الأوان للقضاء على هذه العلل التى نهكت جسم أمتنا وقضينا فى محاربتها عمرنا ، فنشرنا الكلمة الآتية بجريدة المقطم الصادرة فى ٢٤ يولية سنة ١٩٣٦ .

ومما نذكره اليوم والحزن يحز فى قلوبنا والأسف يملأ جوانبنا أنه قد مضى على تأليف هـذه اللجنة عشرين سنة وسنة ! ولم نجد لها ولا لغيرها عملا أو أثراً ، بل رأيناها قد غطت فى نومها ، ورضيت بما رضى به غيرها ، فلا حول ولا قوة إلا بالله .

فى البدع والعادات

إلى فضيلة العلامة الجليل مفتى الديار المصرية

كان من حسنات صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الازهر التى يذكرها له كل مسلم بالثناء الطيب ، وإصلاحه الذى سيكون له

تأثير حسن فى حياتنا الاجتماعية ، أن تنهض ليجدد الدين الإسلامى فى هذا العصر ، بأن أمر بتأليف لجنة تنظر فيما زيد فى هـذا الدين من بدع ليست منه فى شىء ، وما أدخل عليه من عادات هو منها براء وقضت حكمته أن يعهد فى أمر هذه اللجنة إلى العلامة مفتى الديار المصرية ، ولا أكون مغالياً إذا قلت أن ما صنعه إمام الأزهر هو أجلّ عمل ينفع المسلمين فى هذا العصر ، ولا سيما أهل القرى لأنه أساس كل إصلاح اجتماعى لهم ، ذلك بأنه متى تطهرت عقائد الناس مما ران عليها من أدران البدع وما غشيها من سيىء العادات أمكنها أن تتلقى مايغرس فيها من بذور الاصلاح بالقبول ، وأن تعمل مهيأة له راضية به ، فتأتى الثمرة المرجوة :

ولو أراد الباحثون المصلحون أن يعرفوا أول شىء يقوم عليه إصلاح الاجتماع المصرى لما كان ذلك إلا تطهير العقائد من البـدع المنـكرة وتحرير العقول من العادات السيئة .

ولقد نشرت الصحف ما لاحظته تلك اللجنة الموقرة من بدع الجنائز ، كرفع الصوت بالذكر أمام الجنائز ، وسـير حملة القماقم والمغالاة فى الـكفن ، والجلوس للمأتم وغير ذلك ، ولـكننا لم نر فيها بدعة العتاقة الصغرى والعتاقة الـكبرى ، وإسقاط الصلاة وختمات القرآن وكتابة سورة الأنعام ووضعها مع جثمان الميت لترحمه مما يباع بالثمن ، ولا يعمل إلا بالأجرة !! فلعلها تعنى بهذه البدع ، لأن لها سلطاناً على الناس شديداً ، وهى شر البدع كلها من الناحية الدينية

وعلى أنه قد نشر كذلك بيان موجز عن بدع الأضرحة والمزارات والقبور فانا نرجو من صاحب الفضيلة رئيس لجنة البدع أن يوجه عنايته إلى أمر هو أساس الدين الاسلامى ، بل هو أساس دعوة الرسل جميعاً ، ذلك هو أمر (توحيد الألوهية) فيعمل على بيان حقيقة هـــذا التوحيد للناس ، ويبين لهم روح الدين ، فما يسموه فى اصطلاحهم (توسلا بأصحاب القبور) وما هو فى الحقيقة إلا عبادتهم وجعلهم شركاء لله ، لأن الناس كما لا يخفى على أحد يفزعون إليهم فى ملماتهم ويلجأون إليهم فى حاجاتهم ويدعونهم لقضاء مآربهم وإذا نزل بأحدهم أمر لا يفزع فيه إلى خالقه ليكشفه عنه ، وإنما يصرخ فى ذلة وخشوع لأصحاب هذه القبور ، فدعاؤهم هذا هو روح العبادة وقد نطق الحديث الشريف بأن الدعاء هو العبادة أو مخ العبادة .

كذلك نرجو أن تعنى اللجنة ببيان الحق فى زيارة القبور ، لأن الناس فى زيارتهم لأضرحة الموتى يعفرون وجوههم بترابها ويقبلون أعتابها ويستلمون مقاصيرها ويطوفون بها ويستغيثون بمن فيهـــا ويقدمون العرائض إليها .

ونأمل كذلك أن تعنى بأمر التولات والتمائم والعزائم وختمات القرآن التى تعمل فى كل آن مما يباع بالثمن .

ولعلها لا تنسى كذلك أن تظهر حكم الله فى إقامة الموالد عامة وتعددها لميت واحد فى العام الواحـــد ، ومولد النبى ﷺ خاصة وتكشف عن الحق فى هذه القصة الخيالية الخرافية التى وضعوها

لمولده الشريف — هذا ما نريد أن يكون مما تعمله لجنة البدع التى سيكون عملها إن شاء الله فى هذا العصر من أجل الاعمال التى تعود على الناس بالخير والاصلاح .

المنصورة   محمود أبو ريه

الصوفية ومضارها

مما لا يكاد يخفى على أولى الالباب أن الصوفية قد أصبحت فى عصرنا الحديث — بل وفيما قبل عصرنا — من أكبر علل الامم الاسلامية وأشد أمراضها ، وأن أضرارها على هذه الامم قد تفاقم فتكها ، لان ما تنشره من وثنيات وما تبثه من خرافات إنما يضرب العقول والافكار ، فتصاب همم المسلمين بمرض الشلل ، وتضرب العزائم بداء التواكل (ورمى الحمول) على (الاولياء) فلا تتجه إلى الحياة وعمران الارض من طريق العلم واتخاذ الاسباب التى تؤدى إلى رقيها وإعلاء شأنها ، وبذلك أصبحت الامم الاسلامية فى ساقة الامم جهلا وفقراً ومرضاً — إلا من عصم ربك .

وما ظنك بأمم يتجرع أهلها من شيوخ دينهم مثل هذه السموم الفتاكة .

دع الخلق للخالق — مراد الخالق من الخلق ما هم عليه — لهم الدنيا، أى للمستعمرين، ولنا الآخرة ، أى للمسلمين — الدنيا جيفة وطلابها كلاب — الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر اـ ويلقنونهم

قول الله تعالى (ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل !)

ويحجبون عنهم مثل قوله تعالى (سخر لكم ما فى الأرض جميعاً ـ ولا تنس نصيبك من الدنيا ـ قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق الخ)

ومن الغريب أنهم وهم يزهدون دراويشهم فى الدنيا ويصرفونهم عنها ليستمتع بها المستعمرون، يتكالبون هم عليها ويستمتعون بلاذها ونعمها ويعيشون عيشة رغداً فيها !

وليت هؤلاء الشيوخ الضالين قد وقفوا بأضرارهم لأممهم عند ذلك ، وإنما لهم أعمال من دون ذلك مع المستعمرين لبلادهم هى أنكى وأخزى ـ هؤلاء المستعمرون الذين لم يتركوا بلداً من بلاد الشرق — وا أسفا — إلا اتخذوا من كبار شيوخ الصوفية ورجال الدين فيها صنائع لهم ! ومطايا لأغراضهم ، وقد قال نابليون : لقد كسبت صداقة مشايخ الطرق فى مصر لكى آمنُ شر الشعب المصرى — وهو الذى أهدى لكل شيخ طريقة سجادة ما زالت الطرق تنسب إليها إلى اليوم !.

وقال اللورد كرومر : لقد وضعت المشايخ فى يدى ! ووضعت مصر فى جيبى ، وللأسف فان المشايخ الذين يعنيهم كرومر لم يكونوا شيوخاً للطرق فحسب ، وإنما هم شيوخ من الأزهر كذلك ، وسنعرض لهذا الأمر ببعض البيان فيما بعد .

ولأن أمر هذه الصوفيه مما يتصل بموضوعنا فانا نأتى بفذلكة عنها هنا

سئل شيخ الاسلام ابن تيمية عن الصوفية والفقراء فأجاب :

أما لفظ الصوفية فانه لم يكن مشهوراً فى القرون الثلاثة [1] وإنما اشتهر التكلم به بعد ذلك ... وقيل — وهو المعروف — أنه نسبة إلى لبس الصوف ، فانه أول ما ظهرت الصوفيه فى البصرة ، وكان فى البصرة من المبالغة فى الزهد والعبادة والخوف ونحو ذلك ما لم يكن فى سائر أهل الامصار — ولهذا كان يقال : فقه كوفى وعبادة بصرية — والتصوف عندهم له حقائق وأحوال معروفة قد تكلموا فى حدوده وسيرته وأخلاقه ، كقول بعضهم : الصوفى من صفا من الكدر ، وامتلأ من الفكر ، واستوى عنده الذهب والحجر — التصوف كتمان المعانى وترك الدعاوى وأشباه ذلك .

والصوفية مجتهدون فى طاعة الله كما اجتهد غيرهم من أهل طاعة الله ، ففيهم السابق المقرب بحسب اجتهاده ، وفيهم المقتصد الذى هو من أهل اليمين ـ وفى كل من الصنفين مما قد يجتهد فيخطىء وفيهم من يذنب فيتوب أو لا يتوب .

ومن المنتسبين إليهم من هو ظالم لنفسه عاص لربه ، وقد انتسبت إليهم طوائف من أهل البدع والزندقة .

(الصوفية ثلاثة أصناف)

وقد تشعب التصوف وتنوع ، وصارت الصوفية ثلاثة أصناف :

---

(١) روى الشيخان وغيرهما : خير الناس قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ، فالتصوف قد ظهر بعد خير القرون .

١ — صوفية الحقائق ، وصوفية الارزاق ، وصوفية الرسم ، أما صوفية الحقائق (١) فهم الذين وصفناهم .

٢ — وأما صوفيـــة الأرزاق فهم الذين وقفت عليهم الوقوف كالخوانق (٢) ولا يشترط فى هؤلاء أن يكونوا من أهل الحقائق فان هذا عزيز ! !

وأكبر أهل الحقائق يشترط فيهم ثلاثة شروط ـ أحـدها : العدالة الشرعية ، بحيث يؤدون الفرائض ويجتنبون المحارم ـ والثانى : التأدب بآداب أهل الطريق ، وهى الآداب الشرعية ، وأما الاداب البدعية فلا يلتفت إليها ـ والثالث : أن لا يكون أحدهم متمسكا بفضول الدنيا ، فاما من كان جماعا للمال (٣) أو كان غير متخالق بالأخلاق المحمودة ولا يتأدب بالاداب الشرعية أو كان فاسقاً فانه لا يستحق ذلك .

وأما صوفية الرسم ، فهم المقتصرون على النسبة ، فهمهم فى اللباس والاداب الوضعية ونحوذلك — فهؤلاء فى الصوفية بمنزلة الذى يقتصر على زى أهل العلم وأهل الجهاد ، بحيث يظن الجاهل حقيقة أمره أنه منهم وليس منهم .

---

١ — لعل صوفية الحقائق هى التى عناها ابن خلدون فى مقدمته حيث قال عنها أصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعـــالى والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه والانفراد عن الخلق فى الخلوة للعبادة .

٢ — التكايا .

٣ — كما هو حال أكثر الذين يتظاهرون بالتصوف فى هذا العصر .

الصواب للمسلم

وبعد أن تكلم شيخ الاسلام فى هذه الفتوى عن الصوفية بما تكلم بما اختصرناه لك قال رحمه الله :

والصواب للمسلم أن يعلم أن خير الكلام كلام الله وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم ، وخير القرون — القرن الذى بعث فيهم ، وأن أفضل الطرق والسبل إلى الله ما كان عليه هو وأصحابه ، ويعلم من ذلك أن على المؤمنين أن يتقوا الله بحسب اجتهادهم ووسعهم كما قال الله تعالى: فاتقوا الله مااستطعتم . وقال صلى الله عليه وسلم : إذا أمرتكم بأمر فائتوا منه مااستطعتم . وقال تعالى : لايكلف الله نفساً إلا وسعها وان كثيرا من المؤمنين المتقين أولياء الله قد لا يحصل لهم من كمال العلم والإيمان ماحصل للصحابة ، فيتقى الله ما استطاع ويطيعه بحسب اجتهاده فلا بد أن يصدر فيه خطأ ، إما فى علومه وأقواله ، وإما فى أعماله وأحواله ، ويثابون على طاعتهم ويغفر لهم خطاياهم ، قال تعالى (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لانفرق بين أحد من رسله وقالواسمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير ، لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ، ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ؛ ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به ، واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين. قال الله تعالى ، قد فعلت ، فمن جعل طريق أحد من العلماء والفقهاء أو طريق أحد من العباد والنساك أفضل من طريق الصحابة

فهو مخطىء ضال مبتدع — وأهل السنة والجماعة يقولون : ما دل عليه الكتاب والسنة والإجماع — وهو أن المؤمن يستحق بوعد الله وفضله الثواب على حسناته ، ويستحق العقاب على سيئاته .

صوفية العصر

ولو اعتبرنا تقسيم الصوفية الذى حدده شيخ الاسلام ابن تيمية — تكون صوفية عصرنا — بين صوفية الأرزاق وصوفية الرسم — أما صوفية الحقائق فقد أصبحت غريبة عنا لا يعرف الناس عنها شيئاً إلا من الكتب ، لأنها إذا وجدت فانها لا تعلن عن نفسها ، لأن عبادتها بينها وبين ربها ، وقد يوجد قلة منهم الآن ، لأن الخير لا يزال موجوداً فى الناس .

وقال ابن الجوزى فى تلبيس إبليس :

كانت النسبة فى زمن رسول الله — إلى الاسلام والايمان — فيقال مسلم ومؤمن ، ثم حدث اسم زاهد وعابد ، ثم نشأ أقوام تعلقوا بالزهد والتعبد ، فتخلوا عن الدنيا وانقطعوا إلى العبـــادة واتخذوا من ذلك طريقة تفردوا بها ، ورأوا أن أول من انفرد بخدمة الله سبحانه رجل يقال له صوفة ، واسمه الغوث بن مر فانتسبوا إليه — وهذا الاسم ظهر للقوم قبل سنة ٢٠٠ ﻫ

وقال الإمام السيد رشيد رضا رحمه الله :

إن التصوف قد ذر قرنه فى أواخر القرن الثانى ، وظهر الشذوذ فى المنتحلين له فى القرن الثالث .

وقد قال الإمام الشافعى الذى توفى سنة ٢٠٢ ﻫ (إذا تصوف الرجل

فى الصباح لا يأتى المساء — أو قال العصر — إلا وهو مجنون ، وأنكر الإمام أحمد الذى توفى سنة ٢٤١ ه على خيارهم ، ونهى عن قراءة كتب الحارث المحاسبى،على التزامه الكتاب والسنة علماً وعملا . وتوفى الحارث سنة ٢٤٣ه ، وهو أستاذ أكابر البغداديين وممن أخذ عنه سيد الطائفة أبو القاسم الجنيد (١

ثم قال : وجملة القول أن الصوفيـــة ثلاث فرق ، صوفية الأخلاق المهتدين بالكتاب والسنة وسيرة السلف الصالح ، وهم من خيار أولياء هـــذه الامة ، وصوفية الفلسفة الهندية الذين يسمون أنفسهم صوفية الحقائق ، وغلاتهم كغلاة الشيعة الباطنية شر المبتدعة الهادمين للدين ، وصوفية التقليد — وهم أهل الطرائق والزوايا الكسالى ، وإن هم إلا صوفية أكل واحتفالات وبدع وخرافات إلا قليلا منهم !

وقال أبو شامة فى كتابه (الباعث على انكار البدع والحوادث) ما نصـــه :

الواجب على العالم فيما يرد عليه من الوقائع ، وما يسأل عنه من الشرائع ، الرجوع إلى ما دل عليه كتاب الله المنزل ، وما صح عن نبيه المرسل ، وما كان عليه الصحابة ومن بعدهم من الصدر الأول ، فما وافق ذلك أذن فيه وأمر ، وما خالفه نهى عنه وزجر ، فيكون قد آمن بذلك واتبع ، ولا يستحسن فان من استحسن فقد شرع .

---

(١) قال صاحب تفسير روح البيان ما نصه . قال سيد الطائفة الجنيد — الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا من اقتفى أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم واتبع سنته ولزم طريقته .

وفى سنن أبى داود عن حذيفة بن اليمان — كل عبادة لا يتعبدها أصحاب رسول الله فلا تعبــــدوها ، فان الاول لم يدع للاخر مقالا ، فاتقوا الله وخذوا طريق من كان قبلكم .

وما دمنا بسبيل الـكلام عن الصوفية فاننا نورد هنا ما كتبناه عنها منذ ربع قرن عندما كنا نكتب مقالات (حياة القرى)

حياة القرى(١)

التصوف وأهل الطريق

يسوقنا ما نقول عن هؤلاء الذين يلقبون أنفسهم (بالمتصوفة) أو (أهل الطريق) واستولوا بهذه المزاعم على القرى ، إلى أن نذكر طرفاً من الحديث عن التصوف ، لا نذهب فيه إلى التقصى حتى نصل إلى ما قال به بعض الباحثين من أنه يرجع إلى أصل هندى ، أو أنه مزيج من عناصر كثيرة ، فيها الهندى والفارسى والمصرى والأغريق ، لأن هذا له موضع لسنا بسبيله اليوم .

لا نمعن فى هذا وإنما نتكلم عن نشأته فى الاسلام، لان ذلك هوالذى يتصل بموضوعنا ، ومتى أوردنا ذلك استطعنا أن نحكم على متصوفة عصرنا ، فنعرف إن كانوا يسيرون على طريق سلفهم الصالح ، أو أنهم اتخذوا سبيلا آخر اتبعوا فيه أهواءهم وآثروا دنياهم على آخرتهم !

---

(١) عن جريدة المقطم الصادرة فى ٢٤ مارس سنة ١٩٣٣ - ٢٨ ذى القعدة سنة ١٣٥١

يقول ابن خلدون فى مقدمته (هذا العلم - التصوف - من العلوم الشرعية الحادثة فى الملة ، وأصله أن طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم - طريقة الحق والهداية ، وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والاعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه ، والانفراد عن الخلق فى الخلوة للعبادة .

وقال معروف الكرخى (التصوف هو الأخذ بالحقائق ، واليأس مما فى أيدى الخلائق .

وقال الجنيد : أن تكون مع الله تعالى بلا علاقة .

وقال سمنون : المحب أن لا تملك شيئا ولا يملكك شىء .

ولا نسترسل فى إيراد كل ما قيل فى التصوف حتى لا يؤدى بنا ذلك إلى الاطالة وحسبنا ما ذكرنا .

هذا هو التصوف فى ديننا وتلك صفاته وأعماله عند سلفنا ، فاذا نحن آثرنا الصدق فى الرواية لنرضى الحق والتاريخ جاهرنا من غير أن نخشى لومة لائم ، إن الذين يزعمون اليوم أنهم أهل الطريق ، ليس فيهم من صفة تشبه ما كان عليه أسلافهم من قبل ، لا فى القول ولا فى العمل وقلنا إن الأمر قد انقلب ، فبعد أن كان التصوف طريق الهداية ، أصبح مطية الباطل والغواية ، وبعد ما كان عمل الصوفى (العكوف على العبادة والاعراض عن زخرف الدنيا والزهد فيما يقبل عليه الجمهور ، صار شغله الشاغل الانصراف إلى ملذات الحياة والجشع فيما يقبل عليه الجمهور ، وبعد ما كان من صفته الانفراد عن الخلق فى الخلوة للعبادة ،

بات مجالا للظهور والتزاحم بالمناكب للحصول على أماكن الرفعة والاستعلاء — صار التصوف وسيلة من وســـائل العيش ومهنته يتخذها كل عاطل من العمل ليصل بها إلى أغراضه الذاتية ، وينفذ منها إلى شهواته النفسانية ، وبشيء يسير لايتجشمه فى عمله تراه قد بلغ غايته واستحوذ على عقول البسطاء ليسخرها فيما يريد ، إذ ليس بينه وبين أن يصبح « شيخ طريقه[1] » إلا خطوة سهلة ، ذلك أن يحصل على ترخيص يؤدى عنه رسماً زهيداً لمشيخة الطرق الصوفية ثم إتاوة سنوية يؤديها إلى هذه المشيخة مما يحصل عليه من العامة .

وإذا كنا نعرف أنه يشـترط فيمن يطلب الترخيص بمهنة أو بعمل — أن يكون ذا صفات ومؤهلات تكافىء ما يطلب الترخيص به ، فان من يطلب الترخيص (بالتصوف) لا يشترط فيه أية صفة أو أى شرط كان ، حتى ولا معرفة القراءة والـكتابة ، وكثيراً ما يكون فيهم المجرمون وأرباب السوابق ليستتروا بها مما زنوا به من قبـــل .

ومتى حمل هـذا الترخيص الذى يسمونه (أجازه) من مشيخة الطرق الصوفية أسرع إلى التشكل بالمظاهر العرضية التى تتطلبها مهنته ، فيلوث عمامة عجراء ويلونها بغير اللون الأبيض ، فتـكون سوداء أو حمراء أو خضراء ، واللون الاسود علامة (الرفاعيـة)

---

(١) أى خليفة — كما صححها لنا الشيخ التفتازانى رحمه الله .

أتباع أحمد الرفاعى ، والأحمر شعار الأحمدية أتباع أحمد البدوى ، والأخضر للبرهاميه أتباع ابراهيم الدسوقى ، وكذلك يلبس العمامة الخضراء من يقولون بأنهم أشراف .

ولهذا (التلون) فى العمائم[1] سر وحكمة ، ذلك بأنهم إذا ظهروا كلهم بين الناس بعمائم بيضاء فانهم لا يعرفون ولا يتميز بعضهم من بعض ، وقديماً قالوا (خالف تعرف !)

وقد سئل أحد شيوخ الصوفية الكبار عن سبب تلوين العمائم بألوان مختلفة ـ ما دام الكل يعبدون إلهاً واحداً ويتبعون رسولا واحداً ولهم كتاب واحد وقبلة واحدة، فقال كلمة حكيمة أصاب بها كبد الحقيقة « تغيير شكل لأجل الأكل »

ثم يتخذ شيخ الطريقة غير ذلك مسبحة من ذات الحب الغليظ ويرسل لحيته ويقص شاربه ، ويعمد بعد ذلك إلى موضع السجود من جبهته ، فيديم حكه بشيء صلب ، أو يدق بعض فصوص الثوم ويضعها فى خرقة ثم يربطها عليه ليلة أو ليلتين ؛ فتترك أثراً ليقال إنه (من أثر السجود)

---

(١) هذه العمائم التى يلبسها مشايخ الطرق المنسوبة إلى الصوفية لم يثبت عن النبى ﷺ منها شيء إلا العمامة السوداء ، فقد ورد أنه دخل مكة عام الفتح وعليه عمامة سوداء ، وهو لم يلبسها تشريعاً بل اتفق له ذلك .

وإن كان (بيومياً) من أتباع على البيومى ، أطال شعر رأسه وعقد منه ضفائر تتدلى على منكبيه ملتوية كالأفاعى .

هذه هى مظاهر الصوفية فى بلادنا اليوم ، وبهذه الوسائل يستحوذ منتحلوها على عقول البسطاء ويكون لهم فيهم مقام الأولياء[1] !

ولكى ينشب أحدهم أظفاره فى قرية من القرى يتخذ له طائفة فيها يستعين بها على قضاء مآربه ، ولكى يحكم أمره يجعل لهذه الطائفة أمراء ونقباء ، ثم لا يدع طائفة بغير مظهر تتميز به من غيرها ، فيستوفى هذا المظهر ويأتى له بعدد من بيارق (أعلام) ودفوف وصنوج (كاسات) وغيرها ليخرجوا بهذه الوسائل فى مواكبهم بضجيجهم وعجيجهم . وقد اتبعوا فى السنين الأخيرة طريقه جديدة لاستهواء العامة، ذلك أنهم يأتون بأعلام يحملها الأطفال فى الحفلات والمواكب استغواءاً لهم .

وما أظنهم قد اتبعوا هذه الطريقة فى العهد الأخير إلا لما رأوا أن أسواق المظاهرات قد نفقت بين العامة من يوم أن قامت فى البلاد ثورة سنة ١٩١٩ وأن هذه المظاهرات تفرح بها العامة ، إنما مظهرها المغرى هو الأعلام — وما المواكب التى يقوم بها المتصوفة

---

(١) بهذه التشكيلة يصبح له على الدراويش ثلاثة حقوق (أيدى ملطوعة وفلوس مدفوعة وكلمة مسموعة) ووراء ذلك أفعال خبيثة نجسة لا نعرض لها ، لأن أنهار الصحف كل يوم تفيض بها .

إلا نوع من أنواع المظاهرات التى تخدع العامة — وهى كلها ليست من الدين فى شىء .

وبمثل هـذه الوسائل تقام معالم الطريقة ويصبح لها (قدم) فى القرية.وويل للقرى من هـــذه (القدم) إذ تصير قدم سوء تخضم الرطب وتقضم اليابس .

ولا يقف نفوذ هذا الشيخ فى قرية من القرى ، بل يمتد هـذا النفوذ حتى يشمل قرى كثيرة ، وتصبح هذه القرى التزاماً له يشبه الالتزام الذى كان معروفاً زمن المماليك ، بل يمتاز عنه بأن مشايخنا عفا الله عنهم ومتعهم بالحياة لا يؤدون ضرائب للحكومة مثل ما كان يؤديه الملتزمون فى عهدهم .

ونقف بحديثنا اليوم عند هـذا الحد ، وفى المقال الآتى نأتى بما يعمله هؤلاء المتصوفة فى القرى فليرتقب حضرات القراء إن شاء الله

حياة القرى[1]

وعـدنا حضرات القراء أن نأتى بما يفعله متصوفة عصرنا فى القرى — وقد رأينا أن إيراد كل ما تقترف هذه الجماعة قد يؤدى بنا إلى الإطالة ، ومذهبنا هو القصد فى القول فلنلتزم الايجاز بنشر طرف من أعمالها وهو كاف فى أن يدل على غيره .

---

(١) نقلت هذه الكلمة عن جريدة المقطم الصادر يوم ٩ ابريل سنة ١٩٣٣ الموافق ١٤ ذى الحجة سنة ١٣٥١ هـ

ولعل باحثاً ينهض فيحصى كل هذه الأعمال ، ويردف ذلك أيضاً بإحصاء عدد الطرق فى عصرنا ، فقد كثرت وتفرع بعضها من بعض كما فعل الشهرستانى فى كتابه الملل والنحل .

بعد أن يستوفى الشيخ كل مظاهر الطريقة — كما بينا يعمل على الإكثار من المريدين ، ولكى يصل إلى غرضه يتخذ حيلا تبلغ به ما يريد ، فيشيع بين الناس تلك العبارة المأثورة عن مشايخهم وهى (اللى مالوش شيخ فشيخه الشيطان [1]) ومعنى ذلك فى التعبير الصوفى أنه لا بد لكل مسلم ومسلمة أن يتخذ له شيخاً من هؤلاء الجاهلين ليصل به إلى الله — وبذلك يحسب البسطاء — وأكثر أهل القرى كذلك — أن من لم يأخذ (عهـــداً) على الشيخ يصير من أتباع الشيطان الرجيم !!

ولما كان هذا العهد لا يكلف آخذه — فى أول الأمر — شيئاً فانك ترى الناس يقبلون على الشيخ ليأخذوا عليه العهد — وأخذ العهـد — أن يضع الشيخ يده الكريمة فى يد المريد أو المريده ثم يتلو شيئاً مما حفظه ويوصيه ببعض الوصايا .

وبهذا يصبح آخذ العهد (مريداً ـ أو درويشاً) فيبسط الشيخ

---

(١) هـذه العبارة قد جاءت صريحة فى شرح كتاب الخريدة الذى حدثناك عنه فى ص ٧٥، ٧٦ فهى إذن ليست قاعدة صوفية وإنما هى عقيدة أزهرية اهـ .

سلطانه بحيث لا يشاركه فيه سواه — ومن قواعدهم أنه يجب على المريد أن يكون بين يدى شيخه كما يكون الميت بين يدى الغاسل .

ولا يقوم الشيخ بعد ذلك للمريد بشيء إلا أن يأمره بتلاوة اسم من أسماء الله تعالى عدداً يحدده له ثم ينقله إلى تلاوة غيره ، ومن لم يقم بهذه التلاوة لا يحاسب بشيء .

هذا ما يفعله الشيخ نحو مريده ، أما ما يحتاج إليه من أمور دينه حتى الضرورية منها فهذا مالا يعنى به مشايخ الطريق ولعلهم لا يفعلون ذلك ، لأنهم هم أنفسهم لا يحسنون معرفة هذه الأمور ، أو لأن هذه الأمور من العلم (الظاهر) وعلم سادتنا هو العلم (الباطن) أى الحقيق والحقيقة كما يقول المتصوفة غير الشريعة [1] ، وكذلك لا يأمرونهم بمعروف ولا ينهونهم عن منكر .

ومتى استحوذ الشيخ على نفر من الدراويش عهد إلى إقامة حلقات الذكر التى يرقصون فيها ويتمايلون ، ويطبلون ويزمرون ، وتكون فى بيوت المريدين وفى الحفلات العامة وفى المآتم وعلى قبور الموتى ، وغير ذلك ، ويكون إقامة أكثرها فى ليالى الاثنين والجمعة

---

(١) قال السيد رشيد : من أصول الضلالة التى دخلت على المسلمين من باب التصوف (المقابلة بين الحقيقة والشريعة ودعوى أن للدين ظاهراً وباطناً ، وهو من ابتداع زنادقة الباطنية ، صفحة ٥٢ و ٥٣ مجلد ١٩ المنار .

لأنهما فى رأيهم أكثر الأيام بركة .

وتسمى حلقة الذكر (الحضرة) أو (المحيا) ويسمونها الحضرة لأن أرواح الأقطاب والأولياء تحضرها وتحفها ببركاتها، أما تسميتها المحيا فلأنهم يحيونها بأذكارهم وخزعبلاتهم ، وليزداد مقام الشيخ بين الناس علواً تذيع عنه بطانته أموراً غريبة وأحوالا عجيبة ، مما يأخذ بألباب البسطاء ويستهويهم، فيود كل إنسان أن يناله لمحة من أسرار الشيخ (ويحفه قبس من نوره) وبذلك يزداد الشيخ احتراماً وتبجيلا وتمتلىء يديه بالعطايا ويصبح له بين الناس مقام عظيم .

ومتى ظهر أن للشيخ (سراً) أقبل عليه الناس لا للتبرك به فحسب ولكن بمرضاهم ليداويهم بيده الشريفة وأنفاسه الطاهرة ، ومن هذه السبيل ينفذ أكثرهم وهم شياطين الانس إلى الأمور الخفية فيتصلون بالنساء ويختلون بهن لمداواة أمراضهن وعلاج عقمهن !! وقضاء وطرهم بهن وما يطلبن من مشايخهم من تأليف ما بين قلوبهن وقلوب من يحببنهن أو العمل على قطع أسباب الزوجية بينهن وبين أزواجهن وما إلى ذلك من الأمور التى لا يفرغ النساء منها ، وحتى فى غير هذه الامور ، فان النساء لا يحتجبن عن شيوخ الطرق ، بل يقابلن هؤلاء الشيوخ كما يقابلهم أزواجهن ، ولابد لكل من يسلم على الشيخ أن ينال بركته ويحظى (بتمليسته) والتمليس أن يمر بيده الطاهرة على جوانب من جسم المرأة ويعبث بها على رقبتها وبين نهديها الخ ، كل ذلك لتغمر البركة كل جسمها .

ولا يقف نفوذ الشيخ فى القرى عند حد ، فله التصرف فى كل شأن من شئونها ، حتى ما يكون منها بين يدى القضاء من القضايا فيزعم أنه يوجه سره إلى قلب القاضى لكى يحكم لمن يريد !

وسلطان الشيخ على أتباعه منبسط فسيح الرقعة يتناول كل شىء فى أنفسهم وأموالهم ، فترى المريد لا يدخل على شيخه إلا بعد أن يقف هنيهة فى خضوع وخشوع ووله ، كما يقف (الشافعى) للصلاة ، فيضع يديه على صدره ويقرأ الفاتحة ثم يتقدم إلى يده الكريمة فيقبلها بطناً وظهراً ولا يجلس إلا إذا أذن له . وتكون جلسته أمامه كجلسة المصلى للتشهد ، ولا بد له من التزام آداب خاصة فى حديثه وسيره وغير ذلك . هذا هو سلطان الشيخ على نفس مريده[1]

أما سلطان الشيخ على ماله ، فان له فيه نصيباً مفروضاً يؤديه إليه

---

(١) هناك قواعد وآداب بين الشيخ ودرويشه نذكر منها أنه يجب على الدرويش متابعة شيخه بدون سؤال أو تردد ، ولا يجوز له أن يعترض على شيخه ، ولو رآه على فاحشة حتى مع زوجته ، ولا ينكر عليه ولو بقلبه ، لأن عقوبة ذلك كله الحرمان ، والعياذ بالله ، ومن حق الشيخ أن يمنع المريد عن إجابة أبيه وأمه إذا ناداه ، وكذا له أن يمنع الزوجة عن زوجها والعكس ، ولا يصح للزوج أن يصالح زوجته إلا برأيه ، وتكون الزوجة عند امتناعها عن زوجها تحت تصرف الشيخ .

فى مواسم الزرع وفى الموالد العامة والخاصـــة ، وفى أفراح الشيخ وأتراحه وغير ذلك ، ومن قواعـدهم المعروفة المقررة (إن العادة تثبت ولو بمرة)

وشيوخ الطريق يحرصون كل الحرص على سلطانهم ونفوذهم فى القرى ، وفى سبيل ذلك ينجم التزاحم بينهم ، ويجر هذا التزاحم إلى الشنآن والبغضاء ، وبخاصة فى المواكب ، إذ كل طريقة تريد أن يحتل شيخها (العقب) أى يكون الموكب كله الذى يجمع الطرق أمامه . وعلى أنهم يقولون (وكلهم من رسول الله ملتمس ، فان كل شيخ يدعى أن سره أعظم وطريقته أقوم ، أما غـــيره فليس من التصوف فى شىء ، وطريقته لا تؤدى إلى (الوصول) ثم يشيع بين دراويشه أن المبتدىء عنده كالمنتهى عند غيره . .

وقد يشتد الأمر بينهم فيكيد بعضهم لبعض ، ويعتدى بعضهم على بعض ، ويضطر كل فريق من أتباعهم إلى أن ينصر شيخه بكل مايستطيع، فتقع المشاحنات، وترتكب الجنايات ، وتقترف السيئات وتقع القرية فى حرب لا يعلم إلا الله متى تنتهى ، وذلك كله بسبب حرص مشايخنا رضى الله عنهم على نفوذهم وزعامتهم ، وكان اليقين أن يكونوا فى البلادرسلاالمحبة ودعاة للخير والسلام

ويظل الشيخ محل إكرام الناس وتعظيمهم طوال حياته ، فاذا مات ـ أستغفر الله ـ بل إذا (انتقل) هرع كل مريديه من أقاصى

البلاد وأدانيها إلى مكان جثمانه ليروا كراماته ، وكرامته بعد موته أن (يطير) أى يجرى نعشه بين المشيعين ، فمتى رأى الناس منه ذلك عدوه من الأولياء الذين لهم ما يشاءون عند ربهم ..

من أجل ذلك يحرص أهله وكبار دراويشه على ظهور هذه الكرامة التى تجعل شيخهم من الأولياء إلى يوم القيامة ، فيعمدون إلى طريقة تصل بهم إلى هذه الغاية ، فيتفقون سراً مع جماعة منهم ليحملوا النعش ، ويوصوهم بأن يسيروا قليلا ثم يجرون به ههنا وههنا ويندفعون به إلى الأمام ، ثم يرتدون إلى الخلف ، ويذهبون به إلى الحقول ، فيجرى الناس وراءهم ، ولا بأس من أن يذهب بعملهم هذا ما يذهب من الزرع ، وفى أثناء ذلك تزغرد النساء وتعلوا أصوات الرجال بالتهليل والتكبير .

وبعد دفن جثمان الشيخ يقيمون عليه قبة تزار ، ويقرأ لها الفاتحة وتؤدى لها النذور ، وتنحر باسمها الذبائح ، وتعمل الموالد ، ويستغاث بها فى الملمات ، وكيف لا يفعلون ذلك وقد أصبح صاحبها من أولياء الله الذين لهم ما يشاءون عند ربهم ، والذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

ولا يذهب سر الشيخ إلى مقامه ، بل يمتد إلى من يتولى المشيخة بعده من أولاده ، ومن يحوزها من أولاده يكون أكثر احتراماً وأعلى مقاماً من أبيه ، لأنه شيخ ابن شيخ .

وحسبنا ماقلنا فى متصوفة القرى ، ولنرجع إلى ناحية أخرى من

حياة القرى ، ولا بأس من أن نختم قولنا بكلمة نفيسة عثرنا عليها فى بعض كتب التصوف وهى «كان التصوف حالا فصار كاراً (صنعة) وكان احتساباً فصار اكتساباً ، وكان استتاراً فصار اشتهاراً ، وكان اتباعاً للسلف ، فصار اتباعاً للعلف ! وكان عمارة للصدور فصار عمارة للغرور ، وكان تعطفاً فصار تسكاماً ، وكان تخلقاً فصار تملقاً ، وكان تجريداً فصار تزيداً .

* * *

ما كدنا ننشر هاتين الكلمتين حتى نفر الشيخ محمد الغنيمى التفتازانى رحمه الله (شيخ السادة الغنيمية) وهاج هائجه ونهض ينافح عن الطرق الصوفية لأنه أحد كبار شيوخها الذين يشتركون فى أعمالها ويستولون على مغانمها .

وقد كان الشيخ رحمه الله ذا لسان طويل يقذف دائما بالشتائم أكثر مما ينطق بالحقائق، ومن أجل ذلك — وبأنه كان من أكبر أعوان الانجليز الذين كان لهم حينئذ سلطان كبير على الحكومة وعلى رأسها مليكها ــ كان الكتاب يخشونه ويتخاذلون فى مجالدته ومجادلته» .وما رأيت كاتبا مهما علا مكانه فى البيان قد ثبت أمامه فى ميدان، وكان رحمه الله قد حسب أنه سينقض علينا انقضاض الباشق على العصفور وإننا لا قبل لنا به ! ولكننا تدرعنا بالحق واعتمدنا على الله وحده وظللنا نصاوله ونجادله حتى فر والحمد لله من الميدان منهزما

وترك الناس يتندرون عليه ويشمتون به ، وتلقينا حينئذ كتبا كثيرة من أرجاء البلاد تحمل ثناء طيبا علينا [١]

على أن الشيخ قد أمدنا فى جداله بفوائد عن الطرق الصوفية ومشيختها كنا فى حاجة إليها ، فقد قال رحمه الله :

« .. مشايخ الطرق فى مصر معدودون محصورون ، لهم صناعاتهم الرسمية ، ولهم مشيختهم العليا ، ولهم قانونهم ولائحتهم الداخلية ،

---

(١) نكتفى هنا بكتاب منها — خشية التطويل — وهذه هى صورته لم نخرم منها حرفا :—

الاسكندرية فى ٢٥ مايو سنة ١٩٣٣

حضرة الأستاذ الفاضل والكاتب البليغ محمود أبو ريه (افندى)

بعد التحية — اسمحوا لى أن أشكركم شكراً عظيما على مقالاتكم عن (حياة القرى) فانها — والحق يقال — تستحق عظيم الاعجاب والشكر من كل محب لدينه غيور على عقيدته ، فما هذا القلم الذى كتبت به ما كتبت ؟ أعود من أعواد شجر الجنة ؟ أوهو قلم المرحوم محمد عبده ؟

بورك فيك ولا فض فوك ، ولا عدمت الأمة أمثالك من رجال الأقلام المصريين وأصحاب المنطق السليم وعقيدة الإيمان الصحيح ولعنة الله على الدجل والدجالين ، والسلام ختام .

المخلص أحمد عبد الرحمن

ولهم مجلسهم الصوفى المنتخب منهم كل ثلاثة أعوام فى دار محافظة القاهرة ، والمؤلف من ثمانية أعضاء يرأسهم سماحة شيخ المشايخ الصوفية ، سليل أبى بكر الصديق ، وارث أسلافه الكرام فى هذا المنصب العظيم الذى هو تقليد من تقاليد السادة البكرية فى الديار المصرية ، من سبعمئة عام تقريباً [1] وقال : يبلغ عدد الطرق الصوفية

---

(١) الحقيقة أنه « لم يكن للصوفية مشيخة عامة ترجع إليها أعمالها ، بل كانت كل طريقة أو زاوية مستقلة بنفسها ، فلما أنشأ السلطان صلاح الدين الأيوبى خانقاه سعيد السعداء وسماها دويرة الصوفية ، جعل لشيخها شبه تقدم على غيره من المشايخ ، وكان لا يولى عليها إلا أعظم رجال الدولة من الأكابر والأعيان ، كأولاد شيخ الشيوخ ابن حمويه ، مع ما كان لهم من الوزارة والإمارة وتدبير الدولة وقيادة الجيوش ، ووليها ذو الرياستين الوزير الصاحب تقى الدين عبد الرحمن ابن بنت الأعز وغيره ، وما زالت الحال كذلك إلى أن توحدت رياسة الصوفية بمصر فى القرن التاسع للهجرة ، فجعلت الولاية فيها للسيد محمد شمس الدين البكرى ، وكان من أعظم رجال عصره علماً وديناً — قال الشعرانى عنه « ولو قلت إنه أعلم أهل زمانه لم أحد عن الصواب » ثم تولاها بعده ابنه الامام شيخ الاسلام المفسر الشهير أبو السرور البكرى . وانتقلت بعده إلى ذريته ولا تزال إلى الآن فى البيت البكرى الصديقى بمصر ص ٢٤٦ ج ١ من التمدن الاسلامى وقد انتقلت أخيراً من بيت البكرى وتولاها الشيخ أحمد الصاوى

قرابة الأربعين طريقة كلها معروفة مشهورة ذات أتباع ورجال فى سائر البلاد الاسلامية .

ومشيخة الطريق وراثية فى بيوت مشايخها[١] .. هذه هى مشيخة الطريقة ، وإنك لن تجد إلا أفراداً قلائل وصلوا إلى مقام المشيخة من غير طريق الوراثة[٢] ، ولا يزيد عددهم على ثلاثة بين الأربعين

(١) من أجل هذه الوراثة يظفر بهذه المشيخة حتى الأطفال ، فقد عين عبد الرحيم مصطفى الدمرداش شيخاً للطريقة الدمرداشية بموافقة الشيخ عبد الحميد البكرى وهو طفل ، وعين أبو الوفا التفتازانى ابن الشيخ محمد الغنيمى التفتازانى شيخا للطريقة التفتازانيه بعد أبيه - وهو فى السادسة من عمره - وكان بمدرسة الظاهر . وعين محمد البيومى شيخا للطريقة البيومية وهو طالب باحدى المدارس الأهلية — ولما عين الطالب عبد الرحيم الدمرداش شيخا للطريقة الدمرداشية نشرت جريدة الأهرام الصادرة فى ١٤—١١—١٩٤٢ صورته واقفاً بعمامته وكتبت بجوارها: الشيخ عبد الرحيم الدمرداش حفيد ابن بنته المغفور له عبد الرحيم الدمرداش شيخ الطريقة الدمرداشية — وأنه نال شهادة الثقافة وهو تلميذ الآباء اليسوعيين

(٢) كان الشيخ رحمه الله من الذين وصلوا إلى مقام المشيخة من غير طريق الوراثة فقد (شاء الانجليز بأن تنشأ له مشيخة خاصة) ولم تلبث الحكومة أن أمرت مشيخة الطرق الصوفية بأن تنفذ رغبة الانجليز ، ومن يومها صار داعية لهم حتى توفى إلى رحمة الله .

شيخا الذين هم كما قدمنا ـ مشايخ الطرق الرسميون .

ولكل طريقة من الطرق فى المصرية نائب فى كل إقليم ، ويلى هـــذا النائب نواب فى المراكز ، ويلى هؤلاء خلفاء الخلفاء ، ثم الخلفاء ثم النقباء فالدراويش فالمريدون .

وقد بين الشيخ التفتازانى أن هذه المشيخة عزيزة المنال لا يستطيع أحد أن يصل إليها ، فقال يخاطبنى فى كلمته هذه « ولا يزيد عددنا على الأربعين فى الديار المصرية بحال، ودون أن تصبح أنت (يخاطبنى) أو غيرك شيخ طريقة اهوال[1] »

فاللهم احفظنا منهم ولا تحشرنا معهم ! !

هذا ما بينه لنا الشيخ التفتازانى رحمه الله عن الطرق الصوفية ، ولكى نستوفى الكلام عن هذا الأمر نقول إن تعيين شيخ الطريقة إنما يكون بأمر (ملكى) يبلغ إلى وزارة الداخلية لتبلغه من جهتها إلى جميع المديريات والهيئات بمصر .

وبعد تعيينه يقام حفل كبير بقصر عابدين لإلباس الشيخ الخلعة السنية ، ويحضر هـــذا الاحتفال رئيس المحكمة الشرعية ونائبها ومفتى الديار المصرية وشيخ الأزهر ومديره وسكرتيره وشيخ مشايخ الطرق الصوفية وكبار العلماء ومشايخ الطرق .

---

(١) عن جريدة المقطم الصادرة فى ٢٨ ابريل سنة ٩٣٣ الموافق ٣ محرم سنة ١٣٥٢ هـ

وعندما ينزل الشيخ من الطابق العلوى للقصر — حيث الذات الملكية — يحتفل رجال الطرق الصوفية بالباسه العمامة فى فناء القصر الداخلى .

وهاك صورة من الأوامر الملكية التى تصدر بتعيين مشايخ الطرق :

صورة الأمر الملكى رقم ١٩ لسنة ١٩٤٨

نحن فاروق الأول ملك مصر

نظراً لخلو مشيخة السجادة الوفائية

أمرنا بما هو آت

١ — عين السيد محمود حسن العروسى شيخاً للسجادة الوفائية خلفاً للمرحوم السيد محمد زكى العروسى بك .

٢ — على رئيس مجلس الوزراء تنفيذ أمرنا هذا . «فاروق»

صدر بقصر القبة فى ١٣ شعبان سنة ١٣٦٧

٢١ يونيه سنة ٩٤٨

هذا ما يجرى فى تعيين شيخ الطريقة — أو شيخ السجادة — أما تعيين شيخ المشايخ فله طريقة أخرى نجد من اللازم أن نكشف عنها ، وإليك تعيين شيخ المشايخ الحالى ، وندع لجريدة الأهرام أن تتحدث عن هذا الأمر ، لأنها قد سجلته للتاريخ على صفحاتها ، فقد نشرت فى نسختها الصادرة فى ٢٥ مارس سنة ٩٤٧ ما يلى :

احتفل أمس فى قصر عابدين العامر بالباس سماحة السيد أحمد الصاوى شيخ مشايخ الطرق الصوفية الجديد الخلعة الملكية السامية

ففى منتصف الساعة الثالثة بعد الظهر اجتمع أعضـــاء المجلس الصوفى الأعلى وتوجهوا مع سماحة الشيخ إلى القصر العامر وجلسوا فى إحدى قاعات التشريفة . وكانت ساحة القصر قد زخرت بجموع من رجال الطرق الصوفية ، وهم يحملون أعلامهم ويرتلون أناشيدهم وأدعياتهم . . وفى الساعة الثالثة والنصف صعد شيخ المشايخ ومعه أعضاء المجلس الصوفى وبعض مشايخ الطرق ، والمدعوون من العلماء إلى الطابق العلوى ، حيث اتخذوا أماكنهم فى إحـــدى قاعات الاحتفالات الـكبرى .

حتى إذا ما أشرفت الساعة على الرابعة ، أقبل صاحب الجلالة الملك ، وبعد أن صافح الحاضرين ، تصدر المـكان وجلس إلى يمين جلالته حضرات : رئيس المحـكمة الشرعيـة ومفتى الديار المصرية ونقيب الأشراف وكبار العلماء ، وإلى يسار جلالته شيـخ المشايخ فأعضاء المجلس الصوفى الأعلى حسب أقدميتهم .

يرتدى الخلعة

وبعد قليل ، تقدم معالى رئيس الديوان واستأذن جلالة الملك فى إلباس شيخ المشايخ الخلعة السنية ، فتفضل حفظه الله بذلك . وهى فراجية من الجوخ الأخضر المبطن بالفرو .

وعلى إثر ذلك ألقى شيخ المشايخ فى الحضرة الملكية الكلمة الآتية :

كلمة شيخ المشايخ

مولاى : لقد شرفتنى وألبستنى حلة سنية وخلعة ملكية أعتز بها على مدى الأجيال ، فلجلالتك منى أعظم الشكر ودائم الدعاء وأسأله جل شأنه أن يبارك فيك وأن يجملك ذخراً للاسلام والمسلمين .

وإنها يا مولاى رمز لما أعطاك الله من مواهب وعنوان لفيض من فيوضاته سبحانه على قلب الفاروق الطاهر تكشف عن مدى طهر وضمه الله فيك ، فصفت روحك الطيبة فتفضلت وأكرمت رجال الله بما منحت شيخهم ، وكأنى بك يا مولاى وقد أمدك الله بامداده أحببت أن تقود رجال الطريق بسامى عطفك وعميم فيضك إلى مقام الصفاء فتكون قيادتك لرجال الدين كقيادتك لرجال الدنيا سمو فى المجد وارتقاء فى الفيض ، فيسعد بقيادتك الشباب كما يفخر بزعامتك الشيوخ ، وإن هذا التكريم للصوفية إنما هو قبسة من قلبك النقى تنير لنا الطريق ويهدينا سواء السبيل .

مولاى : إن الصوفية وهى منار للسالكين تهدف إلى نشر الحقيقة فى أبهى صورها ، وقد حملت يا مولاى مشعلها ، فبك نستضىء ومن هديك نسترشد ومن روحك العالية نستمد الهدى والإلهام ، وإنها وقد سعدت بعطفك السامى وخيرك العميم ، سيزول عنها ما شابها من التواء قد صادفها ومن تعثر قد لحقها بفضل يدك الرحيمة التى أدركتها وعهدك السعيد الذى تعيش فيه . وهما يكفلان لها الرفعة والسمو إن شاء تعالى .

وإنى إذ أتشرف بالوقوف بين يديك اليوم ، أقطع على نفسى عهداً وثيقاً أن أكون لجلالتك المخلص الوفى وأن أصل بالصوفية إلى الغاية العليا التى تنشدها وترجوها بكل ماوسعنى من قوة وإيمان أمدك الله يامولاى بروح من عنده ، وألبسك حلة من مجده ، وأيدك بجند من جنده ، وأعانك بعونه ، وكفلك بعين رعايته وفضله، آمين

النطق الملكى

وقد تفضل جلالة الملك بالنطق الكريم التالى :

«يسرنى اليوم أن نحتفل بشيخ الطرق الصوفية ، وفى ذلك تقدير لما يقوم به الصوفية من عمل جليل فى نشر الدين وخدمته وبرهان على الرعاية التى ننهج فيها نهج أسلافنا ، حقق الله الآمال ، وبلغنا بفضله ما نحب »

ثم نزل شيخ المشايخ يحيط به أعضاء المجلس الصوفى الأعلى إلى بهو الدور الأول ووقفوا فى شبه دائرة ، فتقدم اليوزباشى السيد محمود كامل يس شيخ السادة الرفاعية وألبس سماحة شيخ المشايخ عمامة تقليدية خضراء ثم تلا الجميع الفاتحة ، وبعض الأدعية ، وهنا صعد الشيخ مرة أخرى إلى الطابق العلوى ، والتمس من المليك حفظه الله ، أن يشرف أرباب الطرق بأن يطل عليهم من شرفة القصر ، فتفضل جلالته وأطل عليهم ، وقد وقف إلى يمينه سماحة شيخ المشايخ ، وما أن أهلت الطلعة الملكية على رجال الطرق حتى

علا هتافهم بحياة «حامى الإسلام» فرد جلالته تحيتهم بيده الكريمة وعندئذ هتف السيد حسين يس نائب السادة الرفاعية بحياة «جلالة الملك» فردد الجميع الهتاف .

مرتبات مشايخ الطرق الصوفية

ممـــا نتكلم عنه من غرائب الصوفية ومشيختها فى مصر أنهم يتناولون مرتبات من خزينة الدولة كأنهم يؤدون لها خدمات نافعة وأعمالا مفيدة ، على حين أنهم من أسباب بلائها !!

وقد نشرت جريدة الأهرام الصـــادرة فى ٢٨ — ٢ — ٩٤٩ البيان الآتى عن هذه المرتبات .

قرر مجلس الوزراء أن يكون مرتب كل من حضرات : شيخ مشايخ الطرق الصوفية ٣٠٠ جنيه سنوياً (مضافاً إليه بدل كسوة قدره ٦٠ جنيهاً سنوياً) ونقيب الأشراف ١٩٧ جنيهاً وشيخ السجادة الوفائية ١٥٧ جنيهاً وشيخ السجادة العنانية ١٥٥ جنيهاً ، وذلك مع بقاء بدل الكسوة لهم .

ولا يقف ما يصرف لمشايخ الطرق عند هذه المرتبات فحسب ، بل لهم مرتبات أخرى من وزارة الشئون الاجتماعية يتناولونها لينفقوا منها على الموالد التى تقام حول الأضرحة . وتصرح بها وزارة الارشاد

مرتبات أخرى من النذور للمحاسيب والأنصار

وهناك مرتبات أخرى كانت تفرق على غير شيوخ الطرق الصوفية وتصرف من صناديق النذور لمحاسيب الأحزاب السياسية وأنصارهم

وإليك ما نشرته جريدة الأساس بعددها الصـــادر فى ٤ — ٣ — ١٩٥٢ بعنوانه :

حتى نذور السيـــدة

استغلهـــا الوفديون

هل يعلم معالى وزير الأوقاف مدى استغلال الوفد لمسجد السيدة زينب ؟ وهل صحيح أنه لم يكن للمسجد منذ القدم غير وكيل واحد حتى جاء عهد الاستغلال النحاسى فجعل له ستة وكلاء من الوفديين بلغ ما يحصل عليه بعضهم حوالى ٩٠ جنيهاً شهرياً بين راتبه وبين نصيبه من صندوق النذور .

هذا عدا من عينهم النحاس باشا من آل شعير وأحدهم يتقاضى حوالى ٤٥ جنيهاً .

قلنا من قبل أن من الأضرار التى تصيب البـــلاد من الطرق الصوفية ما ينجم عنه مشاكل وقضايا قد تصـل إلى القضاء ، وإنا نتحفك بهذين الخبرين :

شىء يجنن (١)

تدفع وزارة الشئون الاجتماعية إعانات مالية لمشـــايخ الطرق قبيل الموالد .

---

(١) عن آخر ساعه العدد ٣٦٢ الصادر فى يوم الأحد ٧ سبتمبر سنة ١٩٣١ .

وحدث أن أراد أحد هؤلاء المشايخ ـ وهو رجل معروف ـ أن يأخذ مبلغ الإعانة الخاص به . وبينما كانت الوزارة تستعد لصرف هذا المبلغ إذ بمحل جروبى يحجز عليه بأمر المحكمة المختلطه !

ليه : ؟ لأن الشيخ المعروف مدين للمحل بمبلغ ١٦١ جنيه قسم منها ثمن ويسكى ! ! وقسم منها ثمن (مزات) والقسم الأخير سلفة شخصية من الجرسون .

وعرضت المسألة على قلم قضايا الشئون الاجتماعية فأخذ يبحث عن مخرج حتى لا تنكشف الفضيحة ، ثم انتهت إلى فتوى باعتبار هـــذه الإعانات كمرتبات الموظفين لا يجوز الحجز عليها ، ودفع المبلغ للشيخ ! !

والخبر الثانى هو [١]

نزاع على منصب خليفة الشيخ (حلاوه)

ضرب الخليفة « علقة » فى مولد الشيخ ، رجلان يطلبان من مجلس الدولة عزل « الحاجة » نفيســة من الخلافة

وقعت معركة بين بلدتى « منية النصر » و « ميت طاهر » مركز دكرنس دقهليــة ، أصيب فيها ثلاثة بأعيرة نارية وحالتهم خطرة ، كما أصيب ١٣ آخرون باصابات من عصى وطوب ، وبينهم من كسرت ذراعه أو عملت له عملية تربنة .

---

(١) عن جريدة أخبار اليوم الصادرة فى ١١ ـ ٩ ـ ١٩٥٤

وكانت المعركة بسبب نزاع على خلافة الشيخ « أبو حلاوة » !

والشيخ « أبو حلاوة » ولى من أولياء الله الذين اشتهروا فى هذا الإقليم بالصلاح والروحانية ، ولمامات أقيم له ضريح فى « منية النصر » يؤمه الألوف كل عام ، يضعون النذور فى صندوق مخصص لذلك بالضريح ، كما يقام له مولد يسمى مولد « أبو حلاوة » فى سبتمبر من كل سنة . وتولت الخلافة بعده أخته « الحاجة نفيسه » التى تقيم بالضريح وتتولى الإشراف على جمع النذور الكثيرة التى ترد إلى الشيخ . ويبدو أن أرباح هذه النذور قد أغرت آخرين بمنازعة « الحاجة نفيسة » على الخلافة ، فرفع محمد شمس الدين وعبد الجواد الرفاعى وهما من بلدة « ميت طاهر » دعوى أمام مجلس الدولة يطلبان عزل « الحاجة نفيسه » من الخلافه وإخراجها من الضريح وتعيينهما فى هذا المنصب ، وحكم مجلس الدولة برفض الدعوى .

وأثناء إقامة مولد الشيخ هذا الأسبوع ، وسير الزفة التقليدية التى يتقدمها الخليفة « الحاجة نفيسة » راكبة حصانها بين دقات الطبول والمزامير وتكبير المشايخ والأتباع ، أثناء هذا الموكب الحافل ، خرج أهالى بلدة ميت طاهر ، مسلحين بالأسلحة النارية والعصى والطوب ، وانهالوا ضرباً على الجموع السائرة فى موكب الخليفة ، وقامت المعركة وهرب الخليفة وأسفر القتال عن ١٦ جريحاً

وتولى الأستاذ ابراهيم فراج وكيل نيابة دكرنس التحقيق الذى كشف عن أن سبب المعركة هو النزاع على خلافة الشيخ أبو حلاوة

ولا يزال التحقيق مستمراً ، وقد أرسل المصابون إلى المستشفى

وهـذه كلة ، بل لذعة من لذعات الصحفى الكبير الأستاذ محمد التابعى ، ننشرها هنا بعنوانها حتى لا يفوت قراء كتابنا الاستمتاع بها

والدجل الدينى متى نقضى عليه

أذكر أننى كتبت منـذ نحو ست سنوات عن الدجل الدينى ومشايخ الطرق . . . والسجاجيد ! وقلت بين ما قلته إننى أعرف « شيخ طريقة » اختار أحد « بارات » شارع شريف مقراً له . . ويقصد إليه فى البار المذكور أتباعه ومريدوه كلما أرادوا مقابلته فى أمر ما . ويخرج هو إليهم ويمد يده يلثمونها !!

ورائحة الخمر تفوح من فمه ، وقطرات الخمر على يده ، وبقايا « المزة » على صدره وذقنه وأكمامه .

والجالسون فى « البار » ينظرون ويبتسمون .

وينصرف الأتباع والمريدون بعد أن يحظوا بنصيبهم من بركة الشيخ ودعواته الطيبات .

ويلتفت الشيخ إلى أصدقائه الجالسين فى البار ويطلق نكتة ما ويشترك معهم فى الضحك من عبط المريدون والأتباع .

وشيخ طريقة أو سجادة أخرى لعلهـا أكبر وأشهر الطرق وأوسعها نفوذاً فى مصر .

---

(١) عن جريدة الأخبار الصادرة فى ٢ — ١٢ — ١٩٥٥

أوقع عليه محل « جروبى » منذ سنوات حجزاً سـداداً لدين مستحق، ماطل « شيخ الطريقة » المذكورة فى سداده !

وكان الدين المذكور ثمن كذا صندوق من الويسكى !

* * *

أذكر أنى نشرت هذه الفضائح منذ ست سنوات وكتبت فى موضوع هذه الطرق التى ما أنزل الله بها من سلطان ، وتساءلت ألم يحن الوقت لوضع حد لهذه المهازل التى تجرى باسم الدين ؟

والفضائح التى ترتكب فى الموالد والأعياد الدينية باسم الدين ؟

والأموال التى تغدق على صناديق النذور، وتنهب لكى يتعيش منها العاطلون ، ومنهم الفاسدون والمفسدون ، وكل هذا باسم الدين ؟

واليوم يكتب إلى السيد حسن فؤاد حسين البلك بكلية الحقوق بجامعة القاهرة يقول :

اللهم صل وسلم على عين الرحمة الربانية والياقوتة المتحققة الحائطة بمركز الفهوم (الفهوم لا الفيوم !) والمعـانى ، ونور الأكوان المتكونة الآدمى صاحب الحق الربانى البرق الأسطع بمزون الأرباح المالئة لكل متعرض من البحور والأوانى ونورك اللامع الذى ملأت به كونك الحائط بأمكنة المكانى . إلى آخره . إلى آخره .

وأعفى القراء من بقية هـذا الدعاء السقيم الذى لا معنى له . وإلا فما هو معنى (الياقوتة المتحققة الحائطة بمركز الفهوم والمعانى) ؟

وأنقل بقية خطاب السيد طالب الحقوق . يقول :

هل تصدق يا أستاذ أن هذه الألغاز والأحاجى يرددها الألوف كل صباح ومساء ممن يتبعون الطريقة الصوفية المسماه بالتيجانية ، وهى أكبر طريقة صوفية فى مصر ؟! وهل مرت عليك جملة واحدة من هذه الجمل المنمقة وأنت تقرأ القرآن الكريم ؟ إن الجواب بكل تأكيد هو كلا وألف كلا .

أما إسم هذه (الفزورة) التى يرددها المساكين من الفلاحين وأهالى الأرياف فهو (جوهرة الكمال) !! ناهيك بأخواتها من : صلاة الفاتح وياقوتة الحقائق فى التعريف بسيد الخلائق والصلاة الغيبية فى الحقيقة الأحمدية والحرز اليمانى ، إلى آخر هذه الأوراد التى ما أنزل الله بها من سلطان .

* * *

نعم : لقد تحررنا من الدجل السياسى وقضينا عليه ، فمتى نتحرر ونقضى على الدجل الدينى وهؤلاء المشعوذين الذين ينشرون الجهل باسم الدين؟ اه

من شيوخ الدين دعاة للمستعمرين

ذكرنا لك من قبل أن أضرار شيوخ الطرق الصوفية لا تقف عند نشر البدع والخرافات مما يفسد العقول والأفكار وأن لهم غير ذلك أعمال هى أدهى وأمر ، وأنكى وأضر

ذلك أن المستعمرين من مختلف الأمم لما رأوا مدى سلطان هؤلاء الشيوخ على العامة ومبلغ نفوذهم فى اتباعهم اتخذوا منهم فى البلاد التى يحتلونها مطايا يركبونها للوصول بها إلى أغراضهم والتمكن من بسط نفوذهم ، ودعاة للاشادة بفضلهم ودعوة أنصارهم ومريديهم للرضـــا بحكمهم والتغنى بأعمالهم .

وإن هؤلاء المستعمرين ليعلمون بدهائهم أنهم متى قبضوا على نواصى مشايخ الطرق وقادوهم من أعناقهم فكأنما قبضوا على نواصى كل دراويشهم ومريديهم ، ذلك بأن هؤلاء الدراويش فى استسلامهم لشيوخهم كالأنعام أو كالأغنام انقياداً وطاعة وذلة .
هذه هى شنشنة المستعمرين فى كل البلاد التى يحتلونها لا تتغير ولا تتبدل

ومما يحز فى النفس أنك لا تنظر إلى أمة إســـلامية إلا وترى كبار شيوخ الطريق فيها قد أخذت أغلال المستعمرين أعناقهم ، وقد بلغ من دهاء هؤلاء المستعمرين أن طووا تحت لوائهم حتى رءوس الجمعيات الاسلامية التى نشأت فى السنين الأخيرة ، وكنا نعقد الامال عليها ، وذلك بعد أن اتسع نفوذها وكثر أتباعها .

والكلام فى أمر رجال الطرق الصوفية ومناصرتهم فى كل زمن لأعداء الدين والمسلمين من المستعمرين فى أقطار الارض عامة وشمال أفريقيا خاصة ممـــا يحتاج إلى مؤلفات ، فلنجتزىء بسطور قليلة نشير فيها إلى النكبات والكوارث التى حلت بمراكش من قبل ، وتصطلى الجزائر بنارها اليوم ، فهذا الكتانى الكبير — وهو للأسف عالم كبير كان من الموالين لفرنسا موالاة شديدة كان يعادى من يعاديها من مواطنيه .
وفى ١٢ مارس سنة ١٩٥٢ نشرت جريدة آخر لحظة صورة (أوريول)

وهو يمنح وسام اللجيون دو نور فى يوم ٦ مارس سنة ١٩٥٢ للشريف سيدى الكتانى فى قصر الاليزيه — وهذا الشريف هو شيخ الكتانيين فى مراكش .

وكان الشيخ الغمارى الكبير يتعاون مع الفرنسيين ويثبط المسلمين عن أن ينفروا للجهاد مع المجاهد الكبير السيد عبد الكريم الخطابى ، وكم لقى هذا المجاهد من الغماريين ودسائسهم .

وفى جزء شهر المحرم سنة ١٣٧٧ من مجلة الأزهر مقال طويل لصديقنا الاستاذ الكبير محب الدين الخطيب تحدث فيه عن مناصرة الطريقة الطريقة التيجانية وموالاتها للفرنسيين فى الجزائر ، فيرجع إليه من شاء زيادة الاطلاع على أعمال شيوخ الصوفية ومناصرتهم المستعمرين .

هذا بعض مافى الغرب ، وفى السودان وفى غير السودان أنصار كبار للانجليز من أقطاب الصوفية ، نمتنع برغمنا من ذكر أسمائهم إبقاء على الصداقة الظاهرة منهم .

ولهؤلاء المستعمرين حيل عجيبة فى الاستيلاء على هؤلاء الشيوخ ، ترى الانجليز منهم لما رأوا مشيخة الصوفية فى بلادنا لها نفوذ عريض على الملايين من العامة ، وأنها تسوقهم أمامها سوق الأغنام، عملوا على تسخير هذه المشيخة لتمشى فى ركابهم ، ومن قبل أخذوا الشيخ محمد توفيق البكرى إلى بلادهم ليربوه بتربيتهم وينشئوه على مبادئهم ليعود مستكمل أداة الدعاية الإنجليزية ، وكان هو والخديو عباس يدرسان بمعهد واحد فى بلاد الانجليز - ومن بعده أخذوا مراد البكرى ابن الشيخ عبد الحميد البكرى إلى بلادهم ، وبعد أن طبعوه على غرارهم وزوجوه

حسناء من بناتهم وأصبح انجليزياً أحمر ، أعادوه ليتولى مشيخة الطرق الصوفية ، وظل بها إلى سنة ١٩٤٧ .

ولقد كان الشيخ محمد التفتازانى كما علمت من أكبر دعاة الإنجليز فى بلادنا وأقوى أنصارهم عندنا .

وقد حفظوا له هذا الجميل فكافأوه بما لم يكن يحلم به ، ذلك أنهم أمروا بأن يكون له بين مشايخ الطريق سجادة خاصة باسمه ، وما كان له لولا الانجليز أن يتطاول لمثل هذا المنصب ، لأن مشيخة الطرق لا تؤخذ إلا وراثة ! ! يأخذها الإبن عن الأب ، والتفتازانى لم يكن لأهله سابقة فى هذه المشيخة ، فهو دخيل عليها ، دعى فيها .

وإنا بهذه المناسبة نهدى إليك هدية نفيسة نحملها اليك من العدد ٣٤٩ من مجلة روزا اليوسف وها هى ذى بعنوانها :

رسالة

نشرنا فى عددين سابقين شيئاً عن نظام الجاسوسية الملحق بأرشيف دار المندوب السامى (الانجليزى) وقلنا أن هناك بعض المصريين يعملون لحساب هذا الأرشيف بكل أسف .

وقد وردت علينا رسالة من (على البحراوى بامبابه) يقول فيها : إن الأخ الأصغر لفضيلة الاستاذ السيد محمد الغنيمى التفتازانى قد أخبره أيام زمالتهما فى مدرسة التجارة المتوسطة سنة ١٩٢٤ — أخبره الأخ أن قريباً له اشتغل لحساب اللورد اللنبى براتب قدره سبعون جنيها عن تقارير يقدمها ذلك القريب لدار المندوب السامى عن حالة الأسر الكبيرة

فى مصر والوزراء السابقين والحاضرين وعلماء الازهر وغيرهم .

والانجليز بخير ما دامت تجد أمثال هذا القريب . أو البعيد . اهـ

ولا نتوغل فى هذا الباب لأن فيه (زوايا) ملتوية يحتاج بسط الكلام فيها إلى كتاب برأسه . وهذا وغيره مما لا يمكن إحصاؤه تقترفه الصوفية ، فانظر كيف بدأت وإلى أية صورة دنيئة دنسة قد انتهت ، ولا حول ولا قوة إلا بالله . ولنعد إلى ما نحن بصدده .

الولى والاولياء والولاية

يقول المصريون أن أحمد البدوى أكبر أولياء الارض ، ويقول العراقيون أن أكبر الاولياء هو الرفاعى أو الجيلانى ، وهكذا تزعم كل بلد أن وليها أكبر الاولياء ، واختلف الناس كذلك فى معنى الولى والاولياء والولاية ، من أجل ذلك رأينا أن نفصل القول فى معانى هذه الكلمات حتى يكون الناس على بينة منها .

للفظة الولى معنى لغوى بينه القرآن الكريم ، لا يصح لأحد أن يغيره باجتهاده ، وظل المسلمون فى الصدر الاول يفهمون معنى هذه الكلمة على الوجه الصحيح ، إلى أن ظهرت الصوفية وانحرف الناس عن دينهم ففسروا مدلولها وأطلقوها على من لا يستحقها ، حتى من البله ومن فى عقولهم خبل (١) من كل من تمزق ثيابه ، أو سال لعابه ، أو خلقه الله

(١) لقد صدق بعض الاذكياء حينما جعل لفظ (ولى) معادلا للفظ (بليد) فهما متساويان فى المعنى والقيمة العددية بحساب الجمل ، فكلمة ولى حسابها (٤٦) وكلمة (بليد) حسابها كذلك ٤٦

خلقة مشوهة ! كأن الله تعالى لا يصطفى لولايته إلا من كان أبله مخبولا ! جاهلا .

وهناك تشكيلة صورية فى الحياة من اتخذها وظهر بهـا كان من الاولياء المقربين ، فكل من ركب على فكيه لحية ودمغ جبهته بكبة ولاث عمامة ملونة وتناول مسبحة طويلة ووسع أردانه فهو فى معتقد العامة القطب الكبير صاحب السر الباتع .

قال الراغب فى مفرداته (ولى) الولاء والتوالى أن يحصل شيئان فصاعداً حصولا ليس بينهما ما ليس منهما — ويستعار ذلك للقرب من حيث المكان ومن حيث النسبة ومن حيث الدين ، ومن حيث الصداقة والنصرة والاعتقاد .

(والولاية) النصرة ، والولاية تولى الامر ، وقيل إنهما واحدة نحو الدلالة والدلالة . والولى والمولى يستعملان فى ذلك كل واحد منهما يقال فى معنى الفاعل أى الموالى ، وفى معنى المفعول أى الموالى ، قال الله تعالى (إن الله ولى الذين آمنوا) (إن ولي الله — والله ولى المؤمنين نعم المولى ونعم النصير) — ومن الثانى (قل يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس — وإن تظاهرا عليه فان الله هو مولاه — ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق) والموالى الذى فى قوله (وما لهم من دونه من وال) بمعنى الولى الخ

كل مؤمن تقى ولى

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية فى تعريف أولياء الله :

وأولياء الله هم المتقون ، سواء سمى أحدهم فقيراً أو صوفياً أو فقيها

أو عالماً أو تاجراً أو جندياً أو صانعاً أو أميراً أو حاكا أو غير ذلك قال تعالى « ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون »

وفى تفسير المنـــار — فى تفسير آية : ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، الذين آمنوا وكانوا يتقون .

والأولياء جمع ولى ، وهو وصف من الولاء والتوالى ، ومن الولاية والتولى ، فيطلق على القربب بالنسب والمكانة والصداقة ، وعلى النصير والمتولى للأمر والحكم (وعلى اليتيم والقاصر المدبر لشئونه) ويوصف به العبد والرب .

وأولياء الله أضـــداد أعدائه المشركين به ،الكافرين بنعمه ، فهم المؤمنون المتقون ، كما نطقت الآية ، وهم درجات ،أعلاهم درجة هم الذين يتولونه باخلاص العبادة له وحده والتوكل عليه وحبه والحب فيه ، والولاية له ، فلا يتخذون له أنداداً يحبونهم من نوع حبه،ولا يتخذون من دونه ولياً ولا شفيعاً يقربهم إليه زلفى ، ولا وكيلا ولا نصيراً فيما يخرج عن توفيقهم لإتمـــام سنته فى الاسباب والمسببات ، ويتولون رسوله والمؤمنين بما أمرهم به ، قال تعالى (٦ : ٥١ وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه ولى ولا شفيع لعلهم يتقون)

وقال سبحانه وتعالى (٣٢ — ٤ ما لكم من دونه من ولى ولا شفيع أفلا تتذكرون) وقال (٣٣ — ١٧ قل من ذا الذى يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءاً أو أراد بكم رحمة ؟ ولا يجدون لهم من دون الله ولياً ولا نصيرا) والآيات فى ذلك كثيرة .

وأما ماوصفهم وعرفهم به فقوله(الذين آمنوا وكانوا يتقون) فهذا استئناف لبيان حال هؤلاء الأولياء النفسية العلمية والعملية — أى هم الذين جمعوا بين الإيمان الصحيح بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وملكة التقوى له عز وجل وما تقتضيه من عمل — والمعنى الجامع فيها أنها اتقاء كل مالا يرضى الله تعالى من ترك واجب ومندوب وفعل محرم ومكروه ، واتقاء مخالفة سنن الله سبحانه وتعالى فى خلقه من أسباب الصحة والقوة والنصرة والعزة وسيادة الأمة .

وأولياء الله الذين يشهد لهم كتابه بالولاية له هم المؤمنون الصالحون المتقون ، ولكن اشتهر بين المسلمين بعد عصر السلف ما يدل على أن الأولياء عالم خيالى غير معقول ، لهم من الخصائص فى عالم الغيب والتصرف فى ملكوت السموات والأرض فوق كل ما ورد فى كتاب الله وأخبار رسوله الصادقة فى أنبياء الله المرسلين ، بل فوق كل ماوصف به جميع الوثنيين آلهتهم وأربابهم التى اتخذوها من دون الله ، وينقلون مثل هذه الدعاوى عن بعض من اشتهروا بالولاية ممن لهم ذكر فى التاريخ ، ومن لا ذكر لهم إلا فى كتب الأدعياء الذين فتنوا المسلمين والمسلمات بهم ، ممن يسمون بالمتصوفة وأهل الطريق وينقلون عنهم ما يؤيدون به مزاعمهم الخرافية الشركية .

هذه الولاية الخيالية المبتدعة من محدثات الصوفية ألبسوها

أولا ثوب الشريعة ، وجعلوا للشريعة مقابلا سموه الحقيقة [1] ، ثم صاروا يلبسونها لبساً ويبعدون بها عنها معنى وحساً بقدر مايبعدون عن الأتباع ، ويوغلون فى الابتداع .

فثبت إذاً أن أولياء الله تعالى الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، هم من عرفهم تعالى بقوله الحق (الذين آمنوا وكانوا يتقون) وإنهم درجات كما بينها الله تعالى فى قوله (٣٥ — ٣٢ ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا ، فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ، ذلك هو الفضل الكبير) فالظالم لنفسه من يقصر فى اتباع الكتاب ولو بترك الفضائل ، والمقتصد من يترك ما نهى الله عنه ويفعل ما أمر به من الواجبات القاصرة على نفسه ، والسابق بالخيرات من يزيد على ذلك ـ التقرب بالنوافل والتكمل بالفضائل والجمع بين التعلم والتعليم والتأدب والتأديب حتى

---

(١) قال السيد رشيد فى غير ذلك ـ من أصول الضلالة التى دخلت على المسلمين من باب التصوف (المقابلة بين الحقيقة والشريعة ودعوى أن للدين ظاهراً وباطناً ، وهو من ابتداع زنادقة الباطنية ص ٥٢ و ٥٣ ج ١٩ المنار ، وقال السيد شكرى الألوسى ، ومن قال : أنا محتاج إلى محمد ﷺ فى علم الظاهر دون الباطن أو فى الشريعة دون علم الحقيقة فهو أشر من اليهود والنصارى الذين قالوا : إن محمداً رسول الأميين دون أهل الكتاب ص ٣٥١ ج ١

يكون إماماً للمتقين ، فهذه درجة المقربين من شهداء الله والصديقين وما قبلها درجة الصالحين من الأبرار أصحاب اليمين ، فراجع سورتى الواقعة والمطففين ففيهما بيان لقوله تعالى (٤ : ٦٩ ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين) وهى تفسير لدعائك فى كل ركعة بقوله تعالى (اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين .

من هو الولى

قال تعالى (أم اتخذوا من دونه أولياء فالله هو الولى وهو يحيى الموتى وهو على كل شىء قدير) ، (وما اختلفتم فيه من شىء فحكمه إلى الله ، ذلكم الله ربى عليه توكلت وإليه أنيب) ، (قل أغير الله أتخذ ولياً ؟ فاطر السموات والأرض وهو يُطعم ولا يطعم ، قل إنى أمرت أن أكون أول من أسلم ولا تكونن من المشركين)

(يوم لا ينفع مال ولا بنون) ، (وأن ليس للانسان إلا ماسعى) (يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذ لله) ، (من يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره)

وقال الإمام الشاطبى فى الاعتصام :

الولاية وإن ظهر لها فى الظاهر آثار فقد يخفى أمرها لأنهـا فى الحقيقة راجعة إلى أمر باطنى لا يعلمه إلا الله ، فربما ادعيت الولاية

لمن ليس بولى ، أو ادعاها هو لنفسه إذا أظهر خارقة من خوارق العادات ، هو من باب الشعوذة لا من باب الكرامة ، أو من باب السحر أو الخواطر أو غير ذلك .

والجمهور لا يعرف الفرق بين الكرامة والسحر ، فيعظمون من ليس بعظيم ، ويقتدون بمن لا قدوة فيه ، وهو الضلال البعيد .

وقال الآلوسى فى غاية الأمانى .

إن الولاية والكرامة إنما تكون لصلحاء الامة أهل التقوى والورع ، وما أحسن ما فى كتاب (أنباء الابناء بأحسن الانباء) يا بنى[1] من رأيتموه يطير فى الهواء أو يمشى على وجه الماء ، وقد خالف شيئاً من الشريعة الغراء فذاك من أولياء الشيطان ، لا من أولياء الرحمن ، فاياكم وإياه ، واشتغلوا عنه بتقوى الله .

وقال شيخ الإسلام فى كتابه الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، ومن حين بعث الله محمداً ﷺ جعله الفارق بين أولياء الله وأعدائه ، فلا يكون ولى الله إلا من آمن به واتبعه ظاهراً وباطناً ومن ادعى محبة الله وولايته وهو لم يتبعه فليس من أولياء الله ، بل من خالفه كان من أعداء الله وأولياء الشيطان اه

وأنكر جواز وقوع الكرامات أبو إسحق الاسفراييني من

(١) هكذا قال أئمة الصوفية : إذا رأيتم الرجل يمشى على الماء ويطير فى الهواء فلا تقتدوا به حتى تروه عند الامر والنهى الشرعيين

أكابر أتباع أبي الحسن الأشعري(١) وعلى ذلك المعتزلة إلا أبا الحسين البصري فقال بجواز وقوعها . ومجرد الجواز العقلي وأن صدور خارق للعادة على يد غير نبي مما تتناوله القدرة الإلهية ، فلا أظن أنه موضع نزاع يختلف فيه العقلاء ، وإنما الذي يجب الالتفات إليه ، هو أن أهل السنة وغيرهم في اتفاق على أنه لا يجب الاعتقاد بوقوع كرامة معينة على يد ولي لله معين بعد ظهور الإسلام ، فيجوز لكل مسلم بإجماع الأمة أن ينكر صدور أي كرامة كانت من أي ولي كان ، ولا يكون بإنكاره هذا مخالفاً لشيء من أصول الدين ، ولا مائلا عن سنة صحيحة ومنحرفاً عن الصراط المستقيم .

أين هذا الأصل المجمع عليه مما يهذي به جمهور المسلمين في هذه الأيام ، حيث يظنون أن الكرامات وخوارق العادات أصبحت من ضروب الصناعات ، يتنافس فيها الأولياء ، وتتناحر فيها همم الأصفياء(١) وهو ما يتبرأ منه الله ودينه وأولياؤه وأهل العلم أجمعون

---

(١) وكذا الحليمي من أكابرهم .

(١) بل يزعمون أن هؤلاء الاصفياء ، ولا سيما الموتى المشهورين كالذين يسمونهم الاقطاب الاربعة المتصرفون في شئون العالم كله ، وأنهم يقضون حاجات الذين يدعونهم من دون الله ، أو مع الله ، بالخوارق الممنوحة لهم ، من نفع وضر وغير ذلك (لا إله إلا الله وحده لا شريك له) ص ٢٠٤ و ٢٠٦ من رسالة التوحيد

ونختتم قولنا بقوله تعالى (إن ولى الله الذى نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين)

أما ما يجب علينا لمن سبقنا فهو أن ندعو الله لهم ونقول : « ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم)

(بطلان القول بالابدال والأوتاد)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية :

أما الأسماء الدائرة على ألسنة كثير من النساك والعامة ، مثل الغوث الذى يكون بمكة ، والأوتاد الأربعة ، والأقطاب السبعة والابدال الاربعين والنجباء الثلاثمئة ، فهذه الأسماء ليست موجودة فى كتاب الله ، ولا هى أيضاً مأثورة عن النبى ﷺ لا باسناد صحيح ولا ضعيف منتحل إلا لفظ الأبدال ، فقد روى عنهم حديث شامى منقطع الإسناد عن على بن أبى طالب ، ولا توجد هذه الاسماء فى كلام السلف .

ولفظ الغوث والغياث فلا يستحقه إلا الله تعالى ، فهو غياث المغيثين ، لا يجوز لاحد الاستغاثة بغيره ، ولا يملك مقرب ولا نبى مرسل .

ومن زعم أن أهل الارض يرفعون حوائجهم التى يطلبون بها كشف الضر عنهم ونزول الرحمة بهم إلى الثلاثمئة والثلاثمئة إلى السبعين والسبعين إلى الاربعين والاربعين إلى السبعة والسبعة إلى الاربعة والاربعة إلى الغوث فهو كاذب ضـــال مشرك ، فقد كان المشركون ، كما أخبر الله عنهم بقوله (وإذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون إلا إياه) وقال (أمن يجيب المضطر إذا دعاه)

فكيف يكون المؤمنون يرفعون إليه حوائجهم بعدة وسائط من الحجاب ، وهو القائل (وإذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداعى إذا دعانى فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون)

وقال النبى ﷺ « أيها الناس أربعوا على أنفسكم فانكم لاتدعون أصم ولا غائباً ، وإنما تدعون سميعاً قريباً ـان الذى تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته»

أما الحديث المنسوب إلى على فالاشبه إنه ليس من كلام النبى ﷺ ، فان الإيمان كان بالحجاز واليمن قبل فتوح الشام ، وكانت الشام والعراق دار كفر ، ثم فى خلافة على قد ثبت عن النبى ﷺ أنه قال « تمرق مارقة على خير فرقة من المســـلمين يقتلهم أولى الطائفتين بالحق » فكان على وأصحابه أولى بالحق ممن قاتلهم من أهل الشـــام .

ومعلوم أن الذين كانوا مع على من الصحابة مثل عمار وسهل بن حنيف ونحوهما ، كانوا أفضل من الذين مع معاوية ، فكيف يعتقد

مع هذا أن الابدال جميعهم الذين هم أفضل الخلق كانوا فى أهل الشام هذا باطل قطعاً .

والكلام يجب أن يكون بالعلم والقسط ، فمن تكلم فى الدين بغير علم دخل فى قوله « ولا تقف ما ليس لك به علم » وفى قوله « وأن تقولوا على الله مالا تعملون » ومن لم يتكلم بقسط وعدل خرج من قوله « يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله » وفى قوله « وإذا قلتم فاعدلوا » وفى قوله « لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط [1] »

العارف بالله

تنشر الصحف كل يوم وتذيع الإذاعة الحكومية فى إذاعاتها كل ليلة ، وفى إعلاناتها التى تنشرها بالصحف ، أنباء عن إقامة مولد من الموالد ، وتصف صاحبه بأنه (العارف بالله) وعندما نقرأ هذه العبارة تعترينا هزة من الحزن والاسى على ما بلغ قومنا من الجهل الفاضح ، إذ من أين جاءهم العلم أن الذى يتكلمون عنه عارف بالله أو قريب من الله !

---

(١) للامام السيد محمد رشيد رضـــا فتوى جليلة فى الابدال والاوتاد والقطب الغوث لم يكتب مثلها ، وهى فى الجزء العاشر من المجلد السابع والعشرين ، فيرجع إليها لانها مهمة جداً ، ولولا خشية الإطالة لأتينا بها .

إن هذا والله لتهجم على غيب الله الذى لا يعلمه أحد من خلق الله حتى الأنبياء والمرسلين .

ومن أعجب العجب إننا لانرى أحداً من العلماء الرسميين يعترض على هذا الضلال المبين ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

(فتوى فى المذاهب الصوفية للطرطوشى)

سئل الإمام أبو بكر الطرطوشى رحمه الله [1]

« ما يقول سيدنا الفقيه فى مذهب الصوفية ؟ واعلم حرسه الله مدته — أنه اجتمع جماعة من رجال فيكثرون من ذكر الله تعالى ، وذكر محمد ﷺ ، ثم إنهم يوقعون بالقضيب على شىء من الأديم ، ويقوم بعضهم يرقص ويتواجد حتى يقع مغشياً عليه ويحضرون شيئاً يأكلونه ، هل الحضور معهم جائز أم لا ؟ افتونا مأجورين :

الجواب« يرحمك الله ، مذهب الصوفية بطالة وجهالة وضلال، وما الإسلام إلا كتاب الله وسنة رسوله ، وأما الرقص والتواجد فأول من أحدثه أصحاب السامرى لما اتخذ لهم عجلا جسداً له خوار ، قاموا يرقصون حواليه ويتواجدون ! فهو دين الكفار وعباد العجل .

وأما القضيب فأول من اتخذه الزنادقة ليشغلوا به المسلمين عن كتاب الله ، وإنمـــا كان يجلس النبى ﷺ مع أصحابه كأن على رءوسهم الطير من الوقار .

---

(١) ص ٢٣٧ و ٢٣٨ ج ١١ تفسير القرطبى

فينبغى للسلطان ونوابه أن يمنعهم من الحضور فى المساجد وغيرها ولا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يحضر معهم ولا يعينهم على باطلهم .هذا مذهب مالك وأبى حنيفة والشافعى وأحمد بن حنبل وغيرهم من أئمة المسلمين وبالله التوفيق . اه

(الخـــاتمة مجهولة)

وقد أجمع العلماء على أن الخاتمة مجهولة ، وأنه لا يقطع لأحد بالموت على الإيمان ، وبكرامة الله له بالجنة إلا بخبر عن الشارع ، وإنما نحسن الظن بجميع المؤمنين ، ومن عرفنا استقامته على الشرع كان ظننا فيه أحسن ورجاؤنا له بفضل الله أكبر .

أخرج البخارى فى صحيحه عن أم العلاء - امرأة من الأنصار - أنهم اقتسموا المهـــاجرين أول ما قدموا عليهم بالقرعة فطار لنا - أى وقع فى سهمنا - عثمان بن مظعون[1] من أفضل المهاجرين وأكابرهم

---

(١) قال ابن حجر فى الاصابه :

عثمان بن مظعون الجمحى ، قال ابن إسحق أسلم بعد ١٣ رجلا ، وهاجر إلى الحبشة هو وابنه السائب الهجره الأولى فى جماعة ، فلما بلغهم أن قريش أسلمت رجعوا ، توفى بعد شهوده بدراً من السنة الثانية من الهجرة ، وهو أول من مات بالمدينة من المهاجرين ، وأول من دفن بالبقيع منهم ، وروى الترمذى من طريق القاسم عن عائشة قالت : قبّل النبى عثمان بن مظعون وهو ميت وهو يبكى وعيناه تذرفان ولما توفى إبراهيم بن النبى قال: إلحق بسلفنا الصالح عثمان بن مظعون .

ومتعبديهم، وممن شهد بدراً فاشتكى فمرضناه ، حتى إذا توفى وجعلناه في ثيابه دخل علينا رسول الله ﷺ فقلت رحمة الله عليك أبا السائب فشهادتي عليك لقد أكرمك الله تعالى . فقال لى رسول الله ﷺ « وما يدريك أن الله أكرمه ؟ » فقلت لا أدرى بأبى أنت وأمى يا رسول الله ، فقال رسول الله ﷺ « أما عثمان فقد جاءه اليقين ، والله إنى لأرجو له الخـــير ، ماأدرى وأنا رسول الله ما يفعل بى» قالت فو الله لا أزكى أحداً بعده أبداً .

وإن المبشرين بالجنة من الصحابة ما كانوا يأمنون مكر الله، وكانوا يقولون مايدرينا ،ان النبي ﷺ بشرنا بشرط الاستقامة على ما كنا عليه معه ، وإننا فُتنا من حيث لا ندرى .

وقال إمام كبير: ليس لمؤمن أن يعتقد جزماً أن أحداً من الناس بعينه قد مات وهو ولى لله تعالى ، مَرضِىّ عنده له فى دار رضوانه ما وعد به أولياءه ، لأن ذلك تعدّ على علم الغيب ، وقول على الله بغير علم .

(الله يزكى من يشـــاء)

قال ابن كثير فى تفسـير قوله تعالى « ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم بل الله يزكى من يشاء ولا يظلمون فتيلا ٤ — ٤٩ »

فى صحيح مسلم عن المقداد بن الأسود قال : أمرنا رسول الله أن احثوا فى وجوه المداحين التراب . وفى الصحيحين عن عبد الرحمن ابن أبى بكره عن أبيه أن رسول الله سمع رجل يثنى على رجل فقال

« ويحك قطعت عنق صاحبك، ثم قال: إذا كان أحدكم مادحاً صاحبه فليقل أحسبه كذا، ولا يزكى على الله أحد .

وعن عمر أنه قال : إن أخوف ما أخاف عليكم إعجاب المرء برأيه فمن قال إنه مؤمن فهو كافر ، ومن قال هو عالم فهو جاهل ، ومن قال هو فى الجنة فهو فى النار .»

ومما كان يحدث به معاوية : من يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين وإن هذا المال حلو خضر ، فمن يأخذه بحقه يبارك له فيه ، وإياكم والتمادح فانه الذبح .

وقال ابن مسعود : إن الرجل ليغدو بدينه ثم يرجع وما معه منه شيء ! يلقى الرجل ليس يملك له خيراً ولا نفعاً ! فيقول له : إنك والله كيت وكيت ! فلعله أن يرجع ولم يحظ من حاجته بشيء وقد أسخط الله ثم قرأ (ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم . الآية)

الايمان لا يعلمه الا الله

وقال فى تفسير قوله تعالى « والله أعلم بإيمانكم بعضكم من بعض ٤ — ٢٥ » أى هو العالم بحقائق الأمور وسرائرها ، وإنما لكم أيها الناس الظاهر من الأمور .

الله أعلم بمن اهتدى

وقال فى تفسير قوله تعالى « إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى . ٥٣ ـ ٣٠ »

أى هو الخالق لجميع المخلوقات والعالم بمصالح عباده ، وهو الذى يهدى من يشاء ويضل من يشاء ، وذلك كله عن قدرته وعلمه وحكمته وهو الذى لا يجور أبداً لا فى شرعه ولا فى قدره .

« وهو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض وإذ أنتم أجنة فى بطون أمهاتكم ، فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى ، ٣٢)

أى تمدحوها وتشكروها وتمنوا بأعمالكم (وهو أعلم بمن اتقى كما قال تعالى (ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم . الآية)

(ليس للانسان إلا ما سعى)

قال تعالى فى سورة النجم :

« أم لم ينبأ بما فى صحف موسى وإبراهيم الذى وفى ألا تزر وازرة وزر أخرى ، وأن ليس للانسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى » .

« أن لا تزر وازرة وزر أخرى »

أى كل نفس ظلمت نفسها بالكفر أو شىء من الذنوب ، فانما عليها وزرها لا يحمله عنها أحد ، كما قال « وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شىء ولو كان ذا قربى — وأن ليس للانسان إلا ماسعى أى كما لا يحمل وزر غيره ، كذلك لا يحصل من الأجر إلا ما كسب هو لنفسه .

ومن هذه الآية الكريمة استنبط الشافعى رحمه الله ومن اتبعه أن القراءة لايحصل إهداء ثوابها إلى الموتى لأنه ليس من عملهم ولا

كسبهم ، ولهذا لم يندب اليه رسول الله ﷺ أمته ولا حثهم عليه ولا أرشدهم اليه بنص ولا ايماء ، ولم ينقل ذلك عن أحد من الصحابة رضى الله عنهم — ولو كان خيراً لسبقونا اليه — (وباب القربات) يقتصر فيه على النصوص ولا يتصرف فيه بأنواع الأقيسة والآراء ، فأما الدعاء والصدقة فذاك مجمع على وصولهما ومنصوص من الشارع عليهما .

روى مسلم فى صحيحه ، قال رسول الله ﷺ : اذا مات الإنسان انقطع عمله الا من ثلاث : من ولد صالح يدعو له أو صدقة جارية من بعده ، أو علم ينتفع به .

فهذه الثلاثة فى الحقيقة هى من سعيه وكده وعمله كما جاء فى الحديث (ان أطيب ما أكل الرجل من كسبه وان ولده من كسبه)

(والصدقة الجارية) كالوقف ونحوه هى من آثار عمله ووقفه ، وقد قال تعالى (انا نحن نحيي الموتى ونكتب ماقدموا وآثارهم وكل شيء أحصيناه فى امام مبين)

(والعلم) الذى نشره فى الناس فاقتدى به الناس بعده هو أيضاً من سعيه وعمله .

وثبت فى الصحيح « من دعا الى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه من غير أن ينقص من أجورهم ، وقوله تعالى (وان سعيه سوف يرى) أى يوم القيامة ، كقوله تعالى (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ، وستردون الى عالم الغيب

والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) أى فيجزيكم به ويجزيكم عليه أتم الجزاء ، ان خيراً فخير ، وان شراً فشر ، وهكذا قال هنا (ثم يجزاه الجزاء الأوفى)

النـــذر وحكمه

مما لاريب فيه اننا قد ورثنا عبادة التقرب بالنذور عن الوثنيين الذين كانوا يتقربون بها الى آلهتهم والصالحين منهم بزعمهم .

ومن النذر ما كان لله ـ كما حكاه الله عن امرأة عمران أم مريم اذ قالت (رب انى نذرت لك مافى بطنى محرراً فتقبل منى انك أنت السميع العليم)

وقد بين الله لنا أمر النذور عند الجاهلية فقال تعالى « وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً ، فقالوا هذا لله بزعمهم ، وهـذا لشركائنا ، فما كان لشركائهم فلا يصـل الى الله ، وما كان لله فهو يصل الى شركائهم !

ومما يحزن اننا قد تجاوزنا حدود الله ، فلم نقدم النذر لله وحده وان كان لا ينفع ، ولـكن قدمناه لمن يقال لهم أوليـاء ، وبالغنا فى ذلك حتى عدنا الى الجاهلية الأولى ، وجعلنا لهؤلاء الأولياء نصيباً مماذرأ الله من الحرث والأنعام غير نصيبهم فى المال ، وقد عمت البلوى جميع البلاد ، فلا يكاد يخلو بيت فى القرى من عجل للسيد البدوى أو خروف للسيدة أو جدى للدسوقى .

وللعامة ، بل ولبعض الخاصة فى مشـاركة المقبورين فى الأموال والزروع والمـــاشية ، بل وفى الأولاد كما سنبينه لك، نظام فى القسمة معروف .

وإذا كان قد سبق لنا كلام عن النذور فانا نعود لاستيفاء القول فيه

قال شيخ الإسلام ابن تيمية :

أما النذور للقبور أو لسكان القبور أو العاكفين على القبور ، سواء كانت قبور الأنبياء أو الصالحين ، فهو نذر حرام باطل يشبه النذر للأوثان ، سواء كان نذر زيت أوشمع أو غير ذلك ، قال النبى ﷺ « لعن الله زوارات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج»[1]

وقد اتفق أئمة الدين على أنه لا يشرع بناء المساجد على القبور ولا أن تعلق عليها الستور، ولا أن ينذر لها النذور، ولا أن يوضع عندها الذهب والفضة ، بل حكم هذه الأموال أن تصرف فى مصالح المسلمين اذا لم يكن لها مستحق معين .

ويجب هـدم كل مسجد بنى على قبر كائناً من كان الميت ، فان ذلك من أكبر عبادة الأوثان كما قال تعالى (وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن وداً ولاسواعاً ولا يغوث ويعوق ونسرا وقد أضلوا كثيراً)

---

(١) رواه أبو داود والترمذى والنسائى والحاكم من حديث ابن عباس بلفظ زائرات القبور و « لعن الله زوارات القبور » حديث آخر صحيح أيضاً .

وقال طائفة من السلف : هـذه أسماء قوم صالحين لما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم عبدوهم .

ومن نذر لها نذراً لم يجز له الوفاء لما ثبت فى الصحاح عن النبى أنه قال « من نذر أن يطيع الله فليطعه ، ومن نذر أن يعصى الله فلا يعصه ، وعليه كفارة يمين . ومن العلماء من لا يوجب عليـه إلا الاستغفار والتوبة .

ومن اعتقد أن بالنذور لها نفعاً أو أجراً ما فهو ضال جاهل ، فقد ثبت فى الصحيح أن النبى ﷺ نهى عن النذر وقال . إنه لا يأتى بخير وإنما يستخرج من البخيل [1]

فاذا كان هذا فى نذر الطاعة فكيف فى نذر المعصية ؟ فيعتقدون إنها باب الحوائج إلى الله ، وأنها تـكشف الضر وتفتح الرزق وتحفظ مصر — فهذا كافر مشرك يجب قتله ، وكذلك من اعتقد ذلك فى

---

(١) رواه أحمد والبخارى ومسلم وأصحاب السنن من حديث عبد الله بن عمر ، وروى مسلم كذلك عن عبدالله بن عمر قال : أخذ رسول الله يوماً ينهانا عن النـــذر ويقول : إنه لا يرد شيئاً وإنما يستخرج من الشحيح . وفى رواية (لا يرد من القدر) وفى رواية « لا يقرب من ابن آدم شيئاً لم يكن الله قدره له » . وقال رسول الله « لا وفاء لنذر فى معصية ولا فيما لا يملك العبد » وفى رواية « لا نذر فى معصية الله »

غيرها كائناً من كان « قل ادعو الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا — أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ، إن عذاب ربك كان محذوراً — قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير — ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع أفلا تتذكرون وما بكم من نعمة فمن الله ، ثم إذا مسكم الضر فاليه تجأرون ، ثم إذا كشف الضر عنكم إذا فريق منكم بربهم يشركون . اه »

وقال الرافعي في شرح المنهاج : وأما النذر للمشاهد التي على قبر ولي أو شيخ أو على اسم من حلها من الأولياء ، أو تردد في تلك البقعة من الأولياء والصالحين ، فقد قصد الناذر بذلك تعظيم البقعة والمشهد أو الزاوية ، أو تعظيم من دفن بها أو نسبت إليه ، أو بنيت على إسمه ، فهذا النذر باطل غير منعقد ، فان معتقدهم أن لهذه الأماكن خصوصيات ، ويرون أنها مما يدفع بها البلاء ويستجلب بها النعماء ، ويستشفي بالنذر لها من الأدواء ، وينذرون لبعض القبور السرج والشموع والزيت ويقولون : القبر الفلاني أو المكان الفلاني يقبل النذر ، يعنون بذلك أنه يحصل به الغرض المأمول من شفاء مريض أو قدوم غائب أو سلامة مال ، وغير ذلك من أنواع نذر المجازاة ، فهذا النذر على هذا الوجه باطل لا شك فيه ، بل نذر الزيت والشمع ونحوها للقبور باطل مطلقاً . فان الناذر لا يقصد بذلك الإيقاد على

القبر إلا تبركاً وتعظيماً ، ظاناً أن ذلك قربة ، فهذا مما لا ريب فى بطلانه ، والإيقاد المذكور محرم ، سواء انتفع به هناك منتفع أم لا.

وقال الشيخ قاسم الحنفى فى شرح درر البحار: النذر الذى ينذره أكثر العوام على ما هو مشاهد ، فيأتى إلى بعض الصلحاء . ويقول يا سيدى فلان ، إن رد الله غائبى أو عوفى مريضى أو قضيت حاجتى فلك من الذهب كذا ، أو من الفضة كذا ، أو من الطعام كذا أو من الشمع والزيت كذا ، فهذا النذر باطل بالإجماع لوجوه : منها أنه نذر لمخلوق والنذر للمخلوق لا يجوز ، لأنه عبادة ، ومنها أن المنذور له ميت ، والميت لا يملك ، ومنها أنه ظن أن الميت يتصرف فى الأمور دون الله — واعتقاد ذلك كفر ! إلى أن قال : إذا علمت هذا فما يؤخذ من الدراهم والشمع والزيت وغيرها، وينقل الى ضرائح الأولياء تقرباً اليها فحرام باجماع المسلمين ، نقله عنه ابن نجيم فى البحر الرائق .

ونقله المرشدى فى تذكرته وغيرها عنه ، وزاد : قد ابتلى الناس بهذا لا سيما فى مولد البدوى[1] !!

(الذبح عند القبور)

ومن فتوى للعلامة السيد محمد رشيد رضا فى نذر الذبائح على

---

(١) هو أحمد البدوى الذى وضعنا من أجله هذا الكتاب « وفى كل واد أثر من ثعلبة »

أضرحة الأولياء « الذبح عند القبور بدعة أخذها بعض المسلمين عن أهل الكتاب ، وهؤلاء أخذوها عن الوثنيين اذ كانت الذبائح لأوثانهم وأصنامهم من أركان دينهم وأعظم عباداتهم . وقد أجمع المسلمون على أنه لايجوز الذبح لغير الله تعالى تقرباً اليه ، أو تعظيماله أو رجاء فيه ، لأن هذا من الوثنية ، وقد صرح الفقهاء بأن من فعل ذلك على سبيل العبادة يكون مرتداً عن الإسلام — والعبادة هى الخضوع والتعظيم لمن يعتقد فيه السلطة الغيبية التى وراء الأسباب فان وجد هذا المعنى كان الذبح للولى أو عنده كفراً ، وان لم يوجد كان معصية لأنه يدخل فى قوله تعالى (أو فسقاً أهل لغير الله به) ويستحق صاحبه اللعن من رسول الله .

وقال فى الإقناع وشرحه ما نصه :

« ويكره الذبح عند القبر والأكل منه » لخبر النبى : لا عقر فى الاسلام : رواه أحمد باسناد صحيح ، قال فى الفروع رواه أحمد وأبو داود ، قال الشيخ يحرم الذبح ولو نذر ذلك ناذر لم يكن له أن يوفى به ، كما يأتى فى نذر المكروه والمحرم « فلو شرطه واقف لكان شرطاً فاسداً . اه »

نقول — أى السيد رشيد — وأنت ترى من الأدلة أن القول بالتحريم هو الراجح . وقد يتوهم بعض الجاهلين من العامة أن النهى عن الذبح لتعظيم معاهد الجاهلية لا يقتضى تحريم الذبح لتعظيم أولياء المسلمين . ونقول :

أولا — إن الفقهـــاء أجمعوا على أنه لا يجوز الذبح لغير الله كالأنبياء والـكعبة .

ثانيـاً - إن حكمة ذلك تطهير القلوب من التوجه إلى غير الله تعالى فى مثل هـذا العمل الذى يراد به الخير والبر ، لأن ذلك من الإشراك ، ولا يقبل الله تعالى من العمل إلا ما كان خالصاً لوجهه .

ومما ورد فى ذلك بخصوص النذر حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبى ﷺ قال «لانذر إلافيما ابتغى به وجه الله تعالى» رواه أحمد وأبو داود والبيهق ، وأورده الحافظ فى التلخيص ، وفى معناه روايات أخرى .

(الهدايا والنـذور لأضرحة الأولياء)

وقال رحمه الله فى فتوى عن سؤال جاءه من سنغافوره عما إذا كان يجوز لورثة الميت أن يحصلوا على ما يكون بصندوق نذور مورثهم ؟

(الجواب) الميت لا يملك فيكون ملـكه لورثته — فلا يجوز لقرابة صاحب الضريح أكل ما يلقى فى الصندوق من المـــال — وكذلك لا يجوز الإنفاق منه فيما جرت به العادة من إيقاد السرج والشموع على قبر الولى والمسجد الذى يبنى عليه ، لأن النبى ﷺ قد نهى عن ذلك ولعن فاعله — وقد عدّ العلماء اللعنة علامة على أن الذنب من الـكبائر ، ومنهـا حديث ابن عباس قال « لعن رسول الله زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج . ومنها حديث جابر عند أحمد ومســـلم وأبى داود والترمذى وصححه النسائى قال : نهى النبى أن

يجصص القبر وأن يقعد عليه وأن يبنى عليه » وفى رواية أخرى (وأن يكتب عليه) .

أما الأموال التى يلقيها الجاهلون فى تلك الصناديق توهماً أنهم يستميلون بها أصحاب القبور لتقضى حاجاتهم بواسطتهم فهى لا تخرج عن ملكهم .

وقاعدة الفقهاء فى الأموال التى لا يعرف لها مالك أن ترصد لمصالح المسلمين العامة ، ومن للمسلمين بمن يقوم بمصالحهم العامة ، وليس لهم حكومة إسلامية تلتزم الشرع وتقيمه فى كل أعمالها وأحكامها ؟ وليس لهم زعماء وسراة يرجعون إلى رأيهم وإرشادهم ، فحسبنا الله ، وإياه نسأل أن يهيء لنا من يقوم بأمر ديننا قبل أن نكون من الهالكين الميئوس منهم .

حياة القرى[1]

النـــذور والعادات

وهذه كلمة نشرناها بصدر جريدة المقطم الصادرة فى يوم الأربعاء ٢٤ يناير سنة ١٩٣٤ م الموافق ٨ شوال سنة ١٣٥٢ هـ نثبتها هنا لأن هذا هو مكانها :

---

(١) فى سنة ١٩٣٣ وما بعدها أنشأنا مقالات كثيرة صورنا فيها (حياة القرى الاجتماعية والاقتصادية والعلمية ، وتولت جريدة المقطم نشرها ، وكان لهذه المقالات أثر بعيد بين الناس ، وقد أعرب عن تقديرهم وإعجابهم شيخ الصحافة العربية الأستاذ الكبير خليل ثابت رئيس تحرير جريدة المقطم ، فأشاد بهـــا مراراً فى مقالاته الافتتاحية ، وهاك بعض ما قاله :

« لقد أخذ كاتب كبير ينشر فى المقطم مقالات نفيسة عن «حياة القرى » وما هى فيه من بؤس ، سواء من الوجهـة المادية أو من الوجهة المعنوية (عن جريدة المقطم الصادرة فى ٢٢ فبراير سنة ١٩٣٣

وقال مرة ثانية : إن الذين يطالعون مقالات (حياة القرى) التى ينشئها كاتب بليغ من مفكرينا البارعين يجد فيها كثيراً من العادات التى تقع فى القرى والتى فرضها العرف على القرويين وصاروا يستثقلونها ولكنهم لايجرءون على كسر قيودها (جريدة المقطم الصادرة فى أول نوفمبر سنة ١٩٣٣ .

نشر المقطم الأغر من أيام — فيما ينشر من أنبائه — إنه لما فتح صندوق النذور القائم بجوار قبر السيد أحمد البدوى وجد فيه خمسون ومئة ألف جنيه ، وما يقدر بثلاثمئة جنيه من الحلى الذهبية ، ووجد فيه كذلك التماسات يرغب فيها أصحابها من السيد البدوى أن ينظرهم إلى ميسرة فيما له عليهم من دين !

وقد يمر على هذا النبأ كثير من القراء بغير أن يولوه عناية ما ، وإذا عنى به قارىء فلا يكون إلا من باب العجب أن يوجد فى هذا الصندوق مثل هذا المقدار الكبير من المال والحلى فى هذه الأزمة الخاطمة [1] ، أما أن أحداً يمد عينيه إلى ما وراء ذلك ويرسل أفكاره إلى مبعث أداء هذه النذور إلى الأولياء ، وكيف يجعل الناس من عقائدهم أن أداءها فرض لا مفر منه ! فهذا مالا نظن أنه يكون !

إن هذه النذور وأداءها يرجع إلى عقيدة عند أهل القرى تتبوأ فى نفوسهم مكان عقيدة الإيمان بالله ! وهذه العقيدة تجعلهم يوقنون أن لله أولياء ، وهؤلاء الأولياء ينفعون ويضرون ، فمن كان له أمر يحزبه أو شأن يهمه أو رغبة يصبو إليها أو حاجة يريد أداءها ، لجأ إلى ولى ممن يعرفهم وناجاه بأمره (كأنه يسمع ويرى ! !) ولكى يسارع الولى إلى إجابة مايرغب ، يقدم له نذراً معيناً ، يؤديه عندما يتم له ما يريد .

---

(١) كانت الأزمة المالية حينئذ مستحكمة .

وهذه العقيدة مكنها من قلوب أهل القرى رجال الصوفية وواطأهم على ذلك من تعلموا تعلما دينياً ناقصاً فأخذوا بأقوال رجال الصوفية : إن أولياء الله هم المتصرفون فى الكون ، أليس لهم ما يشاءون عند ربهم؟ ويؤيدون قولهم بعبارات تدور على ألسنتهم جميعاً وكلها فى إثبات الكرامات والمعجزات لهؤلاء الأولياء ، ذلك بأنهم لا يفرقون بين الكرامة والمعجزة ، ويسمع الناس من أتباع السيد أحمد البدوى أن الله سبحانه قال فى الحديث القدسى (الملك ملكى وصرفت فيه أحمد البدوى) وبين أتباع السيد البدوى وبين أتباع أحمد الرفاعى نزاع طويل فيمن قيل فيه هذا الحديث القدسى ! كأن إثباته قد أصبح أمراً مقطوعاً به ، وكل قوم يقولون (إنه أحمدهم!)

وسمعنا كذلك من أحد خلفاء السيد البدوى أن تيار رزق العباد يتدفق من عتبة السيد البدوى ، وهؤلاء الخلفاء ودراويشهم لا يفتأون يرغبون الناس فى الذهاب إلى طنطا ليرموا الحمول على السيد البدوى شيخ العرب ! !

ومن أجل ذلك كان السيد البـــدوى أكثر الأولياء أتباعاً ، وأملأهم بالنـذور يداً ، وترى رجال الصوفية جميعاً وفقهاء الريف يخوفون الناس من عدم أداء النذور ، ويقولون : إن من لم يؤد نذر الولى فان هذا الولى ينتقم منه ، إما بذهاب ماله أو بالقضاء عليه أو على أحد أولاده ، وبهذا يسمون السيد البدوى (العطاب) ، وإذا

اعترض أحد على هذه الأمور وقال : إن الله لم يأمر بها ، وإنها تنافى عقيدة التوحيـــد الخالص ، هب فى وجهه رجال الطرق وقالوا له (الاعتقاد صيفة والاعتراض هيفة) ومن اعترض انطرد، لو اعتقد أحدكم فى حجر لنفعه ، وغير ذلك من العبارات التى ادخروها ليأخذوا بها الطريق على كل من يعترضهم !

ولقد سمعت من أحد الفقهاء هـذا الحديث — وكان قد رآنى أنعى على هذه الأمور وأدعو إلى نبذها حتى لا يتسرب الشرك إلى عقائد الناس ، قال :

قال رسول الله ﷺ : دع الناس فى غفلاتهم ! يرزق الله بعضهم من بعض ! . أو كما قال .

والنذور على أنواع ، فمنها ما يكون من مال ، ومنها ما يكون من حلى ، ومنها مايكون أنصبة فى الماشية والدواب والزرع ، فيجعلون للولى نصيباً فيها يقدر بالقيراط ، وكل شىء يقسم عند أهل القرى على أنه أربعة وعشرون قيراطاً بعدد قراريط الفدان ، فاذا جعلوا للولى فى ماشيتهم وزرعهم قيراطين مثلا ، فمعنى ذلك أنه أصبح يملك منها ١ على ١٢ ، وإذا جعلوا له ثلاثة قراريط فقد أصبح له ثمنها خالصاً ، وقد يبلغ هذا النصيب إلى النصف .

***

ومن النذور كذلك (الختمات والموالد) وقد تحدثنا من قبل عنهما

ومنها الشمع الأبيض ، وهذا يقدم (بالدستة)لتضاء به قبة الولى ، والله يعلم من الذى ينتفع به ، ويكون من اللبن والبيض وغير ذلك .

ومما يلقنه متصوفة القرى للنساء أن التى (تكنس) منهن قبة الولى على عدوتها ، فان هذه العدوة لابد أن يصيبها أذى ، وبهذا نرى كثيراً من القرويات يذهبن إلى قبور الأولياء (يوم الجمعة) ليكنسنها كى ينتقم هؤلاء الأولياء من أعدائهن .

وقد أعرقت هـــذه المعتقدات فى القرى وامتدت جذورها فى نفوسهم ، ولا نكون غالين إذا قلنا أن عقيدة القرويين بقدرة الأولياء وسلطانهم العظيم فى الكون تسير مع عقيدة قدرة الله فى سبيل واحدة [1]

ولو أنك عدت مريضاً بالقرى لألفيت حوله من أقاربه وأصحابه من يضرعون إلى الأولياء ليخففوا عن مريضهم مابه ، فتجد هذا يستنجد (بالسيد البدوى) وذاك يستغيث (بالست الطاهرة) والست الطاهرة هى (أم هاشم) السيدة زينب بنت على رضى الله عنه ، وذلك يتوسل

---

(١) مما ينقلونه عن الإمام محمد عبده أنه كان وهو قاض بمحكمة الزقازيق إذا طلب من الذى ينكر الحق أن يحلف بالله فيحلف ولا يبالى ، فاذا طلب خصمه أن يحلفه (بأبو مسلم) امتنع وخاف ثم يعترف بالحق ، وأبو مسلم هذا قطب كبير بمديرية الشرقية له قبة عظيمة ويعمل له مولد فى كل عام ثمانية أيام باذن من وزارة الإرشاد

(بأبي العنين ابراهيم الدسوقي) وهكذا ، وقل أن تسمع منهم من يضرع إلى الله ويرجع إليه !

وقد بلغ من تغلغل هذه العقيدة في نفوسهم واستحواذها على عقولهم أنهم لم يشاركوا الأولياء في أموالهم وحسب ، بل شاركوهم كذلك في أولادهم !! ولا يجزع حضرة القارىء إذا سمع هذا القول ولا يعده غريباً وليستأن حتى أروى له هذه القصة :

حدثني بعضهم أن في قرية تجاور قريتي رجلا شارك السيد البدوى في إبنة له ، فرأيت أن أستوثق من الخبر وذهبت إلى هذه القرية لأقابل هذا الرجل وأقف منه على نبأ ما حدثت به .

رأيت هذا الرجل بادناً طويل القامة معصوب القوة ، فسألته عن هذه الشركة فلم ينكرها وقال : بعد أن تزوجت رزقت بابنتين ولكنهما توفيتا ، فنذرت للسيد البدوى إن عاش المولود الثالث فله نصفه ، فجاءت بنتاً وعاشت وطال عمرها وما زالت على قيد الحياة ولما سألته عما صنع في نصيب السيد البدوى ؟ وكيف حاسبه على نصيبه في البنت ؟ قال : لما خطبت إبنتي هذه أخذت لها مهراً مقداره إثناعشر جنيهاً أودعت نصفها صندوق السيد البدوى وجهزتها بالنصف الآخر ! وإني لموقن أن السيد سيرضى بهذه القسمة .

وقد علمت وأنا بهذه القرية أن أهلها ينفقون في موالد السيد البدوى ما يزيد على ألف جنيه في كل عام !

ومن أراد أن يقف على هذه العجيبة — كما وقفت فليذهب إلى

هذه القرية وإسمها (شبراويش) من أعمال مركز أجا باقليم الدقهلية والطريق إليها يمتــــد من محطة (السنيطه) الواقعة على خط سكة حديد الدلتا بين المنصورة وميت غمر ، أما هذا الرجل فاسمه (على حسن حسب النبي الاشرم)

وأعرف شخصاً آخر أراد أن يسعد من طريق سهل غير شاق ، فهداه فكره إلى هذه الحيلة الغريبة :

ذهب فى صباح أحد الأيام إلى عمدة قريته ـ وكان هذا العمدة له سيطرة على أهل بلده وقال له : إنه رأى فيما يرى النائم رجلا له عمامة خضراء ويلبس ملابس خضراء ، وهذه هى إحدى الهيئات التى يأتى بها الأولياء فى الحلم ، فاما أن تكون ملابسهم (أخضر فى أخضر) أو (أبيض فى أبيض) ولا يظهرون فى غير هذين الشكلين وقال له (أنا إسمى الشيخ عبد الغنى) وجثمانى مدفون بالجهة الفلانية من القرية ، وهى فضاء لا يملكه أحد ، وإنما ينتفع به أهل القرية جميعاً ـ وأريد أن تذهب إلى العمدة وبعد أن تسلم عليه تقول له : إن الشيخ يريد منك أن تقيم على جثمانه (مقاما) ليعرف به !

فانشرح صـدر العمدة لهذا النبأ ، وكان فرحه بما سينفتح عليه من أبواب المال من وراء إقامة هذا البناء أكثر من فرحه من أن أحد الأولياء قد ذكره ورجع إليه ليعمل له عملا .

وانقلب العمدة إلى أهل قريته يجمع منهم نفقة بناء مقام الشيخ وبين عاملي الخوف والثواب استطاع العمدة أن يجمع من المال ما ينبغى

منه مقام الولى ، وما بقى معه بعد ذلك أكثر من مثنى جنيه كانت خالصة له من دون صاحب الرؤيا .

وا كتفى صاحب الرؤيا من الغنيمة بأن استولى على قبة (الشيخ عبد الغنى) وعلى ما حولها من فضاء ، كما أوحى بذلك الولى فى رؤيا ثانية وأصبح (خادم الشيخ) ولعل عينيه أول ما امتدت على آمالها كانت على هذه الأرض .

ولا تحسبن خدمة المشايخ فى القرى شيئاً هينا ، وإنما هى أمر عظيم تدر على صاحبها كل يوم مما تخرج الأرض وما تنتج الماشية خيراً كثيراً ، ويصبح له غير نذور الشيخ (عادة) يؤديها إليه كثير من أهل قريته والقرى التى حولها ـ والعادة كما هو مقرر عندهم (تثبت ولو بمرة) .

وويل لأهل القرى من هذه (العادة) فانها أشد وطأة وأكثر بلاءاً من النذور ، ذلك أن النذور قد يرجأ أداؤها إلى ميسرة ، بما يقدم أصحابها من التماسات للأولياء — كما روى المقطم أنها وجدت فى صندوق (شيخ العرب السيد البدوى) أو تؤكل فلا يؤديها من هى عليهم إذا قيض الله لهم من ينقذهم من ظلمات الضلال والشرك إلى نور الهـــدى والتوحيد ، أما هذه العادات فلا بد من أدائها ، وناهيك بسلطان رجال الصوفية فى القرى وقوتهم إذا ما أقبلوا على من عليه (العادة !) وأبوا أن يغادروا بيته إلا إذا أدى ما عليه فانه إما أن يؤدى هذه العادة صاغراً ، واما أن يحيق الخراب به .

وكل قبة من القباب التى يقال إن فيها ولياً لا بد أن يكون لها (سادن) يأخذ النذور من أصحابها ويوزع البركات عليهم ، وهذه السدانة تورث ، يأخذها الخلف عن السلف، كما هو الشأن فى سدانة الكعبة ، ولهؤلاء السدنة دلال كبير على أصحاب الرغبات قد يبلغ بهم إلى أن يمنعوا القادمين لزيارة الأولياء من دخول قبابهم والطواف بأركانها ، ولا يسمحون بفتح أبوابها حتى يرضوا ، والرضا له ثمن .

وترى كثيراً من الناس يعيشون على النذور والعادات ، وقد يملأ بعضهم العين احتراماً والقلب مهابة ، ويستفيض لهم صيت وشهرة ، وإذا بحثت عن عملهم واستقصيت مصـــادر رزقهم تبين لك أنهم لا عمل لهم فى الحياة يعملون فيه إلا الاستيلاء على هذه العادات من أيدى الناس بوسائل شتى .

ولكن ما لنا ولهذا فلنقف عند حد الحديث الذى يرويه بعضهم وهو (دع الناس فى غفلاتهم يرزق الله بعضهم من بعض) ولله الأمر من قبل ومن بعد .

قبب المشـــايخ [1]

لو أنك اتخذت سبيلك إلى أية قرية من القرى أو إلى أى شارع

---

(١) سئلت مجلة المقتطف : فى أى زمن كان بناء قبب المشايخ فأجابت « هى قديمة جداً كانت عند المسيحيين قبل المسلمين وعند اليهود قبل المسيحيين ، وقد جاء فى الإنجيل قوله لليهود : ويل لكم لأنكم تبنون قبور الأنبياء وآباؤكم قتلوهم . ص٤٠٥ من المجلد ٥١ اكتوبر ١٩١٧

فى المدن لأخذ بصرك قباب مرتفعة كأنها أوتاد ساخت أصولها فى الأرض لتحفظها من الميدان .

ولو أن هـذه القباب قد تركت وشأنها لهان أمرها ، ولكنك لا تكاد تقترب من قبة منها إلا رأيت زحاماً حواليها وقوماً يطوفون بها ، فهى ملاجىء يهرع الناس إليها فى حاجاتهم ، ومفزع يستغيثون بها من ظلم الناس وكيدهم ، ومصرف يقدمون له نذورهم وقربانهم ، ومصلى يقيمون فيه أذكارهم وصلواتهم .

ومن القضايا المسلم بها عند العوام وأشباههم من الذين يقولون بأنهم متعلمون (إن تحت كل قبة شيخاً) مطمطاً ووليا معظماً ، له مدد مستفيض ، وجاه عند الله عريض ! !

ومما لا ريب فيه أن هذه القباب كلها — إلا ما ندر — لا يعرف أحد عن أصحابها شيئاً على التحقيق ، وإذا عرف تاريخ أحدهم فانك لا تجد فيه شيئاً يستحق التكريم — وتجد الكثير منها قد أطلقت عليها أسماء لا حقيقة لها .

ومن العجيب أنك لا ترى أحداً يهتم بالبحث عن صاحب القبة التى يلوذ بها ويرتكب كل ذنب فى سبيلها حتى يعرف من هو صاحبها وهل كان من الصالحين أو من الطالحين .

ولأن هـذه العقيدة قد نفذت جذورها إلى قلوب هؤلاء العامة وأشباههم فانك تجد من الخبثاء ومن يستبيحون أكل أموال الناس بالباطل يعمدون إلى رفع قباب وهمية ويطلقون عليها أسماء لا حقيقة

لها ما داموا على يقين من أن مجرد وجود هذه القبة وحدها كاف فى أن يعلن عن أن لها صـــاحبا وليا ، وقد بلغ من استخفاف بعض المجرمين بعقليات الأميين أن يقيم قبة على عظام حمار ، كما سنرويه لك بعد قليل .

وقد تتخذ هذه القباب وسيلة من وسائل الاستعمار ، كما اتخـذت مشايخ الطرق ورجال الدين من هذه الوسائل .

فقد حدثنا الثقة أن شركة من شركات الاستعمار الانجليزية أخذت أرضا بوراً فى الوجه البحرى لاستعمارها ، ولما لم تجد أحـداً يقبل على هذه الأرض أو يرغب فيها هداها تفـكيرها بما تعلمه من عقائدنا إلى أن تقيم على هـذه الأرض قبة أطلقت عليها إسما مخترعا ، وما كادت هـذه القبة ترتفع ويراها الناس حتى هرعوا إلى تلك الشركة ليقيموا فى أرضها ، وكان ذلك هو السبب فى استعمارها .

وهكذا ترى أثر قبب المشـايخ فى عقول العامة ومبلغ سيطرتها عليهم ، وترى أنها من أكبر المفاسـد التى تصيب الناس فى عقائدهم وأموالهم .

ولهذه الأضرار الكبيرة والمفاسد المتعددة جاء الاسلام بالنهى عن تشييد القبور نهيا باتا قاطعا — قال شيخ الاسلام ابن تيمية[1] :

---

(١) ص١٣١و١٣٣ ج١ منهاج السنة ، وقد أشبعنا القول فى هذا الأمر وغيره فى فصل (عاد الاسلام غريبا) من هذا الكتاب فارجع إليه لأن كل بلاء أصاب البلاد إنما يأتى من ناحية القباب .

قد علم بالاضطرار من دين الاسلام أن النبي ﷺ لم يأمر بما ذكروه من أمر المشاهد ، ولا شرع لأمته مناسك عند قبور الأنبياء والصالحين ، بل هـذا من دين المشركين الذى قال الله تعالى فيهم : وقالوا لا تذرن آلهتكم ، ولا تذرن وداً ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا .

وقد ثبت عن النبى ﷺ أنه قال : لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها . وقد ثبت فى صحيح مسلم وغيره عن أبى الهياج الأسدى قال ، قال لى على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه : ألا أبعثك على ما بعثنى رسول الله ﷺ : أن لا أدع قبراً مشرفا إلا سويته ، ولا تمثالا إلا طمسته ، فقرن بين طمس التماثيل وتسوية القبور المشرفة لأن كليهما ذريعة إلى الشرك ، كما فى الصحيحين إن أم سلمة وأم حبيبة ذكرتا للنبى ﷺ كنيسة رأينها بأرض الحبشة ، وذكرتا من حسنها وتصاوير فيها ! فقال . إن أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً أو صوروا فيه تلك التصاوير ، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة ، والله تعالى أمر فى كتابه بعمارة المساجد ولم يذكر المشاهد ! . وقال تعالى (قل أمر ربى بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد) ولم يقل عند كل مشهد — وقال تعالى (إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين) ولم يقل مشاهد الله ، بل عمار المشاهد يخشون بها غير الله ويرجون غير الله . وقال

سبحانه تعالى (وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً) ولم يقل أن المشـــاهد لله .

وقد علم بالنقل المتواتر وبالاضطرار من دين الإسـلام أن الرسول ﷺ لم يشرع لأمته أن يبنوا على قبر نبي[1] ولا رجل صالح لا من أهل البيت ولا غيره مسجداً ولا مشهداً ، ولم يكن على عهده ﷺ في الإسلام مشهد مبنى لا على قبر نبي ولا غيره .

وكان الصحابة إذا رأوا أحداً بنى مسجداً على قبر نهوه عن ذلك ولما ظهر قبر دانيال بتستر كتب فيه أبو موسى الأشعرى إلى عمر فكتب إليه عمر : أن تحفر بالنهـــار ثلاثة عشر قبراً وتدفنه بالليل في واحد منها لئلا يفتتن الناس به ، وكان عمر إذا رآهم ينتابون مكاناً يصلون فيه لكونه موضع نبي ينهاهم عن ذلك ويقول: إنما هلك من كان قبلكم باتخاذ آثار أنبيائهم مساجد . من أدركته الصلاة فيه فليصل وإلا فليذهب .

فهـــذا وأمثاله مما كانوا يحققون به التوحيد الذى أرسل الله به الرسول إليهم ويتبعون في ذلك سنته ﷺ ، والإسـلام مبنى على

---

(١) من أجل ذلك لم يبنوا على قبره صلوات الله عليه ، والقبة التى أقيمت على قبره بناها قلاوون الصالحى المعروف بالملك المنصور وذلك فى سنة ٦٧٨ هـ ، أى بعد سبعة قرون من انتقاله صلوات الله عليه إلى الرفيق الأعلى .

أصلين : أن لا نعبد إلا الله وأن نعبده بما شرع لانعبده بالبدع اه

وقال رحمه الله :

وقد اتفق أئمة الإسلام على أنه لا يشرع بناء هذه المشاهد التى على القبور ولا يشرع اتخاذها مساجد ولا تشرع الصلاة عندها ولا يشرع قصـدها لأجل التعبد عندها بصـلاة واعتـكاف أو استغاثة وابتهال ونحو ذلك ، وكرهوا الصـلاة عندها ، ثم كثير منهم قال : الصلاة باطلة لأجل النهى عنها

فتوى رسميـه

وفى أثناء طبع الكتاب نشرت مجلة الإذاعة المصرية فتوى رسمية لفضيلة الأستاذ حسن مأمون مفتى الديار المصرية ننشرها فيما يلى :

س — ما حكم الشرع فى زيارة أضرحة الأوليـــاء والطواف بالمقصورة وتقبيلها والتوسل بالأولياء ؟

ج — أود أن أذكر أولا أن أصل الدعوة الاسلامية يقوم على التوحيد ، والإسلام يحارب جاهداً كل ما يقرب الإنسان من مزالق الشرك بالله ، ولاشك أن التوسل بالأضرحة والموتى أحد هذه المزالق وهى رواسب جاهلية ، فلو نظرنا إلى ما قاله المشركون عنـدما نعى عليهم الرسول ﷺ عبادتهم للأصنام قالوا له «مانعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى » فهى نفس الحجة التى يسوقها اليوم الداعون للتوسل بالأولياء لقضاء حاجة عند الله أو التقرب منه ، ومن مظاهر هـذه

الزيارات أفعال تتنافى كلية مع عبادات إسلامية ثابتة .. فالطواف في الإسلام لم يشرع الا حول الكعبة الشريفة ، وكل طواف حول أى مكان آخر حرام شرعاً ، والتقبيل فى الإسلام لم يسن الا للحجر الأسود ، وحتى الحجر الأسود قال فيه عمر وهو يقبله « والله لولا انى رأيت رسول الله يقبلك ما فعلت » فتقبيل الأعتاب أو نحاس الضريح أو أى مكان به حرام قطعاً .

وتأتى بعد ذلك مسألة الشفاعة ، وهذه فى الآخرة غيرها فى الدنيا فالشفاعة ارتبطت فى أذهاننا بما يحدث فى هذه الحياة من توسط انسان لآخر أخطأ عند رئيسه ، ومن بيده أمره ، يطلب اليه أن يغفر له هذا الخطأ ، وان كان هذا المخطىء لا يستحق العفو والمغفرة غير أن الله سبحانه وتعالى قد حدد طريق الشفاعة فى الآخرة ، فهذه الشفاعة لن تكون الا لمن يرتضى الله لهم أن يشفعوا ولأشخاص يستحقون هذه الشفاعة ، وهؤلاء أيضاً يحددهم الله ، اذن فكل هذا متعلق باذن الله وحكمه ، فاذا نحن سبقنا هذا الحكم بطلب الشفاعة من أى كان فان هذا عبث ، لأننا لا نستطيع أن نعرف من سيأذن الله لهم بالشفاعة ومن يشفع لهم ، وعلى ذلك يتضح أن كل زيارة للأضرحة والطواف حولها ، وتقبيل المقصورة والأعتاب ، والتوسل بالأولياء وطلب الشفاعة منهم ، كل هذا حرام قطعاً ومناف للشريعة وفيه اشراك بالله ، وعلى العلماء أن ينظموا حملة جادة لتبيان هذه الحقائق ، فان الكثير من العامة بل ومن الخاصة ممن لم تتح لهم المعرفة

الإسلامية الصحيحة يقعون فريسة هذه الرواسب الجاهلية التى تتنافى مع الإسلام ، واذا أخذ الناس بالرفق فى هذا الأمر فلا بد أنهم سوف يستجيبون للدعوة ، لأن الجميع حريصون ولا شك على التعرف على حقائق دينهم .

س — هل يجوز النذر لغير الله ؟ مثل أن ينذر أحدهم نتاج ماشيته أو مبلغاً من المال لأحد الأولياء ؟ . وهل يقر الإسلام هذه النذور ؟

ج — وردت الآيات صريحة فى أن النذر لا يجوز الا لله ، والنذر لغير الله شرك ، فالنذر طاعة ، ولا طاعة لغير الله [1]

السنه فى زيارة القبور

السنة اذا زار المسلم قبر ميت ، اما نبى أو رجل صالح أو غيرهما أن يسلم عليه ويدعو له وهو بمنزلة الصلاة على جنازته ، كما جمع الله بين هذين حيث يقول فى المنافقين « ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره » وفى السنن : أن النبى كان اذا دفن الميت من أصحابه يقوم على قبره ثم يقول « سلوا له التثبيت فانه الآن يسأل » وفى الصحيح — كان يعلم أصحابه أن يقولوا اذا زاروا القبور : السلام عليكم أهل دار قوم مؤمنين وانا ان شاء الله بكم لاحقون ، ويرحم الله المستقدمين منا ومنكم والمستأخرين ، نسأل الله لنا ولكم العافية اللهم لا تحرمنا أجرهم ولا تفتنا بعدهم واغفر لنا ولهم » فليس فى

---

(١) العدد الصادر فى ٧ سبتمبر سنة ١٩٥٧

الزيارة الشرعية حاجة الحى إلى الميت ولا مسألته ولا توسله به ، بل فيها منفعته الحى للميت كالصلاة عليه .

هـذا كل ما جاء فى زيارة القبور ، ولم نجد على طول ما بحثنا أى أثر يبيح قراءة الفاتحة عند هذه الزيارة التى أصبحت كأنها فرض يؤدى عند كل قبر[1]

وإذا كانوا قد قالوا إن زيارة القبور تبعث على الموعظة ، فان الإمام مالك قد سئل عن زيارتها للاعتبار فأجاب : لايعجبنى ، فقيل له إنه يعتبر ، فقال : إنما يعتبر تراباً .

(ولى فى مجلس الأمة)

كان بين الأسئلة سـؤال من النائب عبد الخالق محمود عمرو عن تأخير مشروع إزالة المبانى المتهدمة التى تواجه ضريح ولى الله السيد الفرغل بأبى تيج [2]

وما أن وقف الدكتور مصطفى خليـــل وزير الشئون البلدية والقروية ليجيب حتى حدثت ظاهرة عجيبة .

كح عضو . وعطس عضو . ثم ازدادت كحة الأعضاء وعطسهم حتى كح الوزير نفسه ! ... وإذا بك تشعر كأن كل المجلس يكح ويعطس .

---

(١) اقرأ قصيدة اللغوى الكبير الشيخ الشنقيطى التى نشرناها من قبل

(٢) بينما يقضى الإصلاح بهدم القباب إذ بأحد نواب الأمة يطلب إزالة المبانى التى تواجه ضريح الشيخ الفرغل بأبى تيج .

وقال عضو : دى كرامات ولى الله !

وقال آخر : دى بركات الشيخ !

ويظهر أن السر فى هذا لا يرجع إلى الشيخ الفرغل، وإنما السبب فى هذا أن الموظف الذى يرش «الدواء المطهر» فى قاعة المجلس رش كمية أكثر من اللازم فكثرت كحة الأعضاء وعطسهم !

ووقف النائب مقدم السؤال ليعلق ، وتطلع إليه الأعضـــاء فوجدوه يرتدى الملابس الأفرنجية ، وله ذقن صغير كذقن السنية أو كذقن الماريشال بالبو !

ولم يكح النائب « السنى» وهو يتكلم عن ولى الله الشيخ الفرغل وعاد الأعضاء يتكلمون من جديد عن كرامات الشيخ ![1]

القبور والقباب المزورة

أما القبور المزورة التى لا حقيقة لها ، وإنمـــا أقيمت للانتفاع بخيراتها فهى كثيرة ، ليس فى بلادنا فحسب ، ولكن فى سائر بلاد الإسلام .

قال شيخ الاسلام ابن تيميه :

... وأما هذه المشاهد المشهورة ، فنها ما هو كذب قطعاً ، مثل المشهد الذى بظاهر دمشق المضاف إلى أبى بن كعب ، والمشهد الذى فى ظاهرها المضاف الى أويس القرنى ، والمشهد الذى فى سفح لبنان

(١) عن جريدة الاخبار الصادرة فى ٥ سبتمبر سنة ١٩٥٧

المضاف الى نوح عليه السلام ، والمشهد الذى بمصر المضاف إلى الحسين ، الى غيرذلك من المشاهد التى يطول شرحها بالشام والعراق ومصر وسائر الأمصار ، اه



ولو كان شيخ الإسلام قد علم بالمشهد المضاف الى السيدة زينب لعده من هذه المشاهد التى لاحقيقة لها ، ولكنه أنشىء بعد عصره رضى الله عنه والذى أحدثه عبد الرحمن كتخدا سنة ١١٧٣ ﻫ

ضريح لحماره وآخر لحمار !!

يوجد بالقرب من بلدة (المنزلة) قرية صغيرة بها مقام لأحد الأولياء وبجانبه مقام آخر (لحمارة الشيخ) لأنها فعلت كثيراً من الكرامات (١)

ونشرت جريدة الجمهورية بالعدد رقم ١٣٥٨ الصادر فى ٥ شهر ٩ سنة ١٩٥٧ هذا الخبر :

هيكل عظمى لحمار فى ضريح يزوره الأهالى

يحقق الأستاذ جمال عبد الحليم وكيل نيابة الخانكة فى بلاغ غريب تلقاه من أحد مشايخ الطرق الصوفية قال فيه : انه اكتشف وجود هيكل عظمى لحمار تعلوه قبة ، ويزوره أهالى احدى القرى التابعه لمركز الخانكة على أنه لرجل من الأولياء .

---

(١) عن مجلة الراديو والبعكوكة الصادرة فى ١٣ سبتمبر سنة ١٩٤١

أوليـــاء فرنسيون !

وذكرت مجلة البوليس أن مندوبها رأى بمينية قبوراً لأولياء يعتقد الناس فيهم ببلدة شبراخيت وغيرها ، وهـذه القبور لجنود فرنسيين سفاحين ، وقد نشرت المجلة صورة هذه القبور[١] والـكلام فى ذلك يطول ، فما من بلدة أو قرية الا ويوجد بهاقباب وأضرحة لا يعلم شىء عن أصحابها ، وانما يطلقون أسماء وهمية عليها .

بمثل هـذه الحيل الخبيثة تقوم قباب كثيرة بين أرجاء البلاد ، وتصبح هـذه القباب أوثاناً يعبدها الناس وينذرون لها ثم تفتح لها صفحات فى سجل ادارة الموالد بوزارة الارشـاد ، وتقام لها الموالد باذن هـذه الوزارة ، وتأخذ حظها من التـكريم ، ويحصل القائمون عليها على نصيبهم من مزايا ومخصصات من سائر الوزارات .

---

(١) عن العـدد ٥٣ من مجلة البوليس الصادرة بتاريخ ٧ ابريل سنة ١٩٥٧ .

الفهرس

٢ المقدمة وفيها بيان مبلغ اعتقاد الناس فى السيد البدوى
٦ موضع السيد البدوى من التاريخ
١٣ نسب البدوى وميلاده ورحلاته
١٧ كراماته
١٨ السوائب والنذور له
١٩ أبيات لحافظ ابراهيم فى ذلك
٢١ أموال صندوق البدوى ومقدارها أيام المولد
٢٦ ندور الاولياء وهل يحل أكلها للعلماء ؟
٢٩ مفاسد الندور للأولياء : دينيا واجتماعيا
٣١ جمع الندور ممنوع بحكم القانون
٣٤ هل كان البدوى من نسل على
٣٦ علمه وثقافته
٣٧ إعتقاد الشعرانى فيه
٤٠ موالد البدوى الثلاثة ووصف شامل لما يقع فيها
٦٥ خطاب لبعض الوزراء فى مولده
٧١ معتقد بعض شيوخ الازهر فى البدوى وغيره
٧٧ قصيدة استنجاد الشيخ بكر الصدفى بالبدوى
٧٩ مولد الشافعى وحفلة الكنسة
٨١ قصيدة الشنقيطى يبكى فيها ما رآه فى ذلك
٨٣ فائدة الاربعاء التى اخترعوها للقنائى
٨٥ العقائد الوثنية فى بعض الكتب الازهرية

٨٩ الرفاعى يبيع قصراً فى الجنة
٩٢ كلمة الامام محمد عبده فى الكتب الازهرية
٩٤ الخرافات فى بعض كتب وزارة المعارف
٩٨ الفتنة بالقبور والاعتقاد فى أصحابها
١٠١ وجوب هدم المساجد التى على القبور والقباب
١٠٥ لا تتخذوا قبرى عيداً ، ومعنى العيد
١١٠ زيارة القبور الشرعية
١١٤ استحسان صنيع المملكة السعودية فى هدم القباب
١١٦ مسئولية علماء الاقطار فى انتشار هذه الخرافات
١١٧ آيات فى توحيد الله جل جلاله وتفسيرها
١١٨ معنى كلمة التوحيد (لا اله الا الله)
١٢١ منزلة التوحيد من الدين
١٢٢ أقسام التوحيد وبيانها
١٢٤ نداء الله لجميع البشر أن يعبدوه
١٢٨ العبادة — معناها
١٣٠ لا عبادة بغير توحيد ، الدعاء والنذور عبادة
١٣٣ الشرك بالاصنام كالشرك بالانبياء والصالحين
١٣٥ حقيقة الشرك
١٣٦ الشرك يهدم قاعدة الايمان والتوحيد
١٤٤ كيف كان النبى (ص) يدعو أهل الكتاب
١٤٥ جاء الدين كاملا
١٤٨ البدعة : بيانها وأضرارها

١٥١ لجنة محاربة البدع وبيان بدع الجنائز والاعياد
١٥٤ البدع الخاصة بالمساجد والزيارات
١٥٦ البدع الخاصة بالاضرحة والمزارات
١٦٠ الصوفية ومضارها
١٦١ استغلال المستعمر لمشايخ الطرق
١٦٢ الصوفية ثلاثة أصناف
١٦٤ الصواب للمسلم
١٦٥ صـــوفية العصر
١٦٧ ما يفعله الصوفية بالقرى
١٧٦ سلطان شيخ الطريق على المريد فى كل شىء
١٨٠ خطاب من قارىء الى المؤلف يشكره على ما كتبه فى الصوفية
١٨٣ الاجراءات الرسمية فى تعيين مشايخ الطرق الصوفية
١٨٨ مرتبات مشايخ الطرق الصوفية
١٩٠ خمارة تحجز على مرتب أحد شيوخ الطرق
١٩٢ الدجل الدينى متى نقضى عليه — للتابعى
١٩٤ من شيوخ الطرق دعاة للمستعمرين
١٩٨ الولى والاولياء والولاية — معناها
١٩٩ كل مؤمن تقى ولى
٢٠٦ بطلان القول بالابدال والاوتاد
٢٠٩ فتوى فى المذاهب الصوفية للطرطوشى
٢١٣ ليس للانسان الا ما سعى
٢١٥ النـــذر وحكمه

٢١٩ الذبح عند القبور
٢٢١ النذور لأضرحة الاولياء
٢٢٧ يحلفون بالله كذبا ولا يحلفون بالولى كذبا
٢٢٨ رجل يشرك البدوى فى ابنته
٢٢٩ أفاك يخترع مدفن لولى ليعيش على حسابه
٢٣٤ حماية الرسول وصحابته للتوحيد
٢٣٦ فتوى رسمية فى زيارة قبور الاولياء والطواف بها والتوسل
٢٣٧ السنة فى زيارة القبور
٢٤٠ القبور والقباب المزورة
٢٤٢ أوليـاء فرنسيون

تحت الطبع — للمؤلف

موقظ الشرق السيد جمال الدين الافغانى

سيرته وحياته

قرأ له عشرات الكتب والمراجع فجاء الكتاب وافياً كافياً يفيد كل من طلب الاقتداء بعظماء الرجال ، وما أشد حاجتنا اليوم الى دراسة حياة مثل هذا البطل العظيم

الفوائد

تفسير عميق لآية ، استنباط دقيق من حديث - علاج للقلوب

لصاحب القلم السيال والسحر الحلال
العلامة المحقق ابن القيم

وقف على طبعه وعلق عليه

زكريا علي يوسف

صاحب مطبعة الإمام

وثمنه ١٥ قرشا